كتاب جُمَل
من
أنساب الأشراف

صنّفه
الإمام أحمد بن يحيى بن جابر
البلاذري
المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م

الجزء التاسع

بنو عبد شمس (٥) - بنو عبد العزى بن قصي

حقّقه وقدّم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار

الدكتور رياض زركلي

بإشراف
مكتب البحوث والدراسات
في
دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الاولى

بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

الجزء التاسع

بنو عبد شمس (٥) - بنو عبد العزى بن قصي

الخوارج في أيام هشام بن عبد الملك

ـ أمر صبيح الخارجي[١] :

قال أبو الحسن المدائني : اشترى سَوّار بن الأسعر المازني غلاماً من سبي الأزارقة غلاماً يقال له صبيح ، فكان عنده حيناً فلما صار رجلاً أعتقه ، وكان يرى رأي الخوارج ، فخرج في حاجة لسوار وصحبه رجل من طيء فحضرت الصلاة فَصَلّى صبيح ولم يصلّ الطائي فقال له : ألست مسلماً ؟ قال : بلىٰ ! قال : فما بالك لم تصلّ ؟ فقال : وما أنت وهذا ؟ أقبلْ على شأنك . فحكَّم صبيح وقتل الطائي .

واجتمع إليه رجال فخرج وسار إلى هَرَاة وأغار على إبل لبني سعد وقتل رجالاً ، فأتىٰ السعديون ضرار بن الهلقام بن نُعَيْم التميمي ، وهو عامل للجنيد بن عبد الرحمن المرّي على بعض خراسان ، فخرج ضرار إلى الخوارج فسار في المفازة ولقيه صبيح في أربعمائة ، وضرار في جمع كثير من بني

١ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ولله الحمد .

تميم وغيرهم ، ومعهم البختي بن ضبيعة المرّي ، فاقتتلوا فقتل من أصحاب صبيح خمسون ، وقتل عامة من كان مع ضرار ، ورجع صبيح إلى سجستان فقال سوار

لعمري لئن أغفلتُ من خشية الردى زرنجَ[1] ولم أخرج حذار صبيح
لِبِئْسَ إذاً حامي الحقيقة بعدها[2] ولابس ثـوبَيْ ذلـةٍ وفضـوح

فكتب خالد بن عبدالله إلى عبدالله بن أبي بُرْدَة بطلب صبيح رجاء أن يظفر به دون الجنيد ، ونزل صبيح قرية كانت صلحاً ، فأخذوه أسيراً وأتوا به ابن أبي بردة ، وقالوا : ما تجعل لنا إن أخذنا صبيحاً ؟ قال : ما شئتم . فاشترطوا عليه الحطيطة من الأتاوة وشيئاً غير ذلك ، فدفعوه إليه فبعث به إلى خالد ، وبعث به خالد إلى هشام ، فأراد قتله وصلبه فقيل له : إذاً تتخذ الخوارج الرصافة[3] دار هجرة ، فردّه إلى خالد فقتله وصلبه ، وأخذ الجنيد الخوارج ممن كان مع صبيح وعلى رأيه بخراسان فجعل يقتلهم حتى قتل مائة .

ويقال إن الجنيد أخذ رجلاً منهم أعمى فقال : أنا أدلك عليهم ، فجعل يدلّه على رجل رجل من أهل السنّة فيقتله حتى قتل مائة ثم قال : لعنك الله يا أحمق . تزعم أن دمي حلال لك ، وأنا أدلك على قوم فتقتلهم ، والله ما قتلت إلا أصحابك وما دللتك من أصحابي على أحد . فقدمه فقتله .

---

١ - زرنج : مدينة هي قصبة سجستان . معجم البلدان .
٢ - بهامش الأصل : يروى : لبئس إذاً حامى الذمار ابن سعر .
٣ - رصافة هشام على مقربة من الرقة ، بقاياها قائمة .

أمر خالد الخارجي

قال أبو الحسن المدائني : خرج خارجي من قبيل بُوشنج[١] وهراة في جمع عظيم فكان لا يأتي قرية إلا افتدوا منه بمال ، ومضىٰ إلى مرو الروذ وعليها ضرار بن الهلقام فأراد أن يعطيه شيئاً وينصرف عنه فجبَّنُوه وعجَّزُوه . وكان عامة الناس غزاة فقال : دعوني أردّ هذا الخارجي عنكم بشيء ولا نقاتله فإن عامة الناس غزاة ، قالوا : جبنتَ وضعفت . فقال : كأني بكم منهزمين تكسع[٢] الريح أدباركم ، وخرج إليهم وأخرج معه الوجوه والأشراف من العرب والموالي ، فَبَيَّتَ خالد عسكرهم فقتل من صبر وعامة من هرب ، فلم ينج منهم إلاّ القليل ، وأسروا ضراراً ثم قتلوه وأصحابه الذين بقوا معه ، فقال منصور بن هبيرة التميمي ثم المازني قصيدة طويلة يرثيهم ويقول فيها :

١ - بلدة نزهة خصيبة في واد مشجر من نواحي هراة بينهما عشرة فراسخ . معجم البلدان .
٢ - كسع : ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه . القاموس .

لقد تماصوا وقد آسوا أميرهم عند اللقاء حذار الذمّ والعار

وقال رجل من بني العنبر في قصيدة له :

أأُمام قد ذهب التجلّد والأسىٰ فـانعىٰ فوارس مـازنٍ وضرارا

ثم إن خالداً مات من جراح كانت به ، ويقال مات حتف أنفه .

أمر عباد المعافري

قال أبو الحسن المدائني : خرج باليمن في أول سنة ست ومائة عباد المعافري فقابله مسعود بن عوف الكلبي ، فلم يظفر به ، فلم يزل باليمن حتى وليها يوسف بن عمر الثقفي فقتله .

وخرج علىٰ يوسف زحّاف بن عباد الحميري الأباضي فبعث إليه يوسف كثيراً أبا العاج السلمي فقتله فقال جرير بن عطية .

الله أهلكَ عباداً وشيعته عادات ربك في أمثال عباد
لاقوا بعوث أمير المؤمنين لهم كالريح إذْ بُعثتْ نحساً على عاد
فيهم ملائكة الرحمن ماهم إلا التوكل والتسبيح من زاد[1]

---

١ ـ ديوان جرير ص ١٢١ .

خبر الأشهب العَنَزي

قالوا : خرج رجل من عنزة يقال له الأشهب بناحية الفرات في ستين فارساً، فوجه خالد بن عبدالله القسري : السمط بن مسلم البجلي في سبعمائة فلقيهم قريباً من الكوفة فقاتلهم فضرب السمط على يده فندر سيفه ، وأسرع سيف الضارب في يده ، وانهزم العنزي هو وأصحابه ، فقتلوهم حتى دخلوا الكوفة، ورماهم الناس بالحجارة ، ثم برىء السمط من الضربة وشلت يده ، فكان يطلب سيفه عند قَعَدِ الخوارج بالكوفة .

خوارج بموقوع[1] في أيام هشام ويوسف بن عمر على العراق

قالوا : خرج خوارج بموقوع وكانوا تسعة عشر رجلاً وامرأة ، والقاسم بن محمد الثقفي على البصرة ، فقتلوا وأُسرت الامرأة فلما قُدم بها على القاسم قالت : يا حسن الوجه إني خُدعت . قال عمر بن سعيد : فأرسلني القاسم إلى يوسف بن عمر فقدمت عليه بالفتح وبالمرأة فقال : ما استبقاؤه هذه ؟ وقتلها . ثم أرسلني يوسف بالرؤوس إلى الشام .

وقال الهيثم : بعث بالرؤوس إلى الوليد ، وكان هشام قد مات ، فأقر الوليد يوسف على العراق ، فلما قدم رسوله على يوسف قال : كيف الوليد الفاسق ؟ ثم قال : إياك أن يسمع هذا منك أحد ، فحلف له رسوله بالطلاق ألا يسمعه منه أحد فضحك يوسف .

---

١ ـ موقوع ماء بناحية البصرة . معجم البلدان .

أمر خارجي بالموصل

قال المدائني : وخرج خارجي يذكر من عنزة بالموصل في ثلاثة عشر رجلاً ، في أيام هشام ، فوجه إليه الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم : المستنير بن عجلان العَنَزِي ، أحد بني يذكُر ، فقال المستنير : لا ألقاه إلاّ في عدّة من معه ، فقاتلهم فظهر عليهم ، فأوفده الحرّ إلى هشام ، فقال له: ألك حاجة ؟ فقال : تخرجنا من ربيعة وتردّنا إلى بني أسد ، فقال : نعم . فقال بنو يقدُم بن عَنَزة : لا نتحوّل ، وقالت يَذْكُر بن عنزة : بلىٰ . فاصطلحوا على أن صُيِّروا سبعاً على حدة .

خبر البهلول بن بشر الشيباني

ويقال ابن عمرو ، ويلقب كثارة .

قال ابو الحسن المدائني : خرج البهلول بن بشر الشيباني أيام خالد بن عبدالله القسري في سبعين رجلاً كان من أهل الديوان معروفاً بالشجاعة ، وكان سبب خروجه أنه حج ، فلما كان ببعض قرى السواد أرسل غلامه ليأتيه بخلّ فأتاه بخمر فردّها فأبىٰ الخمار أن يقبلها ، فاستعدى عليه والي القرية وكان من أهل الشام فلم يُعده ، وقال : خارجي خبيث ، والله لهي خير منك وإني لأَنْفَسُ بها على مثلك ، فتركه ومضىٰ لحجه ، وجعل يخبر من لقي من إخوانه ويعجبّهم ، ويدعوهم إلى الخروج ، فلما قضوا حجهم رجع إلى القرية التي كان بها الشامي فقتله ، ثم أتى الموصل فاتبعه قوم من أهلها وأهل الجزيرة .

وأقبل خالد من الكوفة فلما كان في موضع يقال له قياض[1] ، وجه إليه

١ ـ قياض موضع بنواحي بغداد ، وقياض أيضاً موضع بين الكوفة والشام ، يرتحل منه إلى عين أباغ . معجم البلدان .

خالد : يزيد بن قيس بن ثمامة الأودي أبو عافية بن يزيد الأودي القاضي ، وكان على شرطة خالد ، وكان في خف فلم يقاتله ، فقال البهلول : إن صاحبكم هذا لأشجع الخلق وأحمق الخلق .

ومضى البهلول إلى عين التمر ثم أتى لَعْلَعَ[١] فأقام بها وهو في مائة وستين من الخوارج ، وأقبل إليه عشرة نفر من الكوفة من أهل راية[٢] فعرض لهم قوم فقتلوهم قبل أن يصلوا إليه . وبلغه ذلك فسار إلى القرية التي قتلوا بها فقال لهم : من قتل هؤلاء الرهط فله عشرة آلاف درهم . فادعىٰ قتلهم جماعة فقتلهم ، فتنكّر له قوم من أصحابه وقالوا : غدرت بالقوم . فقال : أما كان لي أن أقتلهم وقد قتلوا إخوانكم ؟ قالوا : بلى ولكنك كذبتهم . قال : إنا في دار حرب والحرب خدعة . قالوا : تُبْ وإلا اعتزلناك . فتاب فقبلوا منه ، ورجع فأقام بلعلع . وكان معه رجل يقال له أثال فتذكر أهله وولده فبكى ، فقال بهلول :

بكىٰ جزعاً بعبرته أثال ... وليس بحين مبكىً للرجال
فما أهل الديار لنا بأهلٍ ... ولا المال المراح لنا بمال

وقال أيضاً :

من كان يكره أن يلقىٰ منيته ... فالموت أشهى على قلبي من العسل
فلا التقدم في الهيجاء يعجبني ... ولا الحذار ينجيني من الأجل

فوجه إليه خالد رجلاً من آل حوشب بن يزيد بن رويم الشيباني ، فارتحل بهلول عن مكانه فسار يصبح بأرض ويمسي بأخرى يجول بالسواد ،

١ ـ لعلع : منزل بين البصرة والكوفة . معجم البلدان .
٢ ـ راية موضع في بلاد هذيل . معجم البلدان .

حتى أحفىٰ دوابهم ، ثم لقيهم وقد ضجروا وكلّت خيولهم ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انكشفوا ، وصبر الرويمي في نُفَيْرٍ قتلوا ، وأهوى له بهلول ليطعنه فقال : أسألك بالرحم فاذكرك الله إني مستجير جانح ، فأمسك عنه وأتى فَلَّهُم الكوفة ، وقدم قائد من أهل الشام في تلك الأيام وهو من بلقين ليوجهه خالد إلى الهند، فقال له: سر إلى هذه المارقة فإن قتلتهم لم أُغزكم الهند ، فسار القيني في أصحابه وهم ألفان من أهل الشام ، وضم إليه خالد جنداً من أهل الكوفة ، فكان في خمسة آلاف ، منهم ثلاثة آلاف من أهل الكوفة . فجعل البهلول ينتقل في السواد حتى قطع خيولهم ، ثم أتى لعلع فالتقوا بها فقُتل القيني ، طعنه البهلول طعنة هتكت سلاحه وأوجره الرمح ، فقال : قتلتني . قال : أبعدك الله يا عدو الله ، وانهزم الشاميون ، فقال البهلول لأصحابه : عليكم بالشاميين فإن الكوفيين أُخرجوا كرهاً . فاتبعوهم فكانوا إذا لحقوا الشامي قتلوه وإذا لحقوا عراقياً لم يقتلوه . فقال رجل ممن نجا من الشاميين :

ما كنت أدري ما السيوف ووقعها ... حتى لقيت فوارس البهلول
يُضْحي بأرضٍ والمبيتُ بغيرها ... هيهات من ممساك حيث تقيل

وقال البهلول لأصحابه لما قتل القيني : علام نقيم على خالد وندع الذي أَمَّرَهُ ؟ فتوجه إلى الموصل وهو يريد الشام ، فوجه إليه والي الموصل قائداً يقال له سفيان ، فهزمه البهلول . فكتب صاحب الموصل إلى هشام يخبره خبر البهلول ويستمده ، فكتب هشام إلى عامل الجزيرة أن يمده فسرح إليه قائداً من أهل الجزيرة في خمسمائة ، ووجه هشام من الرصافة جنداً ، وكتب إليه أن ضم إليهم جند الموصل واستعمل عليهم كثارة ، وهو لا يعلم

أن كثارة هو الخارجي ، فتوافت الجنود بالموصل وبهلول نازل إلى جانب دير بالكحيل[١] . فجعل عامل الموصل عليهم رجلاً يقال له ابن أبي عطاء ، فساروا حتى لقوا البهلول ، فانهزم ابن أبي عطاء وأهل الشام ولجأ بعضهم إلى الدير فحصرهم البهلول أياماً . وقدم جند من أهل الشام ، أيضاً مدداً ، وانضم إليهم الفل فنزلوا بعقوة البهلول ، وخرج إليهم من كان في الدير محصوراً فتلا البهلول : ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[٢] وحمل على أهل الشام فقتل منهم رجلاً ، ثم قال لأصحابه : يا أخلاء إنما خرجتم غضباً لله فلا تجزعوا ولا تكبروا القتل في الله ، وناهضهم وقال : إن أُصبتُ فأميركم دعامة بن عبدالله الشيباني . فعاجلوهم وكثر القتل والجراح في الفريقين ، ثم ترجل البهلول وأصحابه عند المساء فشدّوا عليهم ، فجال أهل الشام والبهلول يقاتل ويقول :

من كان يكره أن يلقىٰ منيته فالموت أشهى إلى قلبي من العسل

وكمن له أبو الموت الجدلي ـ جديلة قيس ـ فمر به فطعنه فأثبته ، ويقال : الذي قتل البهلول عمرو بن ثوبان الحضرمي صاحب خيل الموصل ، فقام بالأمر دعامة فانحازوا وتحاجزوا وقد أمسوا والجراح في الطائفتين فاشية ، فقالت الخوارج لدعامة : فررت من الزحف وكفرت . فقال : إنما انحزت ولم أفرّ ، فأبوا أن يرضوا به وبايعوا عمرو بن غالب اليشكري .

---

١ ـ الكحيل : موضع بالجزيرة ، وقيل مدينة على دجلة بين الزابين فوق تكريت من الجانب الغربي . معجم البلدان .

٢ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٦٤ .

وأصبحوا فعاودهم القتال فقتل وقتل الخوارج غير نفير يسير انحازوا إلى العراق ، وقال بعض الشعراء من الخوارج في دعامة :

لبئس أمير القوم معترفاً به دعامة في الهيجاء شر الدعائم

وكان الضحاك بن قيس - أحد بني مُحلم - جرح يومئذ فنزف وعطش ، فرفع له خباء ، فأتاه فوجد فيه امرأة ، فاستسقى فسقته ، وسقط فلم يقدر على النهوض، فلما أفاق مما كان به وبرىء أتى أصحابه من القعد فقالوا : فررت من الزحف . ولم يقرّ بالفرار واعتذر فلم يقبلوا عذره فكانوا لا يجالسونه ولا يكلمونه ، فقال الضحاك : اللهم إني قد صدقتهم فكذبوني وبذلت نفسي فردّوني ، اللهم أنت خير لي منهم . وقال :

لا تطردوني إذا ما جئت زائركم أرجو الفلاح وكونوا اليوم إخوانا
بُدّلت بعد أبي بشر وصحبته قوماً عليّ مع الأحزاب أعوانا

في أبيات .

ثم إنه أقرّ بالكفر واستتابوه فتاب .

قالوا : وكان بهلول لين السيرة لا يقاتل إلاّ من قاتله ولا يعرض لأحد ولا يأخذ شيئاً إلا بثمن .

أمر ابن شبيب بن يزيد : ويكنى أبا الصُّحارى

قال أبو الحسن : وأتى ابن لشبيب بن يزيد الخارجي خالدَ بن عبدالله فقال : افرض لي ، فقال : ابن شبيب ماله وللفريضة ؟ فخرج وأرسل خالد في طلبه فأبى أن يرجع فتعلقوا به ومنعوه من المضي ، فانتضى سيفه فهربوا ، ومضى على فرسه الى الفرات فعقر فرسه ، وركب سفينة وأتى ناساً من بني تيم اللات كانوا بجبل فدعاهم الى الخروج فخرجوا ، فوجه اليهم خالد خيلاً فقتلوا جميعاً .

أمر وزير الخارجي

قال أبو الحسن المدائني وغيره : خرج على خالد بن عبدالله القسري وزير الخارجي ، فحكّم بالكوفة في ثلاثة عشر رجلًا ، وخالد بالحيرة ، فقتل من لقي وحرق وغلب على بيت المال ، فتلقته الفرسان فقُتل بعض الخوارج وأُسر بعضهم وارتثّ وزير فأُتي به خالد ، فجعل يقرأ القرآن ويعظ خالداً حتى رقّ له واستبقاه ، وأمر به فحبس فكان يخرجه من الحبس فيسامره ، وبلغ ذلك هشاماً فكتب إلى خالد : أتستحيي فاسقاً مارقاً قد قتل وحرق وفرق بيت المال فأحرقْه ، فلما أتاه كتاب هشام أخرجه ومن كان بقي معه من أصحابه فصبّ عليهم النفط ثم حرقوا في طنان [1] القصب وقد أشعلت فيها النيران ، فلم يجزع وزير ولم يتحرك وجعل يقرأ : ﴿قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يعلمون [2]﴾ . وجزع أصحابه واضطربوا .

تمت أخبار الخوارج في أيام هشام .

١ ـ طنان القصب : حزم القصب . القاموس .
٢ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٨١ .

ولد هشام

قال أبو اليقظان : ولد هشام :

مسلمة ، ويزيد ، ومحمداً ، وأم هاشم ، أمهم أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، وأمها زينب بنت عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي .

وعبدالرحمن ، ومروان ، أمهما أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وأمها أم عمرو بنت مروان بن الحكم .

وعائشة أمها عبدة بنت عبدالله بن الإسوار بن يزيد بن معاوية .

ومعاوية ، والوليد ، وسليمان ، وقريشاً ، لأمهات أولاد شتى .

وكانت عائشة تسير مع هشام في موكبه لإعجابه بها ، وكانت لها خيل تسبق ، وتزوجها عبدالله بن مروان بن محمد ، وأما معاوية فكان أكبر القوم .

أمر خالد بن عبدالله القسري وغيره من ولاة العراق في أيام هشام

قالوا : كان ابن هبيرة عاملاً ليزيد بن عبدالملك على العراق ، وولي هشام فأقره ، وكان خالد بن عبدالله بن أسيد بن كُرْز بن عامر بن عبدالله بن عبدشمس بن غمغمة بن جرير بن شق بن سعد بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير بن قَسْر ـ واسم قسر : مالك ـ بن عبقر . وأخته بَجيلة ابنة صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، ضرب وهو على مكة من قبل الوليد بن عبدالملك حبابة جارية ابن سهيل بن عبدالرحمن بن عوف ، وكانت قينة تسمى العالية فصارت ليزيد بن عبدالملك وسماها حبابة .

فلما ولي يزيد خافه خالد ، وخاف حبابة ، وتبناها عمر بن هبيرة فسأله خالد أن يترضاها له وأهدى اليها هدايا ففعل . فقالت : قد وهبته لك ، فلم يشكر له خالد ذلك وحبسه حين ولي العراق بعده .

قالوا : وعزل هشام : عمر بن هبيرة ، وولى : خالد بن عبدالله العراق في أول سنة من ولايته .

وقالوا : قال عمر بن يزيد الأُسيلمي - من بني تميم - : دخلت على هشام وخالد بن عبدالله القسري عنده يذكر طاعة أهل اليمن ووفاءهم ، وذلك قبل ولايته العراق ، وقال : فصفقت تصفيقة دوى منها البهو ، وقلت : ما رأيت كهذا القول خطأ وخطلاً ، والله ما قبحت فتنة في الاسلام إلّا باليمن فهم سعوا على عثمان أمير المؤمنين فقتلوه ، وهم خلعوا أمير المؤمنين عبدالملك ، وإن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب .

فلما خرجت لحقني رجل من أهل الشام . فقال : يا أخا بني تميم وريت بك زنادي ، قد شهدت مقالتك ، وأمير المؤمنين مُوَلٍّ خالد العراق وليس هو لك بدار .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى عن عبدالله بن أسيد الكلابي : أن إياس بن معاوية قال : كنت عند ابن هبيرة في يوم جمعة وقد أذنوا فجاء غلام له يعدو فقال : إن قوماً دخلوا علي البريد ووكلوا بالباب من يحفظه ، قال إياس : فقمت فخرجت فمنعني الحرس ، فقال وهو فزع منبهر : هكذا تقوم القيامة .

وأقيمت الصلاة فصلى خالد بن عبدالله بالناس ، وقرأ عهده ، وكتبه ، ثم أرسل إلينا فأتيناه ، فقلت : أنا إياس بن معاوية ، فأطلقني ، وحبس ابن هبيرة .

وقال اسماعيل بن عمار يعارض الفرزدق :

عَجِبَ الفرزدق من فزارة أنْ رأى عنها أميةُ بالمشارق تنزع
فلقد رأى عجباً وأُحدث بعده أمرٌ تراع له القلوب وتفزع

بكت المنابر من فزارةَ شجوها فاليوم من قسر تضج وتجزع
وملوك خندف أضرعتنا للعدى لله دَرّ ملوكنا ما تصنع

فلما حبس خالد قال الفرزدق :

لعمري لئن نابت فزارة نوبة لمن حدث الأيام تسجنها قَسْرُ
لقد حَبسَ القسري في سجن واسط فتى شيظمياً لا ينهنه الزجر
فتىً لم تُوَرِّكْهُ الإماء ولم يكن غذاءٌ له لحم الخنازير والخمر [1]

فقال ابن هبيرة : ما رأيت أكرم من الفرزدق : هجاني أميراً ومدحني أسيراً .

وكان الفرزدق هجا ابن هبيرة فقال في أيام يزيد :

أمير المؤمنين وأنت عفٌّ كريم لست بالطبع الحريص
أأطعمتَ العراق ورافديه [2] فزارياً أَحَذَّ يَدَ القميص
ولم يك قبلها راعي مخاضٍ ليأمنه على وركي قلوص
تفهق بالعراق أبو المثنى وعلَّم قومه أكل الخبيص [3]

وقال فيه بعد هذا الشعر :

يلين لأهل الدين من لين قلبه لهم وغليظٌ قلبه للمنافق [4]

فقال خالد : فأين أبو فراس ، وطمع في أن يقع في يده فيعاقبه فحذره الفرزدق .

---

١ ـ ليست في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ بهامش الأصل : رافديه : دجلة والفرات .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص ٣٨٩ .
٤ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص ٤١ .

قالوا : وكتب هشام إلى خالد في عذاب ابن هبيرة والاستقصاء عليه .

وروي عن الصعق بن حَزَن أنه قال : رأيت خالداً لما قدم العراق يعذب عمر بن هبيرة فأُخرج يوماً من السجن وعليه عباءة فألقي فتكشف فنظرت إليه وقد رفع إصبعه إلى السماء يدعو فعلمت أنه سينجو .

وقال أبو عبيدة : حدثني خالد بن جَبَلَة بن عبدالرحمن عن أبيه قال : كنت مع ابن هبيرة في حبس خالد وكان ابن هبيرة قد ضربني قبل ذلك ، فقال : يا جبلة ، إن الحفْظَة تذهب الحقد وقد أمرت موالي أن يحفروا لي ، وهم منتهون إليّ الليلة ، فهل لك في الخروج ؟ قلت : لست فاعلاً . قال : فأشر علي . قلت : لا تخرجن في دار قوم ، قال : لا . وكان أمر مولى له فاستأجر داراً الى جانب السجن واتخذ فيها ألف نعجة فكانوا يحفرون الليل ويتخذون التراب في الدار فيصبح الشاء قد وطئته ولبدته بأبوالها فأفضوا بنقبهم إلى جبلة ، فقال لهم : لست بصاحبكم فأتوا عمر بن هبيرة فقام حتى دخل النقب فخرج منه .

وكان جبلة أشار عليه أن يقدم كتاباً إلى هشام ويبعث معه رسولاً ، فوجه بكتابه أبا الفوارس الباهلي الأعرج ، فقدم به إلى الرصافة غدوة ، وقدم ابن هبيرة عشية .

المدائني قال : سمع ابن هبيرة في طريقه امرأة من قيس تقول : لا والذي أسأله أن ينجي عمر بن هبيرة فقال : يا غلام اعطها ما معك وأعلمها أني قد نجوت .

ولما فقد الحرس ابن هبيرة من السجن أخبروا خالداً ، فوجه في أثره سعيد بن عمرو الحرشي ، لأن ابن هبيرة عزل سعيداً عن خراسان ، وضربه

حين قدم عليه مائة سوط ونفخ في دبره بكير ، وحبسه فكان سعيد بن عمرو اذا ذكره قال : قبح الله ابن هبيرة فإنه أوهى مني بصراً حديداً وساعداً شديداً ، فلم يزل محبوساً حتى قدم خالد فأكرمه فلم يقدر سعيد على ابن هبيرة ، فترك خالداً وتم على وجهه إلى الشام .

وقدم ابن هبيرة فأشارت عليه قيس بأن يستجير بأم حكيم بنت يحيى امرأة هشام ، فقال : امرأة ؟ قالوا : فاستجر بأبي شاكر مسلمة بن هشام . قال : صبي ، ولكني استجير بأبي سعيد مسلمة بن عبدالملك ، قالوا : أتستجير به وقد وليت ما كان يليه ولم تبق عليه ؟ فقال : هو كريم ولا يسلمني أبداً ، فتوجه إليه ومعه وجوه القيسية ، فلما رآه مسلمه كره مصيره إليه ، وانطلق إلى هشام فكلمه فيه وقال : هذا رجل خاف تحامل خالد عليه للمُضريّة ، فأمنه هشام على أن يؤدي ما طولب به فأداه .

وقال عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز : كنا في رصافة هشام ومعنا مسلمة بن عبدالملك وسليمان بن هشام وابن هبيرة ، فخرج علينا رسول هشام فقال : ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن تتلقوا أبا الهيثم خالد بن عبدالله ، وكان قدم على هشام للسلام عليه ، ولمناظرته في أمور ، لم تحتملها المكاتبة والرسل ، وحمل معه أموالاً وألطافاً ، فقال ابن هبيرة : وأنا أيضاً ؟ قال : ما أراد أمير المؤمنين غيرك ، فركب الناس لتلقيه ، وركب ابن هبيرة بغلته . قال عبدالعزيز : فسرنا حتى لقينا خالداً فسلم علينا وسلمنا عليه ، فلم يسلم خالد على ابن هبيرة فتقدم على بغلته ، فصاح خالد : اباقا كاباق العبيد ، قال ابن هبيرة : أنوماً كنوم الأمة ، ويقال إنه قال له : أبقْتَ اباق العبد ، فقال له : نعم حين نمت نوم الأمة .

وقال الفرزدق في هرب ابن هبيرة

لما رأيتَ الأرض قد سد ظهرها فلم تَرَ إلَّا تحتها لك مخرجا
دعوتَ الذي ناداه يونس بعد ما هوى في ثلاث مظلمات ففرّجا
خرجت ولم تمنن عليك شفاعة سوى ربذ [1] التعريب من آل أعوجا
وظلماء تحت الليل قد خُضتَ هولها ولوناً كَلَوْنِ الطيلساني أدعجا
هما ظلمتا ليل وأرض تلاقيا على جامح من همه ما تعوجا [2]

وقال :

قد ضَيَّع السجن والتضييع عادته حتى نجا سالماً من سجنه عمر
وانقضت من قوى القسريّ مرَّتَهُ وأحكمت من حبالٍ غيرها مرر [3]

وقال أيضاً :

أَلَا قَطَعَ الرحمن ظهـر مطيَّـة أتتنا تَخَطَّى من دمشق بخالد
وكيف يؤمّ الناس من كان أمه تدين بأن الله ليس بواحد [4]

قال : وجلس هشام لينظر فيما بين ابن هبيرة وسعيد بن عمرو الحرشي، وتظلم سعيد منه فخرج الربيع بن شابور مولى بني الحريش وهو حاجبه ، فقال عمرو بن سعيد : لا يقم غيرهما . فقال سعيد : ولاني خراسان ففعلت ما يجب علي ، وحمدني أهل البلاد ، فكافأني بأن ضربني فأوهى بصري وأخذ مالي .

---

١ ـ ربذ : خفيف القوائم في مشيه . القاموس .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص ١١٧ ـ ١١٨ .
٣ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٤ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

فقال هشام : ما تقول يا عمر ؟ قال : وليتُ العراق فوجدت هذا صعلوكاً ليس له إلّا فرسه ورمحه ، لا يعرفه أحد إلا أن له حظاً من نجدة ، فوليته البصرة ثم عزلته ووليته خراسان ، فسرق الفيء واحتجنه ولم يبعث إلي الا ببرذونين حطمين ، فعزلته وضربته ، وأخذت ماله ، ووضعته في بيت المال .

فقال : ألك يا سعيد حجة غير ما ذكرت ؟ قال : لا . قال : فأنت يا عمر ؟ قال : لا . قال : فليمسك كل واحد منكما عن صاحبه حتى يرى أمير المؤمنين رأيه ، فأمسكا .

قالوا: ولما قدم ابن هبيرة على هشام وأمنه ، كاده الأبرش وأصحاب خالد بن عبدالله ، فأعدوا مائة من خيل المضمار سياسها وقوامها فقدموها وأضمروها ، وأمروا مجرّيها أن يعارضوا بها هشاماً إذا ركب يوماً ، فعورض بها ، فسأل عنها ، ورأى خيلاً لا يعرفها لنفسه ، فقالوا : هذه لابن هبيرة . فاستشاط غضباً ، وقال : واعجباً ، اختان ما اختان ثم قدم ؟ فوالله ما رضيت عنه بعد وهو يوائمني في الخيل ، عليّ بعمر ، فدعي به وهو يسير في عرض الموكب فجاء مسرعاً وقد بلغه الخبر ، فقال له هشام : ما هذه الخيل ؟ قال : خيل أمير المؤمنين اخترتها وطلبتها من مظانّها حتى جمعتها لك فمر بقبضها ، وكان ذلك سبب نقاء قلبه له ، وانشراح صدره بالرضا عنه .

ثم لم يزل عمر يتأتى لهشام حتى أنس به ، فقال له يوماً : هل لك في أمر لم يطمع فيه أحد ولم يعرضه عليك قبلي أحد ؟ قال : وما هو ؟ قال : اعمل لك من قبل الوليد بن يزيد في البيعة لمسلمة ابن أمير المؤمنين . قال : أو تفعل ؟ قال : نعم . قال : فإن فعلت وليتك العراق .

فأتى ابن هبيرة الوليد فقال له بعد حديث طويل جرى بينهما : أيها الأمير لم تزل تلقى مثل ما تلقى من هذا الأحول فيك ، قد علم خؤولتنا لك وميلنا إليك فهو يجرعنا الغيظ بسببك لتصغيره إياك مرة وتهدده مرة ، ولست آمنه عليك ، فإن أذنت لي عملت لك في أمر تتعجل نفعه وتأمن به ، ثم الأمر فيه إليك .

قال : وما هو ؟ قال : تدعو هشاماً إلى أن يعقد الأمر بعدك لابنه أبي شاكر وتتعجل لك منه مالاً رغيباً جليلاً فإن حدث بهشام حدث نظرت في أمرك فإن شئت خلعت مسلمة وعقدت الأمر لمن أحببت ، فقد علمت طاعتي في قيس وهم أخوالك ، فالأمر منته الى ما رأيت وأردت . قال : فافعل .

فأتى هشاماً فقال : قد حكمت الأمر فهات العهد على العراق فإذا بويع لمسلمة مضيت . فأعطاه عهدا ، وكان خالد يخاف ابن هبيرة خوفاً شديداً ، فيقال إنه دس رجلاً فضرب مضرباً في طريق ابن هبيرة إلى هشام ، فلما مر به قام إليه فقال : أنا مولاك وقد لغبتَ فهل لك في شربة عسل تخوض بماء بارد ، فشربها ثم نهض يريد منزله ، وقوض الرجل مضربه وانشمر ، ومات ابن هبيرة من يومه ويقال انه فلج فمات .

وقال المدائني : كان يقال : رجل أهل الشام عمر بن هبيرة ، ورجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأسيدي ، ورجل أهل الكوفة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري . فذكر ذلك لعمر بن يزيد فقال : صدقوا ولكن بلالاً حية ، فقيل ذلك لبلال فقال : رمتني بدائها وانسلت .

وقال المدائني : لما ولي خالد بن عبدالله العراق ولى البصرة أبان بن ضبارة من أهل اليمن ، ثم عزله وولى عقبة بن عبدالأعلى الكلاعي ، من أهل الشام ، ثم عزله وولى عامر بن نُفَيْل الكلاعي أو الكلابي ، فكلهم كانوا على الصلاة بالبصرة . وعلى الشرط والأحداث مالك بن المنذر بن الجارود العبدي من قبل خالد (١) .

وقال المدائني : أخذ الفضل بن بُرْجَان اللص العُطاردي من بني تميم أخذه شعيب بن الحبحاب الفقيه في العتيك ، فرفعه الى مالك فضربه حتى مات ثم صلبه ، وأخذ مالك بن المنذر سهماً الصُّبَيْري أحد بني صُبير بن يربوع بن حنظلة فقتله ، وكان سهم لصاً ، وقتل جماعة من اللصوص فقال خليفة الأقطع :

إن كنتِ لم تسألي سهماً وصاحبه   عن مالك فَسَلِي فضل بن بُرْجَان

في أبيات .

وذكروا أن ابن المنذر سأل الحسن عن امرأة عذبت جاريتها حتى ماتت ، فأمره أن يعزرها ولم ير عليها قوداً .

حدثني عمر بن شبه وغيره عن أبي عاصم النبيل قال : صلى مالك بن المنذر في ثوب رقيق ، فقال له البتي (٢) : لا تصلِّ في ثوب واحد رقيق ، فلما ولي أرسل إليه فضربه عشرين سوطاً فقال : علام تضربني ؟ قال : لأنك تأمر الناس ألا يصلوا إلاّ في الحجاب .

---

١ ـ بهامش الأصل : مالك بن المنذر .

٢ ـ البتي هو عثمان ، رأى أنس بن مالك وروى عن الحسن البصري . اللباب لابن الأثير .

قالوا : وبعث مالك إلى الحسن : ما هذه الجموع ؟ لئن جلست مجلسك لأضربنّك ثلاثمائة سوط ، فقال : يكفيني من ذلك سوطان ، فجلس في بيته وأمسك عن ذكر الأمراء .

حدثنا خلف عن عبدالوارث عن محمد بن ذكوان قال : كان مالك بن المنذر على الشرط ، فضرب ثابتاً البُناني ، وشتم الحسن وقال : اعتزل مجلسنا وإلا ضربتك مائة سوط على ظهرك وبطنك فإنك تعيب أمير المؤمنين ، والأمير ، وتحرم القبالات .

المدائني قال : كتب مالك بن المنذر إلى خالد يذكر له أمر الحسن وعيبه الأمراء ، فكتب اليه : انك لست من الشيخ في شيء ، فَالْهُ عن ذكره وإياك أن تعرض له ، فأتاه رسول مالك فقال له : إن أبا غسان يقرئك السلام ويقول إن رأيت أن تأتي المقصورة . فجعل يقول : إن أبا غسان يقرئك السلام ويقول : إن رأيت أن تأتي المقصورة فافعل ، يردد ذلك ثلاثاً : لا ، لا ، لا . ثم دخل على مالك فوعظه وقال : اتق الله ولا تترجح في هذه الأماني فإن أحداً لم يُعْطَ شيئاً بأمنية دون عمل .

وقال هشام ابن الكلبي : ضرب مالك عمر بن يزيد الأسيدي بالسياط حتى قتله .

قالوا : وكان عمر لمالك صديقاً فوشى به بالكوفة إلى عبدالحميد بن عبدالرحمن في أيامه فأزعجه من عنده ، ووشى به الى العباس بن الوليد بن عبدالملك حتى أزعجه ، ثم وشى به الى مسلمة بن عبدالملك فلم يقبل منه ، فلما رأى عمر أن مسلمة لا يقبل صالَحَ مالكاً ، فلما ولي مالك أحداث البصرة ذكر عبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر ، فنفاه من أبيه وعنده

عمر بن يزيد ، وحفص بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر وغيره ، فأتى عمر بن يزيد عبدالأعلى فأبلغه قول مالك ، وقال : أنا أشهد لك عليه فشخص عبدالله إلى خالد وهو بواسط ، وأشخص معه عمر بن يزيد وحفص بن عمر بن موسى بن عبيدالله بن معمر فشهدا على مالك بما قال فكذبهما خالد وتهددهما وقال لعمر بن يزيد : أنا أعرف شرارتك ومحلك وحبسه عنده ودس شهوداً فشهدوا أنه يشرب الخمر فضربه خالد حداً وحدره إلى مالك فضربه بالسياط حتى وقذه ، ثم أمر به فحمل الى السجن فلويت عنقه فمات ، وادّعي انه مصّ خاتمه فمات ، وانما أشاع ذلك أصحاب خالد . فلما مات عمر جزعت بنو تميم ، وتنمرت لربيعة ، وحدبت ربيعة على مالك ومالت إليه ، واشرأب الناس للفتنة فقمعهم السلطان .

وحدثني عمر بن شبه ، حدثني أحمد بن معاوية عن المشجع قال : دخلت على عمر بن يزيد بن عمير السجن فقال : ما فعلت داري ؟ قلت : هدمت . قال : فنخلي ؟ قلت : قطع . قال : ما أهون ذلك عليّ إن سلمتْ نفسي .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : قال الحسن : إن مالكاً قتل عمر بن يزيد ليعزّ ، فلم يزده الله إلا ذلاً ، وإن عمر بن يزيد قتل شهيداً ، وكان مالك شاور بشير بن عبدالله بن أبي بكر وعمرو بن مسلم الباهلي في أمر عمر بن يزيد ، فقال له بشير : إن قتلته قتلت عصفوراً ، وإن تركته تركت أسداً ، وقال عمرو : أقتله ، فقال الفرزدق :

لله قوماً شاركوا في دمائنا وكنا لهم عوناً على العثرات
فجاهرنا بالغش عمرو بن مسلم وأوقد ناراً صاحب البكرات (١)

وقال الفرزدق :

يا لتميمٍ ألا لله أمكم لقد رُميتم باحدى المصمئلات (٢)
واستشعروا بثبات الذل واغتربوا إن لم تروعوا بني أفصى بغارات
أو تقتلوا بفتى الفتيان قاتله وتقتلوا بصعيد غير أشتات
لله درّ فتى راحوا به أُصُلاً مهشم الوجه مهشوم الثنيات (٣)

فخرجت رجال تميم وخرجت عاتكة بنت الملاءة امرأة عمر فدخلت على امرأة هشام ، فجعلت لا ترى معها شيئاً حسناً من جارية أو غيرها إلّا قالت : ما أحسن هذا ، فتقول : هو لك ، فلما جهدت وجهد القوم نزلوا على عثمان بن حيان المري .

قالت ابنة الملاءة : فأتيناه وهو في مزرعة له فشكونا إليه أمرنا ، فقال : قد والله بلغنا أمركم فساءنا وأحفظنا ، ولبس ثيابه ثم أقبل معنا إلى هشام وكان لا يُحجب عنه ، وأَطَفْنَا به ، فصاح عثمان : قبح الله طاعة لا تُعرف لأهلها ، ونصيحة لا تُشكر لمن عُرف بها ، فأسمع هشاماً فخرج الخدم يقولون : من هذا ؟ فقيل عثمان بن حيان . فدخلوا فأعلموا هشاماً ثم خرجوا إليه فقالوا : ليدخل عثمان ، فدخل فأعلم هشاماً وكلمه فقال

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١١٦ .
٢ ـ المصمئلات : الدواهي .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ مع فوارق .

هشام : ويحك اتتهمني في آمر عمر ؟ والله لولا آن السماء والأرض قامتا بالعدل لقتلتُ قاتل عمر وعشيرة قاتله .

ثم أقبل على الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص فقال : ما رأيتَ الرجل الصبيح الفصيح عمر بن يزيد بن عمير الأُسيدي فإنه قتل ، والله ما كنت أحب أن أمي ولدت رجلاً من العرب غيره ، قال : يا أمير المؤمنين فمثل هذا يقتل دونك ، قال : قد كتبت في حمل قاتله .

قالت عاتكة بنت الملاءة : فقدمنا ومالك قاعد على ضفة النهر فأُخبر بمقدمنا ومقدم رسول هشام معنا فركب سفينة ثم أتى الكوفة فلم يفارقه الرسول حتى حمله إلى هشام .

حدثني عمر بن شبه عن أبي عاصم النبيل ، أخبرني العُذَافر بن يزيد قال : لما قدم مالك بن المنذر واسطاً ، أتيته أنا وأبي فجاءه رسول لأمير المؤمنين فكلمه على باب خالد ، فقال : يا دُكين اكسر أنفه ، فدخل الرسول على خالد فقال : كسر أنفي على بابك . فقال : مالَكَ له يا مالك ؟ . قال : منعني الدخول . فلما أراد الخروج قال : ما يسرني أن الله عافاني من النقرس ورجعني من وجهي سليماً وإني لم أكن فعلت به الذي فعلت .

المدائني قال : لما قتل مالك عمر دَلَهَ أو كاد يَدْلَهُ [1] ، حتى كان يسلك الطريق من طرق البصرة فيقول : أين أنا ؟. وكان عمر يقول لما ضربه مالك : يا هشام يا هشام .

وقال الفرزدق :

---

١ ـ الدله : ذهاب الفؤاد من هم ونحوه . القاموس .

أَلَمْ يَكُ قَتْلُ عبد القيس ظلماً أبا حفصٍ من الكُبَرِ العظام
قتيل جماعة في غير جرمٍ ينادي وهو يُضرَبُ يا هشام[1]

المدائني وغيره قالوا : أُدخل مالك بن المنذر على هشام فقال : لا مرحباً ولا أهلاً ، لا قَرَّب الله دارك ولا سهّل محلّتك ، أقتلتَ عمر بن يزيد ، فوالله لهو كان خيراً منك حسباً ونسباً وريشاً وعقباً ، فقال مالك : ولم يا أمير المؤمنين ؟ ألست ابن المنذر بن الجارود ومالك بن مسمع ؟. فأمر به فوجئت عنقه ، ثم أمر بحبسه وإثبات البينة عليه ، فمات في السجن ، فيقال إن القيسية دسوا إليه من قتله في السجن ، ويقال ؛ مصَّ خاتمه ، ويقال : مرض ومات حتف أنفه .

وقال الفرزدق :

لئن مالك أمسى قد انشعبتْ به شَعُوب التي يودي بها كل ذاهب
وإن مـالكاً أمسى ذليـلاً لطالما سعى في التي مَنْ صادفَتْ غير آيب[2]

في أبيات . وقال أيضاً :

ألم تر أن الله ربي بحوله وقوّته أخزى ابنَ عمرةَ مالكا
فمن يك عنه سائلاً بصنيعَةٍ فقد ظلَّ في أرض الرصافة هالكاً
تظل الضباع العاويات ينشنه إذا جُنَّ مُسْوَدٌّ من الليل حالكاً[3]

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٧٦ مع فوارق
٢ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣١ مع فوارق .
٣ - لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .

وقال أبو اليقظان : كان مالك حبس الفرزدق ، وذلك أن خالداً حين كان على مكة من قبل الوليد بن عبد الملك ضرب محمد بن طلحة بن عبيد الله أو عبد الله بن شيبة مائة سوط ، فكتب سليمان بن عبد الملك إلى طلحة بن داود الحضرمي ، وكان على قضاء مكة يأمره أن يَقُصَّهُ منه ، فضربه مائة سوط فمر به الفرزدق وهو يضرب فقال له : اضمم إليك جناحيك يا بن النصرانية ، وقال :

لعَمْري لقد صُبَّت على ظهر خالدٍ ... شآبيب ما استهللن من سَيَل القَطْرِ
وعمري لقد صال ابن شيبة صولة ... أرتْك نجومَ الليلُ مُظْهَرَةً تجري
أتضرب في العصيان تزعم من عصى ... وتعصى أمير المؤمنين أخا قَسْرِ
فَنَفْسَكَ لُمْ فيما أتيتَ فإنها ... جُزِيتَ جزاءً بالُمجَدْرَجَةِ السُّمْر
ولولا يزيد بنُ المهلبِ حَلَّقَتْ ... بكفك فتخاءُ[1] الجناحِ إلى الوكر[2]

قالوا : وكان سليمان أمر بقطع يده ، فسأله يزيد أن يُضرب كما ضرب الرجل .

قال هشام ابن الكلبي : هو عبيد الله الأعجم بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، ضربه القسري فضُرب له .

وقال الفرزدق :

سلوا خالداً لا أصلح الله خالداً ... متى وَلِيَتْ قَسْرٌ قريشاً بدينها

١ ـ الفتخاء : العقاب .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٠١ .

أَبَعْدَ رسول الله أم قبل عهده أَمَ اضحتْ قريشٌ قد أغثَّتْ سمينَها
أَرَدْنا هُداه لا هَـدَى الله قلبه وما أُمُّهُ بالأمّ يُهْدَى جنينهـا[1]

كانت أم خالد سوداء نصرانية ، فكتب خالد إلى مالك : خذ الفرزدق فإنه هجا نهر أمير المؤمنين فأمر مالك أيوب بن عيسى الضبي فتلطف له حتى أخذه ، فلما قيل لمالك : قد أخذ الفرزدق ، انتفخ وريده غضباً ، فلما وقف بين يديه أنشده قوله :

أقول لنفسي حين غَصَّتْ بِرِيقها ألاليتَ شِعري مالها عند مالكِ
لها عنده أن يُرجِع الله روحها إليها وتنجو من عظام المهالكِ
وأنت ابن جَبَّارَيْ ربيعة أُدركا بك الشمس والخضراء ذات الحبائك[2]

قال : فسكن غضبه وأمر به إلى السجن فقال وهو في السجن :

رأيتُ أبا غسان عَلَّق سيفه على عاتقي شغْب على من يشاغبه
ترى الناس كالدَّ مْعَى له وقلوبهم تَنَزَّى وما فيهم عريب يخاطبه
أذلّ به الله الذي كان ظالماً وَعَزَّ بِهِ المظلوم واشتد جانبه
وقد علم المِصْرُ الذي ضاع أنه سيُحْمَى وتمشي بالسيوف كتائبه[3]

وقال في السجن :

يا مال هل لك في كبير قد أتت تسعون فوق يديه غير قليل
يا مال هل هو مهلكي ما لم أَقُلْ وليُعْرَفَنَّ من القصائـد قيلي

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٣٤ .
٢ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٦ .
٣ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٧٠ - ٧١ مع فوارق كبيرة .

لا تأخذنْ عليّ قول مُحَرِّشٍ ضغن عليّ وَتَرْتُه متبول
إني بذمةِ مالك وبمنذرٍ أبويكَ محترسٌ لكل محول[١]

وأم مالك عمرة بنت مسمع ، ولم يطلقه حتى حبس عمر بن يزيد معه ثم قتله وأشاع أنه مصّ خاتمة فمات ، فقال له الفرزدق :

لقد قيل قد مَصَّ الأسيديّ خاتماً وقد دُقَّ منه عظمه ومفاصله
وإني لأخشىٰ مثلها منه إنه إذا علقت أنيابه وحبائله
بقرنٍ أصاب القلب منه بمخلبٍ تَرَمَّلَ منه أنفه وجحافله[٢]

فلما حمل مالك قال الفرزدق :

ستعلم عبد القيس إن زال ملكها علىٰ أيّ حالٍ يستمر مريرها
وكان يجير الناس من سوط خالدٍ فأصبح يبغي نفسه من يجيرها
وكنت كعنز السوء قامت لحينها إلى مديةٍ مدفونة تستثيرها[٣]

وقال الفرزدق :

وزهّدني في شرطة المِصرِ أنني رأيت عليها مالكاً عقب الكلب
وما مالك إلّا عجوز كبيرة مضببة الأنياب توجف في الركْب[٤]

وقال أيضاً :

لعمرك ما أشبهت جدك مالكاً ولا جدك الجارود يا عقب الكلب[٥]

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٣ مع فوارق .
٢ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٩٨ مع فوارق .
٤ ـ ليسا في ديوان الفرزدق المطبوع .
٥ ـ ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .

ولم يزل الفرزدق محبوساً حتى ولي النَّضْر بن عمرو فقال :

ألاَ طالَ مَارسَّفتُ في قيد مالك فأصبح في رجليه قيدي محوَّلا
واطلقني النَّضْرُ بن عمروٍ وربما بكفّيه قد فكَّ الأسير المكبلا[1]

قالوا : ولما هلك مالك ولى خالد بن عبد الله شرط البصرة :

بلال بن أبي بردة بن أبي موسى[2]

وولى صلاتها النّضْر بن عمرو ، وذلك في سنة عشر ومائة .

المدائني عن الوضاح بن خيثمة قال : رأيت النضر بن عمرو ، وبلال بن أبي بردة ، يمشيان في جنازة الحسن بن أبي الحسن والنضر على الصلاة ، وبلال على الأحداث .

قال أبو بكر الهذلي : بعثني النضر إلى الحسن أسأله عن يوم عرفة ما كان الناس يَصْنَعُون فيه ، فقال : وما لهذا وليوم عرفة ؟ . قلت : إنه لمن خيرهم ، قال : صدقتَ إنه لمن خيرهم .

قالوا : ذكر الحسن من تقدم من هذه الأمة ثم أقبل على النضر بن عمرو فقال : قد أصبحت والله مخالفاً للقوم في هديهم وسيرتهم ، وأنت تتمنى على الله الأماني ، وتترجح فيها ، فإن أخاك من صدقك ونصح لك في دينك، وَلَمَنْ صدقك ونصح لك في دينك خير لك ممن غَشّكَ وغرِّك، وكان ثمامة بن أنس على القضاء من سنة ست ومائة إلى سنة عشر ومائة .

---

١ - ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٥١ .
٢ - بهامش الأصل : بلال بن أبي بردة .

قالوا : وكتب خالد إلى بلال بعهده على البصرة ، وولاه القضاء ، فولى بلال الأحداث عبد الأعلى من الأزد ، وكان بلال يقضي بين الناس وهو أمير ، فقال رؤبة بن العجاج :

بلال يا بن الشرف الأمحاض   والثابت النعل على الإدحاضِ
انت ابن كل سند فياض   وأنت يا بن القاضيين قاضِ
معتزم على الطريق ماضِ[1]

وكان ثمامة موضحاً[2] وكان مُخِلطاً استعدته امرأة على رجل ولم تقم البينة ، فأراد إحلافه فقالت المرأة : إنه رجل سوء يحلف ليذهب حقي ، ولكن استحلف اسحاق بن سويد فإنه جاره ، فأرسل إلى إسحاق بن سويد ليستحلفه فقال خلف بن خليفة الأقطع يذكر بلالاً :

وكنـا قبـل مقـدمـه علينـا   من الشيخ المولع في بلاء

يعني ثمامة بن أنس .

ومدح بلالاً رؤبة ، وذو الرمة ، وكان رؤبة بخيلاً ، فقال رؤبة لبلال : علام تعطني ؟ فقال ذا الرمة : والله ما يمدحك إلا بمقطعاتنا هذه ، يعمد إليها فيوصلها ثم يمدحك بها ، فقال : لو لم أعطه إلاّ على تأليفها لأعطيته .

المدائني قال : بثق بلال نهر معقل في الفيض ، واحتفر نهر بلال ، وبنى عليه الحوانيت ، ونقل اليه السوق وجعله ليزيد بن خالد القسري ، ومدحه الفرزدق ، فمن شعره :

---

١ ـ ديوان رؤبة بن العجاج ص ٨١ ، ٨٣ مع فوارق .
٢ ـ الوضح : البرص . والمخلط : الذي فيه حمق . القاموس .

ومـظلمـة عـلي من الليـالي جلا ظلماءهـا عني بـلال
بخـير يمـين مـدعـوٍّ لخـيرٍ تعـاونها إذا نهضتْ شمال
ترى الأبصار شاخصة إليهِ كما ينظرن حين يُرى الهلال[1]

حدثنا عمر بن شبه عن أبي عاصم النبيل قال : قال يزيد بن طلحة الطلحات لبلال ، واستبطأه في عيادته ، وعاد الزعل الجرمي :

أفي حُمّى ثلاثٍ زرت جرماً وتترك شيخ قومك يـا بلال

وقال أبو عاصم : أوصى يزيد فجعل للإناث من ولده مِثْلَيْ ما للذكور ، ولعن في وصيته من غَيَّرها ،فأتي بها بلال فقال : أنا أول من غيرها فعلى يزيد لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

حدثنا عباس بن هشام الكلبي عن خراش بن اسماعيل قال : ولى خالد بلالاً البصرة فانحدر إليها ابن بيض[2] وكان له صديقاً وأقام على بابه أياماً لا يؤذن له فكتب إليه .

قل للأمير جزاه الله صالحةً أهل التقى والذي يحيا به الدِّين
ياهل ترى حرجاً في شرب خابيةٍ صهباء يُكَسَّرُ عن خرطومها الطين
وهل ترى حرجاً في نيك أرملة مسكينة ناكها قوم مساكين

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٣٥ .
٢ ـ حمزة بن بيض الحنفي ، شاعر اسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كوفي خليع ماجن ، من فحول طبقته ، وكان كالمنقطع إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبي بردة ، واكتسب بالشعر من هؤلاء مالاً عظيماً ، ولم يدرك الدولة العباسية . الأغاني ج ١٦ ص ٢٠٢ .

فلما قرأها قال : هذا والله ابن بيض ، ادخلوه الفاسق ، فلما دخل عليه قال : والله يا فاسق ما كنت لأصل إليك إلاّ بالشر .

وأرسل بلال علي بن يزيد إلى هند بنت المهلب يخطبها فقالت : ما لي عنه رغبة ، وهذا كتاب خالد بن عبد الله يخطبني ولو أردت التزويج ما عدوته .

المدائني قال : كتب خالد بن عبد الله إلى بلال أَنْ وَلِّ نَصْر بن حسان العنبري ولاية ، فأرسل إليه بلال يدعوه فقال للرسول : قل له أصلّي ثم آتيك . فقال للرسول : قل له : إن الذي كنت تصلي له قد جاءك فدع الصلاة وأقبل .

وقال رجل من بني ضُبَيْر : جيء بابن عون إلى بلال فتحدثنا بيننا أنه إنما جيء به بسبب قتادة فجاء قتادة فقام إليه ابن عون فقال : يا أبا الخطاب اتق الله فقد وجدتها بدار مَضْيَعَة .

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي

ثم لم نلبث أن دخلنا على بلال فقال لنا : اخرجوا ، فبقي ابن عون وقتادة فقال له بلال : طلقها ، قال : هي طالق . قال : طلقها ثلاثاً . قال : واحدة تبينها مني . قال : أتعلمني وأنا ابن أبي موسى صاحب رسول الله ﷺ ؟. قال : فهي طالق ثلاثاً . قال : يا أبا الخطاب في هذا شيء أكبر من هذا . قال : قد كانت الولاة تؤدب في هذا ، أو قال : تعزر في هذا السوطين والثلاثة ، فأمر بضربه ونحن نراه ، فضربه أربعة وأربعين نعدّها ثم خرج والدم يسيل .

قال أبو عبيدة : أخبرني يونس بن حبيب قال : زعم بلال أنه لو كان مكان أبي موسى ما خدعه عمرو بن العاص ، وقد خدعه يوسف بن عمر مجنون من ثقيف ، كتب إليه : لا سبيل عليك إنما وليت الصلاة والقضاء فأقم بمكانك وخذ العمال قِبَلَك بالاستخراج ، فأقام واستخرج له ما أراد ثم عدا عليه فحبسه حتى مات في حبسه .

قالوا : وكان بلال إذا غربت الشمس ، أو كادت تغرب ، وضع طعامه ، فإذا مدّ الناس أيديهم نودي بالصلاة فقام وقاموا ، فنودي مرة بالصلاة وقتادة يأكل فلم يقم ولم يقم رجل آخر معه فلحظه ، قال الرجل فلم يؤذن لي بعد ذلك أشهراً ، ثم إن امرأتي استعدته علي وادعت أني أَضْرُبُها وأُضِرُّ بِها ، فقال : صدقتِ وضربني أربعين سوطاً ، وإنما ضربني لأكلي طعامه مع قتادة .

وكان الناس يتفرقون عن طعام بلال للصلاة ، فيأخذه العسس والخدم ، فكان من حوله يشترون ذلك ، فكان من قرب منه يقولون : ما رأينا جاراً خيراً من بلال .

وقال بكر بن حبيب الباهلي : حكمت بلالاً في حاجة فقلت : أنت في كرمك وعدلك أحق من فعل هذا . فقال : وأنت في بلاغاتك وفصاحاتك لا تنقلب اليوم بحاجاتك . فقلت : لو علمت أن اللحن ينفعني عندك لخضرمت خضرمة أبي شيخ الفقيمي وكان لحاناً ، فقال له أبو شيخ : كيف

ذكرتني وتركت ابن عمك الذي يقرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالون ، ويقال لحضجت بها حضجات[١] أبي شيخ .

وقال العريان بن الهيثم لبلال بن أبي بردة إنه ليريبني بياض راحتيك ، ورَوْح قدميك ، وانتشار منخريك ، وجعودة شعرك - يُعرض له بالزنجية - فقال بلال : إني لأكره أن أجعل أبا موسى ندّاً للأسود ، وأبا بردة نداً للهيثم ونفسي نداً لك ، ثم تمثلّ :

أنـــا مسكـين لمن يعــرفني ولمن ينكــرني جِــدُّ نــطق
لا أبيع الناس عرضي إنني لو أبيع الناس عرضي لنفق

قالوا : ودخل مسلم بن الشمردل الباهلي على بلال فتربع ، فقال له بلال : جلست جلسة بغي ، فقال له مسلم : وإنك بجلوسهن لعالم . فقال : يا بن اللخناء .

وقال أبو نوفل لبلال :

أبلال إني رابني من أمركم قـولٌ تُـزَيِّنُـهُ وفعـل مُنكَـرُ
مالي أراك إذا أردت خيانة جَعَلَ السجودُ بِحُرٍّ وجهكَ يظهر
متخشعاً طبَّاً بكـل عظيمـةٍ تتلو القرَان وأنت ذئب أغبر

وقال الجارود بن أبي سبرة لبلال : أتدري ما قال حارثة بن بدر لعبد الرحمن بن أم الحكم ؟ قال : ما قال له ؟. قال : قال :

نهاره في قضايا غير عادلة وليله في هوى سعد بن عباد

---

١ - التحضيج شبه التضجيع في الكلام المبتدأ ، والاضجاع في القوافي كالاكفاء أو الاقواء ، وفي الحركات : كالإمالة والخفض . القاموس .

فأمر صاحب الجالية فأغرمني ثلاثمائة درهم وما في أرضي ذمي واحد .

وقال ابن نوفل :

أقول لمن يسائل عن بلال وعبد الله عند ثنا الرجال
بلالٌ كان ألأمَ مَنْ عَلِمْنَا وعبد الله ألأمُ مِنْ بلال
هما أخوان أما ذا فَجَوْنٌ[1] وأما ذا فأحمر ذو سبال

وقال بلال وهو في حبس يوسف بن عمر : لو سئلت مائة ألفٍ ، أو مائتي ألفٍ ، أو ألف ألفٍ لأدّيتُها ، ولكني دُفِعْتُ إلى مجنون ، فقال لصاحب عذابه من آخر الليل : إن أدى عشرة آلاف ألف درهم قبل طلوع الشمس وإلا فأزهق نفسه ، فقلت : لو كان عندي بِدَرٌ مهيئة ما فرغت من استيفائها في هذه المدة .

وقال بعضهم : ما قتل بلالاً إلا دَهْيَه ، قال للسجان : خذ مني مائة ألفَ وأَعْلِمْ يوسف بن عمر أني قَدْ مِتُّ .

وكان يوسف بن عمر إذا سمع بموت محبوس قال: ادفعوه إلى أهله، فأتى السجان يوسف فقال: قد مات بلال، فقال: أرنيه ميتاً فإني أحب أن أراه وهو ميت، فجاءه السجان فألقى عليه شيئاً غمه به حتى مات، ثم أراه يوسف.

قالوا: وخاصم عيسى بن عمر النحوي إلى بلال وجعل يُعرب وخصمه ينظر إليه متعجباً، فقال بلال: أَقْبِل على حجتك وَدَعِ النظر إلى خصمك فلأن يذهب حقه أحب إليه من أن يلحن.

---

١ ـ الجون : النبات يضرب إلى السواد من خضرته ، والأحمر والأبيض والأسود . القاموس .

قالوا: وحبس بلال بن أبي بردة ثلاثة نفر اتهمهم بالزندقة، فبلغ خبرهم ابن برهمة، وكان من أخص الناس بخالد بن عبد الله، فاستأذنه في إتيان البصرة فقدمها فأتاه الناس ولم يأته بلال وجعل يوهم الناس أنه قدم ناظراً من قبل خالد فأتاه ابن أبي العوجاء وعنده عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب، فرفع ابن أبي العوجاء وعبد الرحمن جالس على البساط، فقال ابن صُدَيقة وكان ماجِناً: عبد الرحمن على البساط وابن أبي العوجاء على الفراش، ثم جاءه فكلمه في الذين حبسهم فخلاهم، فقال يحيى بن نوفل:

زعم الزاعمون أن حسين بن عبيـ ـــد بـن بــرهمــة زنـــديــق
ولعمري لئـن هم زعمـــ ـــوه ما اشتطّوا وإنَّـه لخليـق
إن من يشـرب الخمــور ويزنـــ ـــي في خلاءٍ بما رُمِيْ لحقيــق

قال: وكان بلال سكيراً يعلن بشرب النبيذ.

قال أبو الحسن المدائني: أرسل بلال رسولاً إلى قصاب في جواره بالسحر، قال: فدخلت عليه وبين يديه كانون، وفي صحن الدار تيس، فقال للقصاب: اذبحه. قال: فذبحه وسلخه وشَرَّحَهُ وأنا بين يديه فأكله إلا عظامه، وبقيت مضغة على الكانون فقال لي: كلها، وجاءت جارية بقدر فيها دجاجتان وناهضان[1] وأرغفة فأكل مافيها، ثم دعا بشراب فشرب منه أقداحاً ثم أمر لي بقدح فشربته ثم قال: الحق بأهلك.

قالوا: واتخذ بلال حوانيت كانوا يبيعون فيها النبيذ فقال بعضهم:

لله در عصـابـة نـادمتـهـــم في كل بيــت من بيــوت بلال
باتــوا موتَّـرةٌ عليَّ قِسِيُّهُــم يرمونـي رشقــاً بغيــر قتــال

١ ـ الناهض: فرخ الطائر. القاموس.

الأصمعي عن أبي الزناد عن أبيه قال: عاتبت ابن هبيرة في بلال بن أبي بردة، وقلت: أراك تجفوه وتقصيه فقال: ويلك إن قربته أخذني فجعلني في كمه.

حدثني عمر بن شبه عن أبي عاصم، أخبرني أبي قال: كان كاتب يكتب خلف بلال فأقطر على ثوبه قطرة فقال: أتراني أحبك بعد هذا أبداً.

المدائني قال: كان بلال يخاف الجذام، فوصف له السمن، فكان يستنقع فيه، ثم يبيعه فترك أهل البصرة أكل السمن إلا أن يسلأه رجل في بيته.

وروي عن الجارود بن أبي سبرة قال: قال لي بلال بن أبي بردة: أتأتي صديقك اليوم عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر؟ قلت: نعم. قال: فما تصنعون؟ قلت: نأتيه وهو متصبّح[1] فنقعد حتى يستيقظ فإن حدثناه أحسن الاستماع، وإن سكتنا ساقطنا أحسن الحديث، ثم يأتي خبازه فيخبر بما عنده مما أعد، فإذا وُضعتْ المائدة أخوى تخوية الظليم وعَذَّر في الأكل، ويجيىء من عند بناته ونسائه ألطافٌ، حتى إذا أمعن القوم في الأكل حسر عن ذراعيه وجثا على ركبتيه واستأنف الأكل.

على بن محمد المدائني قال: استرضع أبو موسى لابنه أبي بردة في بني فُقَيم في العراق في آل الغَرِق، فلما قدم بلال البصرة قيل له: لو وليت أبا العجوز ابن أبي شيخ بن الغرق، فقال: رأيت منه ثلاثاً: رأيته يحتجم في بيوت أخوانه، ورأيت عليه مظلة وهو في الظل، ورأيته يبادر إلى بيض البُقيلة.

قال أبو الحسن المدائني: لما ولي بلال قال خالد بن صفوان: «سحابة

١ ـ الصبحة: نوم الغداة. القاموس.

صيف عن قليل تَقَشَّعُ» فدعا به فقال له: أنت القائل: سحابة صيف عن قليل تَقَشَّع؟. أما والله لاتقشع حتى يصيبك منها شُؤبوب[١] بَرَدٍ، فضربه مائة سوط.

ويقال إن خالداً كان يغشاه في سلطانه ويغتابه إذا غاب عنه، ويقول: ما في قلب بلال من الإيمان مثل ما في بيت أبي الزرد من الجوهر، وكان أبو الزرد الحنفي مفلساً، فأخذه بلال، وخاف خالد أن يقتله، فقال بلال: والله لا أتركك إلا بكفالة عشرة فيهم نعيم أخوك، فكفلوا به على أنه إن غاب فعليهم مائة ألف، فهرب خالد وأحضرهم فأخذ منهم بلال المائة الألف، فقال خالد:

فلا تحسبنّي يابن واهصة[٢] الخُصى ضعيف القوى لايستطيع التحولا
أتيح لنا من أرضه وسمائه بلال أراح الله منه فَعَجَّلا

فلما أخذ يوسف بن عمر بلالاً وثب عليه خالد فقال: أصلح الله الأمير، هذا بلال بن أبي بردة بن أبي موسى، وكان جده حلاقاً فاكتنى بموساه، وكانت جدته طهفة بنت ذمون حالكة الجلدة، قردة الشعر[٣]، وكانت أمُّه أَمَةً لأبيه يضربها في الدرهم، وتطوف في الأسواق وكأنّ رجليها حوافر حمار، يغمز العبيد شواكلها[٤]. فقال بلال: أنت تكلمني والأمير عنك راض وعليّ ساخط، وأنا غريب، وأنت على باب منزلك.

وكان يوسف بالحيرة يومئذ فنسبه إلى أنه من أهل الحيرة. قال: ألست

١ - الشؤبوب من المطر: الدفعة من المطر. القاموس.
٢ - الوهص: الجب والخصاء. القاموس.
٣ - قرد الشعر: تجعد. القاموس.
٤ - شكلت المرأة شعرها: ضفرت خصلتين من مقدم رأسها عن يمين [illegible]. القاموس.

خالد بن صفوان بن الأهتم القائم على برثنه[١]، وإنما أنت بمنزلة الكلب يجترىء على باب أهله، علق أبوه وعمه محررتين من محررات أهل البصرة، حتى إذا خاف أهلوهما فضيحتهما زوجوهما بهما، فأنت ابن أمة بني زياد، فقال خالد ليوسف: أيها الأمير، هذا أحمق الناس والله مايدري أين دار اعرابيته من دار هجرته، فقال بلال: بلى والله إن دار أعرابيتي اليمن ودار هجرتي المدينة، وأخبرك عن دار اعرابيتك وهجرتك، أما دار أعرابيتك فالحيرة وأما دار هجرتك فالبصرة.

ولم يزل بلال على البصرة حتى عزل هشام:

خالداً[٢] عن العراق في سنة عشرين ومائة، وولى يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي. وكان خالد جواداً.

حدثني عمرو بن محمد الناقد وعمر بن شبه قالا: حدثنا أبو نعيم، أنبأ فضيل بن الزبير قال: سمعت خالداً يقول: زمزم لاتُنزح ولاتُذَمّ، بلى والله انها لتُنزح وتُذَم، هذا أمير المؤمنين قد ساق لكم قناة بمكة من حالها وحالها.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده أن خالداً قال: إن نبيّ الله اسماعيل استسقى ربه فسقاه ملحاً أُجاجاً، وسقي أمير المؤمنين عذباً زلالاً، بئراً احتفرها له.

وقال أبو عاصم النبيل: ساق خالد الماء إلى مكة فنصب طستاً إلى جانب زمزم، ثم خطب فقال: قد جئتكم بماء الغادية لايشبه ماء أم الخنافس - يعني زمزم - .

---

١ - البرثن: الكف مع الأصابع. القاموس.

٢ - بهامش الأصل: خالد القسري.

وخطب خالد فأُرتج عليه، فقال: إن الكلام يجيء أحياناً ويَعْزُبُ أحياناً، وربما طُلِبَ فأبى، وكوبر فعصى، والتأني لمجيئه أيسر من التعاطي لأبيّه، وقد يختلج من الجريء جنانه، ويعتاص على الذرب لسانه، ثم قال: لايُكابرَ القول إذا امتنع، ولايُرَدّ إذا اتَّسع، وسأعود فأقول إن شاء الله.

وحدثني عبد الله بن صالح العجلي عن ابن كناسة قال: ارتج على خالد في خطبته فقال: أيها الناس إن الكلام يجيء أحياناً ويذهب أحياناً، فينطلق اللسان إذا أتى ويعجز إذا أبى، ولم يقصر بنا عن القول عَيٌّ، ولا عَرَضَ لنا دون بلوغ الإرادة إفحام، وللجواد كبوة، وللصارم نبوة، وسنعود فنقول إن شاء الله.

حدثني عمرو بن محمد الناقد وغيره قالوا: ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين عن رجل أخبره عن سفيان بن أبي عبد الله قال: سمعت خالداً يقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم زوج فاطمة، وأبا الحسن والحسين، هل كَنَّيْتُ[1].

المدائني قال: صعد خالد المنبر فأرتج عليه فقال: إن الكلام يعرض أحياناً فيتيسّر ويمتنع عند عزوبه، وأَولى من عذر على النبوة من عُرفت سهولته عليه. ثم نزل.

أبو عاصم النبيل عن عمر بن قيس انه سمع خالداً يقول حين أخذ سعيد بن جبير وطلق بن حبيب بمكة: كأنكم أنكرتم ماصنعتُ، والله لو كتب إليّ أمير المؤمنين أن أنقضها حجراً حجراً لفعلت ـ يعني الكعبة ـ.

---

١ ـ بهامش الأصل: عليك........رضي الله عن علي وسائر الصحابة أجمعين.

قالوا: وأمر خالد ببناء بيعة لأمه[١] فكلم في ذلك فقال: نعم يبنونها فلعنهم الله إن كان دينها شراًمن دينكم.

قالوا: وكلم في عامل له ضرب رجلاً، وسئل أن يقتص منه، فقال: أقتص من عامل؟ فوالله لئن اقتصصت منه لأقص من نفسي، ولئن اقتصصت من نفسي ليقصنّ أمير المؤمنين من نفسه، ولئن أقص أمير المؤمنين من نفسه ليقصن رسول الله ﷺ من نفسه، ولئن أقص رسول اللهمن نفسه ليقصن هاه هاه ـ يريده تبارك وتعالى[٢] ـ.

ويقال إنه قال: أرسول أحدكم أكرم عليه أم خليفة؟. ويقال إن الحجاج قال ذلك[٣].

حدثني عمر بن شبه عن أبي نُعيم عن سفيان الثوري قال: كان أول سلطان خالد يقال له العُرْس.

المدائني قال: لحن خالد في خطبته فقال: إن تكونوا رجبيّون فإنا رمضانيّون، وكان يقول: اللهم أصلح عبدك وخليفتك هشام أمير المؤمنين.

وقال خالد للفرزدق وقد مدحه: ما بالك لم تَقُلْ فيَّ كما قلتَ في قوم سمّاهم من قريش وغيرهم؟ فقال: هات أنساباً كأنسابهم وشرفاً كشرفهم حتى أقول فيك كما قلت فيهم. فأراد السطوة به ثم كف عنه لكبر سنه.

قالوا: وكان عاصم ابن راعي الإبل أتى خالداً ومعه ابنان له فوصله، ومات أحد ابنيه فدخل على خالد فقال: أتيناك ثلاثة ونؤوب

١ - بهامش نسخة الملكية: لأنها كانت نصرانية سوداء، ولعنها الله ولعن ابنها.
٢ - بهامش الملكية: كفر خالد القسري غير مامرة، وهذه أقبحها وأشنعها.
٣ - بهامش الأصل: ذبح الله من قال ذلك.

اثنين. قال: وماذاك؟ قال: مات ابني. قال: ذاك مالا أقدر على منعه. قال: فَدِيَتُهُ تدفعها إلي. قال: نعم. فدفع إليه دية فقال:

سننتَ من الموت الوداء ولم يكن مقاديره يـودى لحيٍّ مثيلها
فما سنّها من حميري مُتَّوجٌ ولا مِنْ مَعَدٍّ حيث يلقى فضولها

وقال الكميت ليوسف بن عمر:

حلفتُ بربّ البيت ما أم خـالدٍ بـأمـك إذ أصـواتنـا الهـالُ والهبُ
وإذ خـالـد يستـطعم المـاء قـائـماً يرى الحرب والداعي إلى الموت يَنْعَبُ[1]

وهجاه زياد الأعجم فقال:

لعمرك ما أدري وإني لسائل أمختونة من بظرها أم خالد
فإن تكن الموسى جرت فوق بظرها فما خُتنت إلا ومَصّان قاعد[2]

المدائني قال: لما أتى رسول هشام خالد بن عبد الله لتوليه العراق قال: رويداً يجفّ قميصي، فقال الرسول: انطلق أيها الرجل فإنك تدعى إلى قمص كثيرة.

-حدثنا بكر بن الهيثم عن عبد الرزاق عن حماد بن سعيد الصنعاني عن زياد بن عبيد الله قال: أتيت الشام فبينا أنا على باب هشام إذ خرج رجل من عند هشام فقال: من أنت يافتى؟ قلت: رجل من أهل اليمن، أنا زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي. فتبسم وقال: قم معي، ثم قال لي: قل لأصحابي ـ وأشار إليهم ـ : إن أمير المؤمنين ولاني وأمرني بالمسير ووكل بي من يزعجني، قلت: من أنت رحمك الله؟. قال: خالد بن عبد الله القسري. ثم

١ ـ شعر الكميت ج ١ ص ٨٥ ـ ٨٦ .
٢ ـ شعر زياد بن الأعجم ص١٦ ـ ١٧ .

قال: يعطى منديل ثيابي وبرذوني الأصفر، فأُعطيتُ ذلك، وقال: إذا سمعت إني قد وليت العراق يوماً فالحق بي، فما أمسى بعسكر هشام أجود ثوباً ولا أكرم مركباً مني، ولم ألبث إلا يسيراً حتى قيل: قد ولى هشام خالد بن عبد الله العراق فخرجت ووكلت العريف بقبض أرزاقي على أنها له إلى قدومي، وشخصت إلى العراق، فلما قدمت على خالد الكوفة وسلمت عليه أمر لي بدنانير وكسوة بقيمة ستمائة دينار.

وقال لي يوماً هل تكتب يازياد؟ قلت: لا أنا أقرأ ولا أكتب. فضرب بيده على جبينه وقال: إنا لله، سقط تسعة أعشار ماكنت أريده بك وبقي لك واحد، واشترى غلاماً كاتباً حاسباً وبعث به إلي فعلمني الكتاب حتى قرأت قراءة جيدة وكتبتُ، فدفع إليّ كتاباً من عامله، عامل الري فقرأته فسرّ بذلك وقال: قد وليتك عمله، فخرجتُ حتى قدمتُ الريّ، فأخذت عامل الخراج فأرسل إليّ: إن أمير المؤمنين هشاماً لم يُوَلِّ قط عربياً الخراج، فتغطرست عليه، فقال: خذ مني ثلاثمائة ألف درهم وأمسك عني، وأقمتُ على عملي، ثم كتبت إلى خالد: إني قد اشتقت إلى الأمير فليرفعني إليه. فلما قدمت عليه ولاني شرطه.

قالوا: وكان خالد أقرّ الصقر بن عبد الله على شرطه أشهراً، وكان ابن هبيرة ولاه الشرط ثم عزله، واستعمل خالد على الكوفة عبد الملك الأزدي، من أهل فلسطين، ثم عزله، وولى رجلاً يقال له عبد الله بن عمرو مِنْ بجيلة، ثم عزله، واستعمل أخاه عاصم بن عمرو، وولى زياد بن عبيد الله بعد عدّة عزلهم، فلم يزل عليها إلى أن ولي يوسف بن عمر العراق.

وقال بعضهم: كتب خالد بن عبد الله إلى أمه حين ولي العراق يدعوها إلى الإسلام ويسألها أن تقرب منه ليكون ذلك أقوى له على برّها، فلما قرىء عليها كتابه دعت بداوة وقرطاس وقالت للرسول: اكتب: «قد قرأت كتابك، فأما دعاؤك إياي إلى دينك فقد نصحت لي فيه بجهدك لأنك ارتضيت لي ماارتضيت لنفسك، وديني لي ودينك لك.

وأما برّي فلعمري إنك قادر عليه حيثما كنت، واعلم بأني قرأت في بعض الكتب أن الرجل إذا أتى كبيرة اسودّ ثلث قلبه، وإذا أتى أخرى اسودّ ثلثا قلبه، فإذا أتى الثالثة اسودّ قلبه كله، فأتى ماأتاه من قبيح وهو يراه حسناً، وأكبر من ذلك كله الدماء».

فلما جاءه كتابها يئس منها، فأرسل إليها بمال اتخذت به بيعة بالشام تدعى بيعة أم خالد.

وحدثني عبد الله بن صالح عن قوم من أهل الكوفة قالوا: اتخذ خالد طستاً في مسجد الكوفة ميضأة، وحفر لها قناة من الفرات، ثم أخذ بيد أسقف النصارى يمشي به في المسجد حتى وقف على الطست ثم قال للأسقف: ادع لنا بالبركة، فوالله لدعاؤك أرجى عندي من دعاء علي بن أبي طالب.

قال: واتخذ كنيسة لأمه في قصر الإمارة، وكانت امتنعت من القدوم عليه فلم يزل بها حتى قدمت الكوفة، وأمر المؤذنين ألا يؤذنوا حتى يضرب النصارى بنواقيسهم.

وقال هشام ابن الكلبي والهيثم بن عدي: لما بنى خالد البيعة بالكوفة لأمه، كتب نصارى البصرة إلى من كلم أمه، فكتبت إليه أن يبني لهم بالبصرة بيعة، فكتب إلى بلال يأمره ببنائها فكتب بلال: إن أهل البصرة لايقارّوني

على ذلك، فكتب إليه: ابنها لهم فلعنة الله عليهم إن كانوا شراً منهم ديناً، فبنى بيعة في اللبادين فقال الفرزدق.

بنى بيعة فيها الصليب لأمه وتهدم للبيعات فينا المساجد[١]

وحفر خالد النهر المعروف بالمبارك فقال الفرزدق، ويقال الموج التغلبي:

كأنك بالمبارك بعد شهر تخوض غموره بقع الكلاب
كذبت خليفة الرحمن عنه وسوف يرى الكذوب جزا الثواب[٢]

وقال الفرزدق في شعر له:

أعطى خليفته بقوة خالد نهراً يفيض له على الأنهار
إن المبارك كاسمه يسقى به حرث السواد وناعم الجبار
وكأن دجلة حين أقبل مَدّها ناب نمد له بحبل قطار
إن كان أجرى ماءَ دجلة خالدٌ فلطالما أَعْيَتْ على الإجرار
يا دجل كنت عزيزة فيما مضى حتى أصابك خالد بصغار[٣]

وكتب خالد إلى هشام يستأمره في عمل منظرة على دجلة، فكتب إليه هشام: لو كان هذا ممكناً لسبق الفرس إليه: فراجعه فكتب إليه هشام: إن تيقنتَ أنها تتم فاعملها. فعملها فلم يلبث أن قطعها الماء فأغرمه هشام ما أنفق عليها.

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص١٦٠ مع فوارق.
٢ ـ ليسا في ديوان الفرزدق.
٣ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص٢٦٩ مع فوارق.

وكان الفرزدق قال حين لم يُثِبْهُ خالد على الشعر الذي قاله في المبارك:

أهلكت مال الله في غير حقه   على نهرك المشؤوم غير المبارك
وتضرب أقواماً صحاحاً ظهورهم   وتترك حق الله في ظهر مالك
أإنفاق مال الله في غير حقه   وتركاً لحق المرملات الضرائك[1]

يعني مالك بن المنذر بن الجارود.

حدثني أبو مسعود الكوفي قال: بنِي خالد لأمه بيعة هي اليوم بسكة البريد بالكوفة، وكانت أمه نصرانية، فقال الفرزدق.

لعمري لئن كانت بجيلةُ زانها   جرير لقد أخزى بجيلةَ خالد
بنى بيعةً فيها الصليب لأمه   ولم تُبْنَ فينا إذ بناها المساجد

ويروى: وتُهدم للبيعات فينا المساجد.

قالوا: وبنى خالد حوانيت أنشأها، وجعل سقوفها أزاجاً معقوداً بالآجرّ والجصّ وحفر خالد النهر المعروف بالجامع، واتخذ في القرية قصراً يعرف به.

قال الأصمعي وغيره: خرج خالد يوماً يتصيد فإذا هو بأعرابي على أتان له ومعه عجوز، فقال له خالد: ممن الرجل؟. قال: من أهل المآثر والحسب. قال: فأنت إذاً من مضر، فمن أيها؟ قال: من الطاعنين على الخيول، المعانقين في النزول. قال: فأنت إذاً من بني عامر، فمن أيها؟ قال: من الطالبين الثار، والمانعين الجار، قال: فأنت إذاً من بني كلاب، فمن أيها؟ قال: من بدرها وشمسها وليوثها في خيسها. قال: فأنت إذاً من بني

١ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص٥٩ مع فوارق.

الأحوص. قال: نعم. قال: فما أقدمك هذه البلاد؟. قال تتابع السنين وقلة الرافدين، قال: فمن أردت بهذا البلد؟. قال: أميركم هذا الذي ترفعه إمرته، وتضعه أسرته. قال: وماأردت منه إذ كان كذلك؟. قال: كثرة دراهمه لا كَرَمَ آبائه. قال: أفتوصلتَ إليه بشعر؟ قال: نعم. قال: فأنشدناه. فقال: ياأم جحش أنشديه. قالت: هيه كم تسومنا اليوم مدح اللئيم. قال: إنه لابد منه. فأنشدت:

إليكَ ابنَ عبد الله للحمد جاوزتْ بنا البيد عيسٌ كالقِسيِّ عَياهم
عليهنّ بيضٌ من ذؤابة عامرٍ حَدَتْهُم سِنُونَ مُجحفاتٌ مَشَائِمُ
يَزُرْنَ امرأً يعطي على الحمد ما له تهونُ عليه للثَّنَاءِ الدراهم
فإن يعطنا شيئاً فهذا ثناؤنا وإنْ تكن الأخرى فَمَا لَكَ لائم

فقال خالد: ماأعجب أمرك، تقول فيه ماقلت ثم تمدحه بهذا الشعر، أفتعرفني؟

قال: لا. قال: أنا خالد وسأعطيك ولا أكافئك. فقال: ياأم جحش اصرفي وجه الأتان راجعةً. قال: إني مُغْنيك. قال: ماكنت لأسمع رجلاً مكروها ثم أَرْزَؤُهُ شيئاً. فقال خالد: بمثل صبر الشيخ أدرك آباؤه من الشرف ما أدركوا.

ويقال إن خالداً خرج ومعه بعض ولد المغيرة، وبعض ولد جرير بن عبد الله، فرأى هذا الأعرابي وكان مسناً فقال له: ماتقول في المغيرة بن شعبة؟ قال: أعور زَنّاء. قال: فما تقول في الأشعث؟ قال: لايعتزى[1] قومه مابقي

١ ـ بهامش الأصل: يعزى.

أحد من ولده. قال: فما تقول في خالد بن عبد الله؟. قال: ترفعه إمرته وتضعه أسرته. قال: فهذا من ولد المغيرة وهذا من ولد جرير وأنا خالد. فقال: يأم جحش انصرفي عنهم. فقالوا له: صر معنا إلى الكوفة نرفدك ونصلك ولانؤاخذك بقولك. فقال: ماكنت لأستمنح قوماً أسمعتهم كلاماً. وانصرف[1].

حدثنا عبد الله بن صالح قال: بلغنا أنه دخل على خالد بالكوفة شيخ كبير فمثل بين يديه فقال: شيخ كبير ضرير، حدته إليك سنة أبدت العظام وألزمت الغني الإعدام، ذهب ماله، ودُعدتْ[2] آباله، وغُيرت أحواله، فإن رأى الأمير أن يجبره بفضله، وينعشه بِسَجْلِه، ويردَّه إلى أهله. فقال خالد: ممن الرجل؟ وإياك أن تكذب فإن الكذب عار لازم وذل دائم. قال: رجل من بني تميم. قال: لاقرب الله دارك، ولاسهل محلك، ولاحَيّا مزارك. فقال الأعرابي: مارأيت كاليوم منطقاً أقطع، ولاكلاماً أشنع، ولا ردّاً أوجع، لقد سمعت قولاً أمرّ من الحنظل، وأيبس من الجندل، وأحرّ من المرجل، ماأعطيتَ من قُدرة ولانَعَشْتَ من عثرة، ولا أقلتَ من صرعة.

قال خالد: هل لك في أن أقارعك وإن قرعتك لم أعطك شيئاً، وإن قرعتني أعطيتك؟. فقارعه خالد فقرعه فقال: أَقِلْني فأقاله. ثم قارعه فقرعه خالد فقال: أقلني فأقاله، ثم قارعه فقرع خالداً فقال: أقلني. قال: لا أقالني الله إذاً. قال: أعطوه بدرةً يدخلها في حِر أمه، فقال الأعرابي: وأخرى في استها، فضحك وأمر له ببدرتين.

---

١ ـ بهامش الأصل: قال ابن الأعرابي: هذا الخبران مصنوعان.

٢ ـ التدعدع: مشية الشيخ الكبير. القاموس.

وأتت امرأة من بني قشير خالداً فمثلتْ بين يديه فقالت:

إليك يابن السادة الأماجد يعمد في الحاجات كل عامد
أشبهت ياخالد خير والد أشبهت عبد الله في المحامد
فالناس بين صادر ووارد مثل حجيج البيت نحو خالد
ليس طريف المجد مثل التالد

فقال لها خالد: من أنت؟. قالت: امرأة أكبَّ عليها الزمان فلم يدع لها سبداً ولا لبداً ولا صافناً ولا ماهناً. فقيل لها: هل لك أن يتزوجك الأمير؟. قالت: والله لئن فقدتُ نشباً مافقدتُ حسباً وما كنتُ لأتزوج دعياً، وإن كان مثرياً غنياً.

الهيثم بن عدي قال: أُلقيتْ بين يدي خالد تراسٌ فقال لمن عنده: اغمزوها أيها أصلب. فغمز رجل منهم يقال له عامر ترساً فضرط، فقال خالد: ما على رجل أمر رجلاً بأمر فأضرطه؟. قالوا: أربعون درهماً. فأمر له خالد بأربعين ألف درهم فقال شاعر من بني تميم:

أيضرط عامر من غمز ترس فيحبوه الأمير بها بدورا
فيا لك ضِرطةً عادت بخير ويا لكِ ضرطةً أغنَتْ فقيرا
فَوَدَّ القوم لو ضرطوا جميعاً فنالوا من عطيته عَشيرا
أتقبل ضارطاً ألفاً بألفٍ فَتَرْخِصُ أصلح الله الأميرا

فقال: خالد: ماسررنا بواحدة لما جاءتنا فما حاجتنا إلى ألف. أعطوه ألفي درهم. وقد قيل إن هذا كان عند بشر بن مروان، وهو الثبت.

وقال بعضهم:

أيقبض أربعين معاً ألوفاً لقد أُعطي بضرطته كثيرا

وقال خالد حين أُنشد قول الكميت:

إن الخلافة كائنٌ أوتادها ... بعد الوليد إلى ابن أم حكيم[١]

يعني مسلمة بن هشام أبا شاكر ، فقال خالد : أنا كافر بكل خليفة يكنى أبا شاكر .

وبلغ أبا شاكر قوله فحقده عليه ، فلما مات أسد بن عبدالله أخو خالد كتب مسلمة إلى خالد كتاباً فيه شعر لابن نوفل ، وكان معه ، لحق به هارباً من خالد .

أراح من خالد وأهلكه ... رب أراح العباد من أسدِ
أما أبوه فكان مؤتشباً ... عبداً لئيماً لأَعْبُدٍ قُعُدِ
يَرَىٰ الزِّنَاءَ والصَّلْبَ والخمـ ... ـر والخنزير حِلاً والغَيَّ كالرَّشدِ
وأمه هَمُّها وبُغْيَتُها ... هَمُّ الإماءِ المَوَاهِنِ الشُرُدُ
كافرةٌ بالنبيِّ مؤمنةٌ ... بِقَسِّهَا والصليب والعُمُد[٢]

فلما قرأ خالد الكتاب قال : يا عباد الله من رأى كهذه تعزية رجل عن أخيه .

المدائني قال : بصق خالد يوماً فقصر عن حيث أراد ، فقام عنبسة بن سعيد بن العاص فأخذ بصاقه بمطرفه حتى اقتلعه ، فقال خالد : لحسنٌ والله ما صنع ، ثلاثٌ لا تعاب على الشريف : خدمته أميره وقيامه بنفسه ، وخدمته ضيفه . ثم قال : ما مالك يا أبا خالد ؟ فقال : وهل تركتْ لي دار أبي بالكوفة وواسط مالاً. فقال خالد: والله لعلالتنا أمثلُ من علالتك،

---

١ ـ شعر الكميت ج ٢ ص ١٠٥ .
٢ ـ بهامش الأصل : يعني بالعمد ، المعمودية .

قد أمرنا لك في دارك بواسط بمائة ألف درهم وفي دارك بالكوفة بخمسين ألفاً .

المدائني وعبدالله بن صالح قالا : قال خالد بن عبدالله يعرض بعَنَبَة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، وكان عَنَبَة يستدين : إن الرجل لايزال يستدين في ماله حتى إذا انفده استدان في دينه . فقال عَنَبَة : إن الرجل يكون ماله أكثر من مروءته فيبقى له ماله ، وتكون مروءته أكثر من ماله فيفنى ماله وتبقى له مروءته ، فقال خالد : صدقت وإنك لمنهم .

قال عبدالله بن صالح : أراد عبد الرحمن بن عَنْبَسَة بناء داره بظاهر الكوفة ، فركب معه خالد بن عبدالله القسري ومع خالد : العُرْيَان بن الهيثم ، وهو يومئذٍ على شرطة خالد فجعل خالد يطوف ويقول : قدّم الحبل أيها الغلام ، فيقول العريان : أنشدك الله أن تضيق على أحيائنا وأمواتنا . فقال عبد الرحمن بن عنبسة : اسكت فوالله ما أنطقك إلا السيف الذي قلدناك . فقال العريان : بل سيف عمي الذي أخرج به أباك حتى ألحقه بالمدينة قال : أما والله لأَبْشُرَنَّكَ بَشْرَ الأديم ، فقال : شفرتُك أَكَلُّ من ذاك .

فقام اسماعيل بن واسط البَجْلي فقال : يا عريان ، أترفع صوتك على صاحب الأمير؟ فقال : اسكت .

يا مالكُ بن مالكٍ بنَ سيف ذميم يجهـل حقَّ الضيـف
سلح حباري سلحتْ في صيف

وتكلم عبدالله بن عياش فقال له العريان : إنما قيمة همدان كلها رغيف . فقال ابن عياش : اسكت فإنما تشبع النخع في كل أضحى ، وسار خالد وبنىٰ عبد الرحمن داره .

حدثني عمر بن شبة ، حدثنا ابو عاصم النبيل ، حدثني نصر بن أشرس الباهلي قال : دخل العريان على القسري فقال : مكرمة لم تُسْبَق إليها . قال : وما هي ؟ قال : تمنع الموالي من أن يشربوا في عساس الخلنج[1] ، وأن يتكلموا بالعربية ، وأن يشربوا لبن اللقاح . فقال جبلة بن عبد الرحمن : أما الخلنج فإنا غرسناه في أرضنا رطباً ونجّرناه يابساً فنحن أولى به ، وأما ألبان العرب فإن لنا في البان البخاتي غنىً عنه ، وأما العربية فقد صدق هم أَوْلَىٰ بها ، ولكن لِيَدَعُوا الخزّ ، وركوب البراذين ، وأكل الشبارقات[2] ، وأما الكلام فلن نتكلم إلّا بالزنجية .

وَقال يحيى بن نوفل للعريان :

أعريان ما يدري امرؤ سِيْلَ عنكم أَمِنْ مِذحج تُدْعَوْن أَمْ لإياد
فإن قلتم من مذحجٍ إنّ مذحجاً لبيض الوجوه غير حر[3] جعاد
وأنتم صغار الهام سودٌ كأنما وجوهكم مطلية برماد

وقال أيضاً :

سَمَّتْكَ أمك عُرياناً وقد صَدَقَتْ عُرِّيْتَ من صالح الأخلاق والدين
زعمتَ أنك عدلٌ في إمارتكم وأنت أسرق من ذئب السراحين

١ ـ خلنج : شجر ، فارسي معرب ، يتخذ من خشبه الأواني . القاموس .
٢ ـ الشبارقات : ما اقتطع من اللحم صغاراً وطبخ . القاموس .
٣ ـ الحر من الوجه: ما بدا . القاموس .

وقال أيضاً :

هل أنتَ يا عُريان وَيْحَكَ مُخْبِري بأبيكَ دُونَ الهيثم بن الأسودِ

وله فيه شعر أيضاً . فحلف العريان ليضربنّه حتى يسلح من سوط أو أكثر ، فلم يزل يحتال له حتى أتي به ، وقد كان صار إلى مسلمة بن هشام ، وبلغ ابن نوفل يمينه فضربه فجعل يقول : قد فعلت ، فقال العريان : لا والله أو يفضح بها ، فافتضح فقال : قد خريت أو قال قد سلحتُ فقال العريان :

محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وقال العريان :

تَيَمَّمْ حميراً واترك ثقيفـا فَهُمْ جَلَدوك يوم الدار حَدًّا
فلما أنْ جُلدتَ وكنت فَسْلاً سلحتَ ولم تجد من ذاك بُدًّا

قالوا : وأرسل بلال عون بن عبيد وآخر من أصحابه إلى هنادة بنت عيينة بن أسماء بن خارجة يخطبانها فقالت : والله ما كنت لأتزوج رجلاً أنتما خِدناه وأليفاه من هذا المصر .

وهجا ابن نوفل خالداً بصحبته عون هذا فقال :

ولو كنت عونياً لأدنيت مجلسي إليك أخا قيس ٍ ولكنني فَحْلُ
رأيتك تُدنى ناشئاً ذا عجيزةٍ يحجر عينيه وحاجبه الكحلُ
فوالله ما أدري إذا ما خلوتما وأُرْخِيَتَ الأستار أَيّكُما البَعْلُ
أأنت الذي يعلو عليك إذا خلا بكَ الأقمر المولىٰ أَمَ انتَ الذي تعلو

وقال ابن نوفل في خالد :

ألا أيهذا الذي نفسه إلى كل مُنْكَرَةٍ تائِقه
رضيت من العيش والعالميـ ـن بعون اليفا وبالرائقة
بضخم المآكم[1] في كمه دنىء مَوَدَّتُهُ مائِقَه
وكفاك كف تحوز العطاء وكفٌ لأرزاقنا سارقه

وقال ابن نوفل :

ونُبِّئْتُ عوناً وتبّاً له ونبئت عن خِدْنِهِ خالدِ
بأنهما عند وقت العشاء يبيتان في نمطٍ واحدِ
ويغتبقان الشراب الذي يُحَلُّ به الجَلْدُ للجالدِ
شراباً يوافق شرب اليهود ويُكرهُ للناسك العابدِ

قالوا : وبعث خالد محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة الأنصاري إلى اسماعيل بن جرير بن عبدالله يخطب إليه ابنته أم إسحاق بنت اسماعيل ، فقال : أبلغ الأمير السلام واعلمه أن عمه جريراً أوصىٰ ألا تخرج واحدة من بناته إلاّ إلى رجل من قريش وهو أحق من لم يثرب وصية عمه ، ولم يحاول نقضها مع أنا أمَّلْنَاه لعيالنا وأعقابنا ، فوالله ما كان عنده ما ظننا به ما سهل في أذن ولا رفع من قدر ، فلما أتت خالداً رسالته أمسك . وبلغ الخبر ابن نوفل فقال :

لعمري لقد أصبحتَ حاولت خطةً مُمَنَّعَةً والدهر يقذف بالعَجَبْ
أتخطب جهلاً إن وُلِّيْتَ إمارةً بنات جريرٍ في المكارم والحَسَبْ

---

١ ـ المآكمة : لحمة على رأس الورك ، وهما اثنتان ، أو لحمتان وصلتا بين العجز والمتنين ، جمعه مآكم . القاموس .

وأنتَ دَعِيٌّ ليس يُعرف أصله ... منوط بقسر كالعلاقة في الحَقَبْ
فَرَدَّك رَدَّ العبد إذ جئت خاطباً ... وهل يُنْكِحُ الأحرارُ عبداً إذا خَطب

في أبيات . وقال أيضاً :

أخالد لا جزاك الله خيراً ... وأيرٌ في حِرِ امِّكَ من أمير
تمنى الفخر في أولاد قسرٍ ... كأنك من سراة بني جرير
وكنت لدى المغيرة عبد سوءٍ ... تبـول من المخـافـة للزبـير
وقد قلت اطعموني الماء جُبناً ... ولؤماً إذ خَرِيْتَ على السرير

وكان المغيرة بن سعيد[1]

هذا ظهر أيام خالد وكان يظهر التشيع لآل علي فروي عن جعفر بن محمد أن المغيرة بن سعيد كان يأتي محمد بن علي فيستفتيه ثم يمضي فيكذب عليه ، فقتل بالكوفة ، قتله خالد بن عبدالله القسري .

حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي عن أبي بكر بن عياش عن عيسىٰ بن المغيرة قال : كان الشعبي يقول للمغيرة بن سعيد مولى بَجيلة : ما فعل الإمام ؟ فيقول : لا تهزأ به . فيقول : لست أهزأ به ، إنما أهزأ بك .

ودخل المغيرة على عبدالله بن حسن بن حسن فقال : إنا نجد المهدي ابنك محمداً فَأَرِنِيْهِ ، فأراه إياه ، فقال : هُوَ هُوَ .

حدثنا محمد بن الصباح البزار عن يحيى بن المتوكل عن كثير النَّواء قال : قال أبو جعفر : فعل الله بالمغيرة وبيان فإنهما كذابان علينا أهل البيت .

١ ـ بهامش الأصل : المغيرة بن سعيد .

قالوا : وأتى المغيرة جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فقال له : أقِرَّ بعلم الغيب حتى أجبي لك العراق . فقال : أعوذ بالله . ثم أتى محمد بن علي بن الحسين فقال له مثل ذلك فزجره وشتمه .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود عن يحيى بن آدم عن عبدالله بن ادريس عن جار له قال : سمعت مغيرة بن سعيد يقول : مات عثمان بن عفان وهو يعبد سبعة آلهة ، فأخبر خالد بن عبدالله بذلك ، فأرسل إليه فأخذه فاعترضته فقلت : في أي شيء أخذت ؟ قال : لا أدري إلا أن يكون حميات لأنبي .

قالوا : وكثر تبع مغيرة وتنبأ ، وتنبأ بيان فخرج على خالد فقتله وصلبه فيقال إن خالداً أحرقهما . وقال خالد حين بلغه أمر المغيرة وبيان : اطعموني ماء . فقال ابن نوفل في ذلك ما قال . وقال مالك بن أسماء بن خارجة :

طال التجاوز من بيانٍ واقفاً ومن المغيرة فوق جسر العاشر
يا ليته قد سال جذعا نخلةٍ بِبُنَيَّ درٍّ وابن قيس الماصر[1]

وقال الأصمعي وأبو عبيدة :

كان خالد على مكة .

ولاه الوليد بن عبد الملك سنة خمس وتسعين فكان عليها حتى مات الوليد ، وولي سليمان فأقرّه أشهراً ثمانية أو سبعة ثم تنازع الأعجم عبيدالله بن شيبة بن عثمان ومصعب بن شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان

١ ـ مصر الشاة أو الناقة : حلبها بأطراف الأصابع الثلاث ، أو الإبهام والسبابة فقط ، وهي ماصر : بطيئة خروج اللبن . القاموس .

العبدريان ، فكان هوىٰ خالد مع مصعب ، فكتب الأعجم إلى سليمان مع ابن ابنه محمد بن طلحة بن الأعجم يشكو تحامل خالد عليه ، وعلى ولده ، فكتب سليمان إلى خالد انه لا سبيل لك على الأعجم وولده ، فقدم طلحة بالكتاب على خالد وهو بفخ مستنقع في ماء ، فلما رآه قال : صيدك إن لم تحرمه[1]، ثم ضربه مائة سوط، وقال أبو عبيدة: ضرب الأعجم نفسه فخرج بنفسه وثيابه التي ضُرِب فيها فألقاها بين يدي سليمان ، وقال : إنه لما قرأ كتابك ضربني ، فكتب سليمان إلى داود بن طلحة بن هدم الحضرمي ، وكان عامله على قضاء مكة ، بولايته على مكة وبقطع يد خالد . فكلم يزيد بن المهلب سليمان ، وكان حاضراً ، فقال : إن كان ضربه قبل أن يقرأ كتابك ضُرب فكتب سليمان : إن كان ضربه بعد قراءته كتابي فاقطع يده ، وإن كان ضربه قبل قراءته فاضربه مائة سوط كما ضربه ، فقدم بالكتاب عشية عرفة وخالد واقف بالناس ، فدفع الكتاب إلى داود الحضرمي ، فقرأه وأمر بخالد فنحي عن مقامه ، ووقف بهم داود . فلما انقضى الموسم وخالد محبوس قعد له وللأعجم ، فادعىٰ أنه ضربه بعد قراءته الكتاب فخاف خالد على يده أن تقطع فجعل يصيح : نشدت الله رجلاً شهد ضربي إياه قبل أن اقرأ الكتاب إلّا قام بشهادته ، فقام داود بن عِلي بن عبدالله بن العباس ، وكان على السقاية يومئذ فشهد له بذلك ، وشهد له عبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر بن كريز ، فأمر داود بن طلحة بجلد خالد فضرب مائة سوط ، فجزع جزعاً شديداً وجعل يمد يده والفرزدق حاضر فقال : اضمم

---

١ ـ ورد هذا المثل في : مجمع الأمثال للميداني تحت رقم (٢٠٨٨) بعنوان : صيدك لا تُحْرَمُه .

إليك جناحك يا بن النصرانية . فضم خالد يده فكان ذلك أهون للضرب عليه . فقال : والله ما أراد الفرزدق نصيحتي .

وقال الفرزدق :

سلوا خالداً لاقدس الله خالداً متى وليتْ قسرٌ قريشاً بدينها

في أبيات قد ذكرناها .

ويقال إن خالداً أمر الأعجم بفتح البيت فأبى ذلك عليه فكان ذلك في نفسه على الأعجم حتى ضربه به ، وسمّي الأعجم لرتّةٍ كانت في لسانه .

وقالت أم الضحاك النضرية من بني نضر بن معاوية :

لعمري لقد باع الفرزدق عرضه بخسفٍ وصلّى عرضه حاميَ الجمر
وكيف يسامي خالداً ويسبّه خميصٌ من التقوى بطين من الخمرِ

فلم يزل خالد محبوساً بمكة حتى حج سليمان سنة سبع وتسعين فكلمه فيه المفضل بن المهلّب ، فقال له سليمان : يا أبا عثمان ، أطّتْ بك الرحم ولا رحم بينكما ، إنه قبحه الله قد جَرَّعَني غيظاً ، قال : فلْيَهبَ ذلك أمير المؤمنين لي . قال : قد فعلت وأيم الله ، ليخرجنّ إلى الشام راجلاً ، فمشى خالد إلى الشام وشكر ليزيد والمفضل ما كان منهما ، فأجاز عبد الرحمن بن يزيد حين ولي العراق بمائة ألف .

وكتب هشام إليه يأمره أن يستنفر الناس إلى الغزو مع الجرّاح بن عبد الله ، فقدم عليه ناس من آل المهلب فردّهم ولم يُغْزِهم إلاّ عثمان بن المفضل فإنه وصله وأغزاه ، وقال : لولا مخافة ألاّ يحتملها لي أمير المؤمنين لعقدت له على البصرة .

وقالوا :

كان أسد بن عبد الله

على خراسان من قبل أخيه ، وكان شديد العصبية لا يملك نفسه ، فأُخبر عن نصر بن سيار ، ومنصور بن أبي الخرقاء السُّلمي ، والبَخْتَري بن مجاهد مولى بكر بن وائل ، وعبد الرحمن بن نعيم وسَوْرة بن الحرّ أنهم يُصَغّرونه ويقولون أُمَيْر ، فدعا بهم وضربهم في جوانب مجلسه ، وحلق رؤوسهم ولحاهم ، وأرسل بهم إلى خالد ، فلما أُتي بهم خالد سَبَّ أسداً أخاه حين لم يبعث برؤوسهم وقال : أشبه أمه . وكانت من عُرَيْنَة ، ثم أمر بهم خالد فحبسوا ، ثم أمر ابنه يزيد أن يكلمه فيهم ليشرفه بذلك فكلمه فأخرجهم وأجازهم وخيّرهم أين ينزلون ، فاختاروا أن يردهم إلى خراسان ، إلّا نصر بن سيار ، فإنه قدم البصرة فابتنى مسجداً بحضرة بني يشكر ، وهو يعرف به ، ولم يأت خراسان حتى عزل عنها أسد ، وولي أشرس السلمي ، فقال الفرزدق :

أخالد لولا الله لم تعط طاعةً ولولا بني مروان لم توثقوا نَصْرَا
إذاً لوجدتم دون شد وثاقه بني الموت لا كُشْفَ اللقاء ولا ضُجْرا
مصاليت أبطالاً إذا الحرب شمرت أُمرّوا بأطراف القنا مرراً شَزْرَا[1]

في أبيات .

قالوا : وبعث خالد إلى هشام بمال ، وبعث إلى علي بن عبدالله ، ومحمداً ابنه بمال ، وكان يتعهدهما بصلته .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٢٣

حدثني عبدالله بن صالح المقرىء عن ابن كُناسة وغيره قالوا : كتب خالد إلى مالك بن المنذر أن خذ الفرزدق فاحبسه ، وكان يحقد عليه أشياء ، وأظهر أنه إنما حبسه لأنه هجا نهر هشام ، فأمر مالك أيوب بن عيسىٰ الضَّبي ، فاحتال له حتى أخذه . وكانت ضبة أخوال الفرزدق فهجا أيوب بشعر فيه :

ستأتي ابن زبّ الخنفساء قصيدة يكون له مني عذابا يُباشره
مَتَتُّ له بالرحم بيني وبينه فألفيتُه مني بعيداً أُواصره
وقلتُ امرؤٌ من آل ضَبَّة فاعتزىٰ إلى غيرهم جلد استه ومناخره
فلو كنت ضبّياً عرفت قرابتي ولكنّ زنجياً غليظاً مَشَافِرُهُ[1]

فلما ورد بالفرزدق على مالك أمر أن يوقر حديداً ويجلس فقال ، وكان يصلي قاعداً :

خذا بيديَّ فارفعاني إليكما لعلّي أصلّي قائماً غير قاعد
لئن قارب القسريّ خَطوي لطالما تناولتُ أطراف الهموم الأباعد
بمأمومة الأعضاد خوص من السُّرىٰ خفاف الأداوي ناقصات المزاود[2]

وقال أبو عبيدة : أخبرني أعيَن بن لَبطة بن الفرزدق عن أبيه قال : كنت آتي مالك بن المنذر لأنشده شعر أبي فأُحجب ، ويرسل إليّ : إنّ أمر أبيك إلى غيري ، فالتمسوا له وجهاً سواي . فكتب الفرزدق مع ابن أخ له ، ومعي إلى هشام بشعر يقول فيه :

---

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ مع فوارق كبيرة .

بعثت إليك ابني يا خير من مشىٰ ويا خير مطلوب إليه لخائف
فلو كنت أخشىٰ خالداً أن يروعني لطرتُ بوافٍ ريشه غير جاذف
كما طرتُ من مِصْرَيْ زياد وإنه لتصرف لي أنيابه بالمتالف
ألم يك منكم آل مروان منعم عليّ بِنُعمىٰ بادىءٌ ثم عاطف
ألم يَكْفِني مروان لما أتيتُه زياداً وَرَدَّ النفس بين الخوالف
عجبتُ لقومي إن رأوني تضرعوا وإن غبتُ كانوا بين واشٍ وقاذف[1]

وقال لسعيد بن الوليد الأبرش الكلبي :

إلى الأبرش الكلبي أسندتُ حاجةً تَـوَاكَلَهَا حيا تميم ووائل
على حين إن زَلَّتْ بي النعل زلّةً وأخلف ظني كل حافٍ وناعل
فدونكها يابن الوليد فقم بها قيام امرىء في قومه غير حامل
فإنك من قوم كرام أعزة إذا عضّ يوماً شره بالكواهل[2]

فكلم فيه هشاماً ، فكتب إلى خالد بتخلية سبيل الفرزدق ، فقال الفرزدق :

لقد وثب الكلبي وثبة ماجد إلى خير خلق الله نفساً وعنصرا
أبى حلف كلب في تميم وعقدها لما سنَّتِ الآباء أنْ يتغيرا[3]

ويقال إن هشام بن عبد الملك أنفذ كتابه إلى خالد مع جرير بن عطية ، فلما قدم عليه أنشده جرير :

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٧ ـ ١١ مع فوارق واضحة .
٢ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .
٣ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

لقد كان داء بالعراق فما لقوا ... طبيباً شفى أدواءهم غير خالد
سقاهم برفقٍ خالط اليُمْنَ والتُّقَى ... وسيرة مهديٍّ إلى الحق قاصد
فهل لك في عانٍ وليس بشاكرٍ ... فتنقذه من طول عض الحدائد
يعود وكان الخبث منه سجية ... وإن قال إني معتب غير عائد
بني مالك إن الفرزدق لم يزل ... كسوباً لعار المخزيات الخوالد[١]

ويقال : كان الرسول غير جرير .

ويقال : وفد عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير في أمر الفرزدق إلى هشام حتى أخذ كتاباً بإطلاقه فقال الفرزدق : أنا أسير قسريٍّ ، في حبس عبديٍّ ، طليق كلبيٍّ . وقال :

لافضل إلا فضل أمٍّ على ابنها ... كفضل أبي الأشبال عند الفرزدقِ
تداركني من هوّة كان قعرها ... ثمانين باعاً للطويل العَشَنَّقِ[٢]

وكان أسد حين ورد كتاب هشام خليفة أخيه بواسط ، وذلك أن خالداً كان غائباً عن واسط ، يقال إنه حج في سنته . وقال في أسد :

وكم لأبي الأشبال من فضل نعمة ... تُعَدُّ وأَيْدٍ أطلقتني سعـودها
فأصبحت أمشي فوق رجليّ قائماً ... عليها وقد كانت طويلاً قعودها
وكم يا بن عبد الله من فضل نعمة ... بكفّيك عندي لم يغيّب شهودها[٣]

في أبيات .

---

١ ـ ديوان جرير ص ١٣٦ ـ ١٤٠ .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٢ ، والعشنق : المفرط الطول .
٣ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان الفرزدق المطبوع .

حدثنا الرفاعي عن عمه عن عبد الله بن عياش الهمداني ، والمجالد بن سعيد عن الشعبي قال : حضرت خالداً وقد أُتي بقوم فأمر بضربهم فقلت : أصلح الله الأمير ، إن أول من جعل السجن كان حليماً ، فعليك بالتؤدة ، وأياك والعجلة فإنك على فعل ما لم تفعل أقدر منك على رد ما فعلت ، فَأُمُرْ بحبسهم حتى يثبت في أمرهم . قال : أصبت أبا عمرو ، وحبسهم .

وقال المدائني : هذا لعمر بن هبيرة .

حدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم قال : كان خالد يزوج أقاربه ويسوق عنهم المهر ، فأراد أن يزوج بعضهم فذهبت عنه الخطبة فقال : إني والله أروي في النّكاح كذا وكذا خطبة ، وما يحضرني الآن منها شيء ، فاشهدوا إني قد زوجت فلانا فلانة ، وأصدقتها عنه كذا .

المدائني عن غير واحد قالوا : كان خالد سخياً بالمال شحيحاً على الطعام ، ولم يكن له طعام إلاّ لنفسه خاصة ، لا يحضره أحد يأكل معه ، فأكل معه رجل يوماً فأجاد الأكل فقال لحاجبه : لا يدخلن هذا علي .

وقال الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : كان مصقلة العبدي طويل اللحية عريضها ، فدخل على خالد بن عبد الله فقال له : يا مصقلة ، لو أخذت من لحيتك . فقال : أَعَزْمَةٌ فأُطيع أم مشورة فأَقْبَلُ ؟. قال : لا واحدة منهما . ثم قال : ما فعل ابنك الفضل ؟ وكانت ـ أمه ابنة الغضبان بن القَبعثري ـ فقال : هلك رحمه الله فقد كان آخذاً لأربع تاركاً لثلاث ، كان آخذاً لقلوب الرجال اذا حَدَّث ، حسن الاستماع إذا حُدِّث ،

حسن البشر إذا هو لقي ، جميل القول إذا خولف ، تاركاً لمداعبة الأحمق ومقارفة المآثم ، وإيتان ما يُعتذَرُ منه .

قال الهيثم : وقال خالد بن عبد الله : إني لأحبّ قتل الرجل ماله عندي ذنب الا استخفاف حاجبه بي وشدة حجابه لي .

وقال الأصمعي : قال خالد : كنت أطعم في الحَطْمَةِ ستة وثلاثين ألفا في كل يومٍ تمراً وسويقاً .

قال أبو الحسن المدائني : إنما أطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم ثلاثين ألف إنسان خبزاً وسويقاً وتمراً ، فقيل لأعرابي : لو أتيت خالداً فإنه يطعم الأعراب فأبى وقال :

يقول ابن حجاج تجهز ولا تمت هزالاً بِحَرَّان تَعاوي ذئابها
فأقسمُ لا أبتاع رغفان خالدٍ بأرواح نجدٍ ما أقام ترابها

وقال الهيثم بن عدي : قال ابن عياش : كانت حطمة خالد ، فجاءت قيس وتميم وأسد وكلب وبَلي ، فكان يطعمهم ثلاث أكلات : أكلة بلحم ، وأكلة بعدس ، وأكلة بلبن أو بخل وزيت ، وكان يُحَسِّيهم السمن ويقول : لا تبدأوهم بالطعام فيموتوا فإن الأمعاء تضيق ، ثم يُحَسُّون بعد السمن المرق ، فأنفق عليهم تسعين ألف ألف درهم ، وكتب إلى هشام : إني أنفقت على الأعراب من مالك ليكثر لك الدعاء وعليك الثناء ويجب لك الأجر .

فكتب إليه هشام : يا بن أم خالد إياي والخدع ، والله لا أحسبها لك أبداً . فقال جُوانانبه ابن رأس البغل : لك عندي خمسة آلاف ألف درهم ،

وقال بعض الدهاقين : لك عندي عشرة آلاف ألف ، وتبادر الدهاقين حتى حملوها عنه .

المدائني قال: دخل رجل على خالد بن عبد الله فقال: أصلح الله الأمير، أكلمك بهيبة الآمل أم بجرأة اليائس؟قال: بهيبة الآمل،وقضى حوائجه.

حدثني أحمد بن الحارث عن المدائني عن عوانه وأبي اسماعيل الهمداني قالا: كفل ابن بيض الحنفي بهشيم بن صفوان،وجميل بن حمران بألف ألف،فمات هشيم فجلس ابن بيض فكتب إلى أبان بن الوليد:

مستكين بألف ألفٍ أسير   هالك أو إخال إني مُوْدِ
لو بعشرين أو ثلاثين حبسي   كان حبسي بالهيِّنِ الموجود
فتذكرت من لروعات دهرٍ   ذي بنات بيضٍ وحُمْرٍ وسُودِ
من لها ياسعيد قال أبان   فاغتنمها أبان يابن الوليد

فأراد أبان أن يكلم خالداً فيه فوافاه، وقد جاءه كتاب منه فيه:

ألم تر أني على عَيْلَتي   تَحَمَّلْتُ للحين حملاً ثقيلا
هُشَيْمَاً تحملتُ من شقوتي   وَثَنَّيْتُ بعد هُشيم جميلا
فأودى هُشيم بما عنده   فأورثني ذاك هَمَّاً دخيلا
وما بي تفرق أيتامه   وإن أصبحوا بعد عيش كلولا
ولكن بني الألى عن قليل   يرون أباهم وشيكا قبيلا
أطعني فإني امرؤ ناصح   وخذ من فزارة غيري كفيلا
عليك عيينة أو مالكاً   وقيساً تجده وقوراً حمولا
فخذهم جميعاً بما عندهم   فأهل القتيل يلون القتيلا

وإن عدت في مثلها بعده وجئتك من عثرة مستقيلا
فمر بي عطاءً وأشياعه ينوطون رجليّ حتى أبولا

يعني عطاء بن مقدّم، كان على عذاب خالد بن عبد الله، واستخراجه.

وكان ابن هبيرة ولى هشيم بن صفوان الفزاري فارس، فلما ولي هشام وشى هشيم بابن هبيرة وزعم أنه اقتطع اثنا عشر ألف ألف درهم.

وأبان بن الوليد[1] بن عبيدالله بن مالك البجلي.

قالوا: وكان أبان بن الوليد يجالس ابراهيم وابن شبرمه، فكان ابراهيم إذا نظر إليه قال: ويحه أي خارجي هو، فلما قدم خالد بن عبد الله الكوفة عرض على ابن شبرمه العمل فقال: لاحاجة لي فيه ولكن اجعلني من أعوانك وارفع عني النوبة والمكروه ففعل فكان في الديوان.

وقال المدائني: كان أبان كاتباً لإياس بن معاوية بن قرة المزني، وكان إياس يلي سوق واسط والحسبة، أجبره ابن هبيرة على أن ولاه ذلك وضربه أربعين سوطاً حتى تقلده، فكان أبان يحمل الدواة والقرطاس لإياس، فلما قدم خالد ولاه الشرطة فقال ابن نوفل:

وهذا أبان بنيّ الوليد خطيباً إذا قام لم يحصرِ
أبعد الدواة وحمل الطروس وبعد الكتاب على الدفترِ
ظللت أميراً بأرض العراق للهفي على البيدق الأعورِ

---

١ ـ بهامش الأصل: أبان بن الوليد.

وحمل أبان الحربة يوماً، فجعل ينتظر خروج خالد ليحملها بين يديه، فقال له رجل: لو وضعت الحربة حتى يخرج الأمير أو دفعتها إلى من يمسكها، فقال: لوددت أن رجلاً أعطاني حربة أخرى أسير بها بين يديه.

وكتب هشام إلى خالد: إنك وليت شرطتك رجلاً حدثاً فلو وليتها ذا حنكة، ونقلت صاحبك إلى ماهو أجدى عليه منه، فقال خالد لأبان: قد جعل أمير المؤمنين أصلحه الله السبيل لي إلى ما أحب فيك، فولاه فارس وقال: كلها هنيئاً مريئاً، وولى شرطته العريان بن الهيثم بن الأسود النخعي، فأتى علي بن زيد بن عبدالله بن أبي مليكة، واسم أبي مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان أبان بن الوليد بفارس فوصله بخمسة عشر ألف درهم، ويقال بثلاثة عشر ألفاً فقال له: إن منيت بها على شيخ من قريش كانت إليها حاجة، قال يا أبا الحسين منّتُكَ علينا في زيارتنا أعظم.

وقال ابن نوفل يهجو أبان بن الوليد:

أخالد وليت امرأً حدّ سارق ... حكومة أهل المصر ياضيعة الحكم
أليس أبان أمس بالري أُرسلتْ ... عليه سياط الجعفري بلا ظلم
فلا تضربنّ الدهر للخمر شارباً ... فمن قبلهم أغلى بعاتقة الكرم

وقال ابن نوفل أيضاً:

ما سمعنا لابن الوليد أبان ... باب دون عامر بن قداد

فكان أبان يقول: قولوا لابن نوفل ينتسب إلى أبوين من حمير، فأما أبواه من موالي ثقيف فمعروفان.

وكان ابن نوفل يزعم في أيام الحجاج أنه من ثقيف، فلما كانت أيام خالد قال: أنا من حمير، فقال أبو عطاء السندي:

يقول ابن نوفل فيما يقول أنا ابن الكلاعيّ من حمير
ودار الكلاعي عُلويّة ودار ابن نوفل في نفر

وللكميت في أبان شعر منه قوله:

لا واضعٌ عن مطيّ الحمد أرجله يوماً ولا هو للعوراء منتدب
أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب

وأتى أبان بن الوليد جندل بن الراعي عبيد بن حصين النميري فقال له:

نفس عصام سوَّدت عصاما

فأعرض عنه واستلقى فقال ابن نوفل:

رأيت أبا الوليد وفيه إحن إذا ما المرء واجهه الكلاما
أقر لجندلٍ والقوم فوضى علانية وشبَّهه عصاما
ووقره لها جهلًاوأَغْضَى عليه العين فاستلقى وناما

ولما حبس يوسف بن عمر عمال خالد حبس أبان بن الوليد وعذبه فقال:

طال في الحبس مجلسي وثوائي واصطباري للجهد واللأواء
كل يوم يُعْدَى علي ولا قـ ـوة لي أو يراح بالعذراء
فإلى الله لا إلى الناس أشكو ما أرى من شماتة الأعداء
ربّ إني كُلّفْتُ ما ليس عندي فعويلي إليك رب السماء
فلئن مت أو قتلت فمحمـ ـود كريم الصنع في الأحياء
كم وكم منّة ستذكر إن مـ ـت لديهم ومن يدٍ بيضاء
فاندبيني إن مت أم حصين للندى والتقى وبذل العطاء

المدائني وغيره قالوا:

أُتي خالد بن عبد الله برجل تنبأ بالكوفة وقال إنه قد أُنزل علي قرآن فقال له خالد: ما قرآنك؟. قال: «إنا أعطيناك القاهر، فصل لربك وجاهر، ولاتطع كل فاجر، مغتر بالله كافر». فأمر به خالد فضرب حتى أثخن، ثم أمر به فصلب، فقال له حمزة بن بيض الحنفي وهو يشد على الخشبة: إنا أعطيناك العمود، فأطل عليه الركود، وصلّ لربك على عود، وأنا ضامن ألا تعود». ولم يلبث أن مات.

قالوا: وأتى محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان خالداً يستمنحه فلم ير منه مايحب فقال: أما المنافع فللهاشميين، وأما نحن فما حبوتنا منه إلا شتمه علياً على منبره. فبلغ ذلك خالداً فقال: إن أَحبَّ تَنَاوَلْنَا له عثمان بشيء.

المدائني قال: كان عامة عمال خالد الدهاقين فقتل دهقان منهم بفارس، فأمر خالد بنفي العرب وعيالاتهم من السواد، فقال ابن نوفل:

أيُقْتَلُ عامل بدرابجردٍ فتنفون العباد من السواد
لعلك أن ترى عما قليل عيالك يُسْلَبُون بكل واد

المدائني قال: خطب أخو خالد اسماعيل بن عبد الله عند أبي العباس، ويقال عند أبي الجهم بن عطية، أحد رجال الدولة، فذم عمال بني أمية والحجاج وابن هبيرة ويوسف بن عمر، ولم يذكر خالداً، فقام بعض من حضر فقال: جزاك الله من خطيب خيراً، ذكرت أهل بيت اللعنة وعمالهم وأحسنتَ في ذمهم، إلا أنك تركت خالداً، وهو ابن زُوَينية اجتمع في بطن أمه الخمر

ولحم الخنزير، وسلّط أهل الذمة على المسلمات فعلقوهنّ بثديهن، وبنى البيع غير متحرج ولامرتاب.

وقال ابن نوفل:

عليك أمير المؤمنين بخالدٍ وعماله إن كنت تطلب خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لأمه وخرّب من بعد الصلاة المساجدا

وقال حمزة بن بيض بن يمن بن عبد الله بن شمر بن عمرو بن عبيد الله بن عمرو بن عبد العزيز بن سحيم بن مرة بن الدؤل بن حنيفة:

ليتني من بجيلة اللؤم حتى يعزل العامل الذي بالعراق
وإذا عامل العراق تولى عدتُ من أسرتي الكرام العتاق

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين، ثنا الفضل بن الزبير قال: أمسى خالد بالصلاة يوماً فقام إليه شاب من كندة فقال: الصلاة أصلحك الله. فقال: لعنك الله، أو لسنا في الصلاة؟.

حدثني داود بن عبد الحميد عن مروان بن معاوية، حدثني عبيد الله بن الوليد قال: قلت لعطاء بن أبي رباح: ماتقول في صاحبٍ صاحبَ هؤلاء فلم يكتب معهم شيئاً مما يدخل ويخرج؟ قال: منَ الرأس؟ قلت: خالد بن عبد الله. قال: أما تقرأ ماقال العبد الصالح: ﴿رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾[1].

ومدح ابن بيض خالداً فقال:

وأبوك آدم كان عند وفاته أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الأبناء

---

١ ـ سورة القصص ـ الآية: ١٧ .

أخبرني عبد الله بن صالح عن ابن كُناسة أن خالد بن عبد الله كان يقول: أيها الناس عليكم بالمعروف فإن فاعل المعروف لايعدم جوازيه، فمهما ضعف الناس عن أدائه قدر الله على جزائه.

وقال أيضاً: أيها الناس تنافسوا في المكارم فإنها أعظم المغانم واشتروا الحمد بالجود، ولاتكسبوا بالمطل ذماً.

وقال خالد: أيها الناس عليكم بالمعروف فإن المعروف لو كان رجلاًلرأيتموه حَسَناً بسناً(١) ذا بشر ومروءة ولاتملوا النعم فتعود نقماً.

وقال: أيها الناس لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوهاً قبيحاً تنفر عنه القلوب وتُغَضّ دونه الأبصار، ومن لم يطب حرثه لم يَزْكَ نبتهُ.

حدثني محمد بن أنس الأسدي عن ابن كناسة قال: دخل الطرّماح على خالد فقال: ياأبا نفر أنشدني، فقال: اجلس ثم أنشدك، فقال: لا إلا قائماً وإلا فلا شيء لك عندنا فخرج وقال:

إني نقيّ بطائن الأطمار(٢) حراً أموت ولم يَشِنِّي مطمعٌ

وقال بعض قريش: إن أبا نفر لعظيم المروءة.

المدائني قال: لما أتى ابن الراعي خالداً فمات ابنه وأعطاه خالد ديته، قال أبو الجويرية العبدي:

وبَدْأَةُ مجدٍ لم تكن فاقترحتها إلى كل أفقٍ فاحتوتها القصائد
ضمنت ابن راعي الإبل أن حان يومه وشقَّ له قبرٌ بأرضك لاَحِـدُ

---

١ - بَسَنَ: اتّبَاعٌ لِحَسَنٍ وأبْسَنَ الرجل: حسنت سحنته. القاموس.
٢ - ديوان الطرماح - ط. دمشق ١٩٦٨ ص٢٤٠، وفيه «الإضمار».

خبـاء لمثـوى زائـر فـوديتـه فدتك الأكفّ طلقها والجوامد
وقد كان مات الجود حتى نشرته وأذكيتَ نار الجود والجود خامد

فأعطاه ثمانية آلاف ، وقال : أنت أشعر من ابن الراعي .

وقال الفرزدق :

وما الشمس ضوء المشرقين إذا بدت ولكن ضوء المشرقين بخالد[1]

قالوا : وكان طارق مولىٰ خالد ابن اخت سعيد بن راشد ، وسعيد مولى النخع ، وكان طارق يأخذ من كل سفينة ذات شراع أربعة دراهم ، ومن كل مصعدة ثمانية دراهم ، وكان متحاملاً على عبدالله بن عبد الرحمن بن سعيد بن عتاب بن أسيد ، وابن لعنبسة بن سعيد . فشكواه إلى خالد وقالا : هو يضربنا في أرضين لنا . فقال خالد : أما سمعتما قول القائل :

أسجد لقرد السوء في زمانه وارفق به مادام في سلطانه
وإن تلقّاك بقيروانه

قالا : بلىٰ . قال : فأرضياه . فحملا عهدتي أرضيهما وأتيا طارقاً . فقال : ما حاجتكما ؟ فقالا : كنا ننازعك فيما تأخذه منا ، وقد أتيناك بعهدتي أرضينا فاقبضهما هنيئاً مريئاً . فقال : فعلتما ما أنتما أهله في شرفكما . ودعا بأشرية عنده على ضياع فقال : دونكما هذه العُهَد وعُهدتيكما فدخلا على خالد بَعْدُ ، فقال : أسجدتما للقرد ؟ قالا : نعم وقد أحسن وأجمل .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن ابن كناسة قال : كان بين عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص وبين جعفر بن عمرو بن حريث

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٣٢ .

مُماظّة[1] ومعاتبة ، فدخل جعفر بن عمرو على خالد ، وعنده عبد الرحمن بن عنبسة ، وعلى صدر خالد صبي يقبله ويلاعبه ، فقال لعبد الرحمن وكان جالساً إلى جنبه وخالد لا يسمع : من هذا الصبي ؟ قال : ابني . قال : أصلح الله الأمير ، نحّ هذا الصبي عن صدرك فما رأيت أقذر منه وأنت تقبله ، فقال خالد : أفي نفسك على أبي عبدالله موجدة أو شيء ؟ قال : ومن أبو عبدالله ؟ قال : أسد أخي . فقال : أصلح الله الأمير ، ما عرفته ولكن هذا الفاسق خدعني وغرني وزعم أنه ابنه ، فضحك خالد حتى فحص برجليه .

قالوا : وأتى خالداً رجل من ولد السليل الشيباني فقال : أصلح الله الأمير إني حملت عشر ديات وأتيتك معتمداً ، قال : فاحتكم . قال : نصفها . قال : قد فعلت . فخرج فلامه أصحابه وقالوا : حكّمك الأمير أفلا حكمت بها كلها ، وسمع خالد ذَرْوَاً[2] من قولهم فقال : ما يقولون ؟ فأخبربه فقال : ردوه ، فلما ردوه قال : قد أقلتك ، وأمر له بالعشر كلها . قال : فانصرف بألف بعير .

المدائني قال : دخل خالد بن عبدالله على عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته فقال له : ما زينتك الخلافة ، ولكنك زينتها ، ولا شرفتك ولكنك شرفتها وإنك لكما قال الشاعر :

---

١ ـ مظظته : لمته وماظظتُه مماظة ومظاظا : شاررته ونازعته ، والخصم لازمته . القاموس .
٢ ـ ذرت الريح شيئاً : أطارته ، والذرو من الحديث ما ارتفع إليك وترامي من حواشيه وأطرافه . النهاية لابن الأثير .

وتزيدين طَيِّبَ الطِّيْبِ طيبا إن تَمَسِّــيـه أيــن مــثــلك أيــنـا
وإذا الـدُّر زان حُسْنَ وجـوهٍ كان للدر حسنُ وجهك زينا

فقال عمر : أعطي هذا الرجل مقولاً ولم يعط عقلاً .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : كان فروخ أبو المثنى على ضياع هشام متقبلاً بها ، وكان قد تقبل بنهر الرمان ، فقيل له فروخ الرماني فثقل على خالد فقال لحسان النبطي : ويحك اخرج إلى أمير المؤمنين فزد على فروخ ، فزاد عليه ألف ألف ، فثقل حسان على خالد فجعل يُضِرُّ به ، فقال له : لا تفسدني فإني صنيعتك ولا تضرنّ بي ، فأبى ، فشخص حسان فقال لخادم من خدم هشام : إن تكلمت بكلمة أقولها لك حتى يسمعها أمير المؤمنين فلك عندي ألف دينار . قال : فعجلها ، ففعل . فقال : بَكِّ صَبْياً من ولد هشام ، فإذا بكىٰ فقل : تبكي كأنك من ولد خالد القسري ، غلته ثلاثة عشر ألف ألف لا يؤدي منها شيئاً وهو يأكل العراق ، فسمعها هشام ، ودعا بحسان فسأله عما سمع فقال : لعمري إن غلته هذا المال . فكانت في نفس هشام حتى عزله .

وكان خالد يقول لابنه يزيد : ما أنت بدون مسلمة بن هشام ، وإنك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر أحد بمثلها : سَكَرتُ دجلة ولم يتكلف ذلك أحد ، ولي سقاية بمكة ، وولاية العراق .

المدائني قال : كان خالد كثيراً مما يذكر هشاماً فيقول : ابن الحمقاء الورهاء[1] ، وكانت أم هشام كذلك فكتب مرة إلى هشام كتاباً غاظه فيه

١ ـ الورهاء : الحمقاء . القاموس .

فكتب إليه هشام : بلغني أنك تقول ما ولاية العراق بشرف لي ، فيا بن اللخناء كيف لا تكون إمرة العراق شرفاً لك ، وأنت من بجيلة ، القليلة الذليلة ، أما والله إني لأظن أول من يأتيك صقر من قريش يشد يدك إلى عنقك .

قالوا : وكتب هشام إلى خالد : بلغني أنك تقول أنا خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كُرْز ، ووالله ما أنا بأشرف الخمسة ، أما والله لأردنّك إلى بغلتك وطيلسانك القيروي .

وبلغ هشام أن خالدا يقول لابنه : كيف أنت إذا احتاج إليك ولد هشام ، فأغضب ذلك هشاماً .

وأتى رجل هشاماً فسأله عن خالد فقال : لقد سمعته يقول فيك قولاً عظيماً فبحثه عنه فقال : هو أفظع من أن يواجه به أمير المؤمنين فقال : أقال لك الأحول ؟ قال : أعظم من ذلك . ولم يزل يُبلغ هشاماً عنه ما يكره حتى تغير رأيه فيه، وكان أثيراً عنده ، والذي كان الرجل سمعه يقول ابن الورهاء .

وأتى دهقانٌ خالداً فقال له : إن غلة ابنك اليوم عشرة آلاف ألف ولا آمن من أن يبلغ ذلك أمير المؤمنين فيستكثره ، وإن الناس يحبون جسدك ، وأنا أحب روحك وجسدك ، فقال : ويحك دع ابني فلربما طلب ألف درهم فلم يقدر عليها .

قالوا : وأتت امرأة خالداً فقالت : أصلح الله الأمير ، إني امرأة مسلمة وإن عاملك فلان وثب علي وهو مجوسيّ فأكرهني على الفجور ،

وغضبني نفسي ، فقال : كيف وجدتِ قلفته ؟ فكتب حسان بذلك إلى هشام ، فكان ذلك مما دعاه إلى عزل خالد ، وولاية يوسف بن عمر .

وقال خالد : أن أكرم الناس عفواً من عفا عن ذنب أخيه بعد قدرة ، ومن لم يَطِبْ حَرْثُهُ لم يَزْكَ نَبْتُهُ ، والفروع على مغارسها تنمى ، وعلى أصولها تسمو

نشأ الصغير على أخلاق والده إن العروق عليها ينبت الشجر

قالوا : أخفى هشام عزل خالد بن عبدالله ، وكان :

يوسف بن عمر الثقفي[1]

عامله على اليمن ، فكتب هشام إليه بخطه يأمره أن يقبل في ثلاثين من أصحابه إلى الكوفة ، وبعث بالكتاب بعهده على العراق ، ووجه بذلك شَعْوَذياً[2] . ويقال بل كان عنده رسول ليوسف بعثه في حوائج له فحمله العهد ، وكتب الولاية والتسليم ، فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة في سبعة عشر يوماً فعرس[3] قريباً منها ، وقد ختن طارق خليفة خالد على الخراج ولده ، فأُهدي له ألف عتيق وألف وصيفة سوى المال والثياب وغير ذلك ، فجاء رجل إلى طارق فقال له : إني رأيت قوماً أنكرتهم وزعموا أنهم سفار .

---

١ ـ بهامش الأصل : يوسف بن عمر .
٢ ـ الشعوذي : رسول الأمراء على البريد . القاموس .
٣ ـ أي نزل بآخر الليل للإستراحة . القاموس .

وصار يوسف إلى دور ثقيف فأمر بعض الثقفيين أن يجمع له من قدر عليه من مضر ففعل ، فدخل يوسف المسجد مع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة ، فقال : حتى يأتي الإمام . فانتهره فأقام ، وتقدم يوسف فصلىٰ وقرأ : ﴿إذا وقعت الواقعة﴾[١] و﴿سأل سائل﴾[٢] ، ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا ، وإن القدور لتغلي .

وقال أبو عبيدة : حبس يوسف خالداً فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ، ثم ندم يوسف وقيل له : لو لم تقبل هذا المال لأخذت منه مائة ألف ألف درهم ، فقال : ما كنت لأرجع عن شيء رهنت به لساني .

وأخبر أصحاب خالد خالداً فقال : أسأتم حين أعطيتموه هذا المال في أول وهلة . ما يؤمنني أن يأخذها ثم يرجع عليكم فارجعوا إليه . فأتوه فقالوا : إنا أخبرنا خالداً بما فارقناك عليه من المال ، فذكر أنه ليس عنده ، فقال : أنتم أعلم وصاحبكم فأما أنا فلا أرجع عليكم وإن رجعتم لم أمنعكم ، قالوا : فإنا قد رجعنا ، قال : فوالله لا أرضى بتسعة آلاف ألف ومثلها ومثلها ، فذكر ثلاثين ألف ألف ويقال مائة ألف ألف .

وقال الكميت يمدح يوسف ويهجو خالداً بقصيدة طويلة منها :

لأجري من الآلاء آل أبي عمر   اللائي لها كنت أضرب[٣]
أناس يبارون الرياح فلا القرىٰ   بكيّ ولا الجاني لديهم مؤنّب

١ ـ سورة الواقعة ـ الآية : ١ .
٢ ـ سورة المعارج ـ الآية : ١ .
٣ ـ عجز هذا البيت مضطرب الوزن .

يظل اليتامىٰ الشعث حول جفانهم عيالاً عليهم والضريك المعصّب
فداهم من الأقوام أولاد خالد ومعشره أيام يرجّىٰ ويُرْهَبُ
فأنت لدين الله فينا وطيده وأنت على الأحساب فينا المذبِّبُ
خرجت لهم تمشي البراح ولم يكن ليحصنه منه الرتاج المضبَّبُ[1]

حدثنا العمري عن ابن عياش قال : أجمع هشام على عزل خالد لأنه اتخذ بالعراق أموالاً ، وحفر أنهاراً حتى بلغت غلته عشرين ألف ألف درهم ، منها نهر خالد كان يغل خمسة آلاف ألف درهم ، وباجوا ، وبارمانا والجامع ، والمبارك ، ولَوْبَة ، وسابور ، والصلح ، وأمواله بالبصرة والبحرين ، وكان يقول كثيراً : ابني هذا مظلوم ، ما تحت قدمي من شيء إلّا وهو له ، لأن عمر جعل لبجيلة ربع السواد ، ثم صالحهم عنه .

قال الهيثم : فحدثني الحسين بن عمارة عن العريان بن الهيثم قال : قلت لخالد يوماً : إن الناس قد رمقوك بأبصارهم وحدجوك[2] ، وهي قريش وليس بينك وبينهم آل ، وهم يجدون منك بدآ ، وأنت لا تجد منهم بدآ ، فأنشدك الله لما كتبت إلى هشام تخبره خبر أموالك ، وتعرض عليه ما أحب منها ، فما أقدرك على اتخاذ مثلها ولا يستفسدك ، وإن كان حريصاً ، وأعطه طائعاً خير من أن تعطيه كارهاً ، وله عندك اليد الجليلة التي تحفظ ولا تنسىٰ ، وإنما نلت ما نلت في سلطانه ، فإنه إن رفع عليك رافع ، وسعىٰ بك ساع لم آمن عليك أن يحوزها .

١ ـ ليست في ديوانه المطبوع .
٢ ـ حدج : ضرب بالتهمة ، والتحديج : التحديق . القاموس .

قال : ماأنت بمتهم ، ولا يكون ذاك أبداً . فقال : أطعني واجعلني رسولك إليه فوالله لا يحل عقدة إلاّ شددتها ، ولا يشد عقدة إلاّ حللتها ، قال : إني والله ما أعطي على الذل ، فكان العريان يقول : كأنك بها قد أخذت منه على الذل والصغار .

حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عياش أن بلال بن أبي بردة كتب إلى خالد ، وهو عامله بالبصرة ، حين بلغه تعتب هشام على خالد ، يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له فسار إلى الكوفة في يوم وليلة على الجمّازات[1] فقال له خالد : يا أبا عمرو لقد أتعبت نفسك فقال : لأنه بلغني تعتب أمير المؤمنين عليك ، وما بغاك به ولده ، وأهل بيته ، فإن رأيت أن تعرض عليه بعض أموالنا ليأخذ من ذلك ما أحبّ فافعل ، فإن أنفسنا طيبة بما نعطيه ، فقال : يا بلال إني والله ما أعطي شيئاً قسراً ، فقال : أتكلم أيها الأمير؟ قال : نعم ، قال : يقول لك هشام وليتك ولا شيء لك فلم تر على نفسك من الحق أن تعرض علي بعض ما صار إليك ، وأخاف أن يزين له حسان النبطي ما لا تستطيع تلافيه ولا تداركه ، فاغتنم هذه الفترة . قال : أنظر في ذلك فانصرفْ راشداً ، فانصرف بلال وهو يقول : كأنكم بهذا الرجل وقد بُعث إليه رجل بعيد الرحم ، سخيف الدين ، بغيض النفس ، قليل الحياء ، فأخذه بالإحن والترات ، فكان كما قال .

وقال ابن عياش : كان بلال اتخذ داره بالكوفة ، وإنما استأذن لينظر إلى داره ، فما نزلها إلا مقيّداً ، ثم جعلت سجناً إلى اليوم .

---

١ ـ جمز الانسان والبعير ، وثب ، وهو عدو دون الحُضر ، وفوق العنق . القاموس .

قال ابن عياش : كان خالد يخطب فيقول : تزعمون أني أُغلي أسعاركم ، فعلى من يغليها لعنة الله ، وكان هشام بن عبد الملك كتب إلى خالد ألاَّ يُبَاعَنَّ من الغلات شيء حتى تباع غلة ولد أمير المؤمنين ، فبلغت الكيلجة[1] درهما .

قالوا : ولما غلب هشام ، وقَلّ صبره على ما يبلغه عن خالد ، أزمع عزله ، وكتم ذلك سالماً كاتبه ، لصداقة كانت بينه وبين خالد ، فكتب إلى يوسف بن عمر بخطِّهِ بولاية العراق ، وإلى خالد بالتسليم .

المدائني عن بشر بن عيسى عن أبيه عن الربيع بن شابور مولى بني الحريش قال : أتى هشاماً كتاب خالد ، وقدم عليه في ذلك اليوم رسول ليوسف بن عمر ، فقرأ هشام كتاب خالد ، فلما صلى المغرب نهض فصلى ركعتين ثم رفع يده يدعو ، فقلت في نفسي : إنه ليستخير الله في عزل خالد ، فكتب عهد يوسف من ليلته مع الرسول ، والرسول لا يدري ما معه .

قال الهيثم : فسمعت أشرس مولى بني أسد ، وكان تاجراً ليوسف يحدث الحسن بن عمارة قال : أتانا كتاب هشام فقرأه يوسف فكتمنا ما فيه ، وقال : أريد العمرة ، فخرج وأنا معه ودكين بن شجرة العاملي ، وأخوه قرواش ، وحجاج النصري ، وكانوا أصحاب محمد بن يوسف الذين يؤانسهم ، قال : فخرجنا واستخلف ابنه الصلت على اليمن ، فما كلم أحداً منا بكلمة حتى انتهى إلى العُذيب ، فأناخ وقال : يا أشرس ، أين

---

١ ـ الكيلجة : مكيال . القاموس .

دليلك ؟. قلت ؛ هوذا ، فسأله عن الطريق فقال : هذه طريق المدينة ، وهذه طريق العراق . فقلت : والله ما هي بأيام عمرة ، فلم يتكلم حتى أناخ بين الحيرة والكوفة في بعض الليل ، ثم استلقى على ظهره ، ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال :

فما لبثنا العيس أن قذفت بنا نوى غربة والعهد غير قديم

يا أشرس ابغني إنساناً أسائله ، فأتيته برجل فقال : سله عن ابن النصرانية ، فقلت : ما فعل خالد ؟. قال : في الحمة ، اشتكى فخرج إليها ، قال : سله عن طارق ، فقال : ختن بنيه وهو يطعم الناس بالحيرة وخليفته عطية بن مقلاص يطعم الناس بالكوفة ، قال : خلٍّ عن الرجل .

ثم ركب فأناخ بالرحبة ، ودخل المسجد ، فصلى يوسف ، ثم استلقى على ظهره فمكثنا ليلاً طويلاً ، ثم جاء المؤذنون ، وزياد بن عبيد الله الحارثي يومئذٍ على الكوفة خليفة لخالد ، فأذنوا ثم سلموا وخرج زياد وأقيمت الصلاة فذهب زياد ليتقدم فقال يوسف : يا أشرس نَحِّهِ . فذهب ليتقدم فقلت : يا زياد تأخر ، الأمير . فتأخر زياد ، وتقدم يوسف وكان حسن القراءة فصيحاً فقرأ : ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ و﴿إذا وقعت الواقعة﴾ فصلى الفجر وتقدم القاضي فحمد الله وأثنى عليه ، ودعا للخليفة وقال : ما اسم أميركم ؟ فأخبر فدعا له بالصلاح ، فما تفرق أهل الصلاة حتى جاء الناس ، ولم يبرح يوسف حتى بعث الحكم بن الصلت وعطاء بن مقدم إلى خالد ، وبعث محمد بن منظور الأسدي إلى أبان بن الوليد بفارس ، وبعث كثير بن عبد الله أبا العاج إلى بلال بن أبي بردة بالبصرة ، وبعث ابراهيم بن عاصم العُقَيلي إلى عبد الله بن أبي بردة بسجستان ، وأمر هشام أن يُعزل عمال خالد

جميعاً إلا الحكم بن عوانة ، وكان على السند فأقره حتى قتل هو وزيد بن علي في يوم واحد ، قتله ناكهر ، ولم يعرض يوسف لزياد بن عبيد الله ، وبعث إلى محمد بن القاسم بن عبد الرحمن بنِ عضاه الأشعري ، فقال له : من أنت ؟ . فانتسب له ، وقال : إنما كنتُ على أعواد كَرْمَان ، قال : نِعْمَ أهل البيت أنتم فَأَدِّ شيئاً . قال : قد أخبرتك أني لم أتولّ جباية ، فقال : خليّا سبيله .

فلما أتى خالد قيل له : الأمير الأمير . قال : دعوني مِن أميركم ، أَحيٌّ أمير المؤمنين ؟ قيل : نعم . قال : لابأس عليّ . فلما قُدم بخالد على يوسف حبسه وضرب يزيد بن خالد ثلاثين سوطاً ، فكتب هشام إلى يوسف : أُعطي الله عهداً لئن شاكتْ خالد شوكةً لأضربنّ عنقك فخلٍّ سبيله بثَقَله وعياله . فأتى الشام فلم يزل مقيماً بالشام يغزو الصوائف حتى مات هشام .

وقال غير الهيثم : كانت ولاية خالد العراق في شوال سنة خمس ومائة ، ثم عزل في جمادى الأولى سنة عشرين ، وقد قدم عليه يوسف واسطاً فحبسه بها ثم شخص إلى الحيرة ، فلم يزل خالد محبوساً بالحيرة ثمانية عشر شهراً ، وحبس معه أخوه اسماعيل بن عبد الله ، وابنه يزيد بن خالد ، وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبد الله .

واستأذن يوسف في البسط على خالد ، فلم يأذن له هشام حتى ألحّ عليه بالرسل ، واعتلّ بانكسار الخراج لما صار إليه وعماله منه ، فأذن له فيه مرة واحدة ، وبعث حرسياً يشهد ذلك ، وحلف لئن أتى على خالد أجله وهو في يده ليقتلنه ، فدعا به يوسف وجلس على دكان بالحيرة ، وحضر الناس وبسط عليه فلم يكلمه خالد حتى شتمه يوسف وقال : يا بن الكاهن ـ يعني

شقّا أحد أجداد خالد وكان كاهناً ـ. فقال له : إنك لأحمق ، تعيّرني بشرفي لكنك ابن السبّاء ، إنما كان أبوك يسبي الخمر .

ثم رده إلى محبسه ، فأقام ثمانية عشر شهراً ، ثم كتب إليه هشام يأمره بتخليه سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومائة . وأخذ يزيد بن خالد وحده على بلاد طيء حتى ورد دمشق ، وخرج خالد ومعه اسماعيل أخوه وغيره ، وقد جهزهم عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص ، فسار خالد حتى نزل القُرّية ، وهي من أرض الرصافة ، فأقام بها بقية شوال ، وذا القعدة ، وذا الحجة ، وصفر لا يأذن له هشام في القدوم عليه والأبرش يكاتب خالداً .

قال الهيثم : وخرج زيد بن علي على يوسف بن عمر ، فكتب يوسف ؛ إن أهل البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همة أحدهم قوت يومه ، فلما ولي خالد العراق قوّاهم بالأموال حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة ، وما خرج زيد إلا بإذن خالد ، وما مقامه بالقرّية إلّا لأنها مدرجة الطريق، فهل تسأل عن أخباره؟ فقال هشام للرسول، وهو رجل من بلقين : كذبتَ وكذب صاحبك ومهما اتهمنا به خالداً فإنا لا نتهمه في طاعته وأمر بالرسول فوجئت عنقه .

وبلغ الخبر خالداً فصار إلى دمشق فأقام بها حتى حضرت الصائفة ، فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد ، وعبد الله بن يزيد بن خالد ، وكان على دمشق يومئذ كلثوم بن عياض بن جُوْح بن قيس القشيري ، وكان متحاملاً على خالد مطابقاً ليوسف على أمره ، فلما أدرب الناس ظهر في دور دمشق حريق في كل ليلة يلقيه رجل من أهل العراق يقال له أبو المُعَرِّس

وأصحاب له ، فإذا ارتفعت النار أغاروا يسرقون ، وكان اسماعيل بن عبد الله ، والمنذر بن أسد ، وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم ، فكتب كلثوم إلى هشام يذكر الحريق ، ويذكر أنه لم يكن قط قبل قدوم خالد ، وأن موالي خالد يريدون الوثوب على بيت المال ونهب الناس . فكتب هشام إليه يأمره بحبس آل خالد الصغير منهم والكبير ، ومواليهم والنساء ، وأخذ اسماعيل والمنذر ومحمداً وسعيداً من الساحل ، فقدم بهم في الجوامع ومن كان معهم من مواليهم وغلمانهم ، وحبس أم جرير بنت خالد والرائقة وجميع النساء والصبيان .

ثم ظهر على أبي المعرّس ، فأُخذ ومن معه ، فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل الخراج بدمشق إلى هشام يخبره ببراءة من حُبس من أهل خالد ، وأخذ أبي المعرّس وأصحابه .

فكتب هشام إلى كلثوم يشتمه ويعنّفه ويأمره بتخليه من حبس من آل خالد ومواليه وغيرهم ممن هو منهم بسبب ، فخلاهم جميعاً .

ولما قدم خالد قال : غزوت في سبيل الله سامعاً مطيعاً ، فأُخذ حُرَمي ، وحُرَمُ أهل بيتي فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرك ، فما منع عصابة منهم أن تقوم فتقول علام حبس حُرَم هذا الرجل ، أخفتم أن تقتلوا جميعاً ؟. أخافكم الله .

ثم قال : مالي ولهشام يسوق بناتي وحُرمي كل يوم إلى السجون ، ليكُفَّنَّ عني أو لأَدْعُوَنَّ إلى عراقي الهوى شامي الدار حجازي الأهل لو نخر نخرة ، أو نعر نعرةً تداعت من أقطارها ـ يعني محمد بن علي بن عبد الله بن

عباس ـ. فبلغ قوله هشاماً فقال : خرف الرجل . وكتب إليه : إنك هُذَأَةٌ ، هُذَرَةٌ ، أبجيلةُ القليلةُ الذليلة تتهددنا ؟ .

وقال رجل من عبس في خالد :

ألا إنَّ بحرَ الجودِ أصبح ساحياً　　أسيرَ ثقيفٍ موثقاً في السلاسل
فإن يسجنوا القسريَّ لا يسجنوا اسمه　　ولا يسجنوا معروفه في القبائل

قال الهيثم : فأقام خالد بدمشق ، ويوسف مُلحٌّ على هشام في إشخاص يزيد بن خالد ، فكتب إلى كلثوم يأمره بحمل يزيد إلى يوسف ، فبعث إليه خيلاً وهو في بعض النواحي فقاتلهم ولم يقدروا عليه ، فحبس كلثوم خالداً في سجن دمشق ، وسار إسماعيل أخوه حتى أتى الرصافة ، فدخل على ابن الزبير حاجب هشام فأخبره بحبس كلثوم خالداً ، فأنهى ذلك إلى هشام ، فكتب إلى كلثوم يعنفه ويقول : عجزتَ عمنّ أمرتك بأخذه ، وحبست من لم آمرك بحبسه ، وكتب إليه في تخلية سبيل خالد فخلاه .

وقال الهيثم : أمر هشام الأبرش فكتب إلى خالد : بلغني أن عبد الرحمن الضبيّ قام إليك فقال : يا خالد إني أحبك لعشر خلال : إن الله كريم وأنت كريم ، والله جواد وأنت جواد ، والله حليم وأنت حليم ، والله رحيم وأنت رحيم ، وعدَّ عشر خلال ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقق ذلك عنده ليسفكنّ دمك ، فاكتب بالأمر على وجهه لأخبر به أمير المؤمنين .

فكتب إليه خالد : إن ذلك المجلس كان أكثر أهلاً من أن يجوز لأحد من أهل البغي والفجور أن يحرّف ما كان فيه ، قام إليّ عبد الرحمن بن ثويب الضبي فقال : إني لأحبك لعشر خلال : إن الله يحب كل كريم ، وأنت كريم فالله يحبك ، وعَدَّد عشر خلال ، ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شفي

الحميري وقوله : أمير المؤمنين خليفة الله ، وهو أكرم على الله من رسوله فأنت خليفة ومحمد عليه السلام رسول ، ولعمري لضلالة بجيلة بأسرها أهونُ على الخاصة والعامة من ضلالة أمير المؤمنين .

فلما قرأ الأبرش الكتاب على هشام قال : خرف أبو الهيثم ، فأقام خالد بدمشق حتى مات هشام ، ثم قام الوليد فقدم عليه خالدفيمن قدم من أشراف الأجناد فلم يأذن لأحد منهم ، واشتكى خالد فاستأذن فأذن له فرجع إلى دمشق فأقام أشهراً ، ثم كتب إليه الوليد : إن أمير المؤمنين قد علم حال الخمسين الألف الألف التي تعلم فاقدم على أمير المؤمنين مع رسوله ، فقد أَمَرهُ يُعجلك عن جهازك ، فاستشار خالد ثقاته فأشير عليه بالامتناع حتى يعطى أماناً يثق به ، فقال : إني لأكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدي ، ولمسيري أصلح ، وأنا أستعين بالله .

وخرج حتى قدم على الوليد ، فلم يدع به ، ولم يكلمه ، وهو في بيته مع مواليه وخدمه حتى قدم برأس يحيى بن زيد بن علي من خراسان ، فجمع الناس في رواق وجلس الوليد ، وجاء الحاجب فأذن لثلاثة نفر ثم قال : قم يا خالد ، فقال : قد تراني لا أقدر على المشي ، إنما أحمل حملاً لعلّتي ، فحُمل على كرسيه وأدخل إلى الوليد والموائد موضوعة والناس سماطان ، وعقال بن شبة يخطب ، ثم انصرف الناس ، وحمل خالد إلى رحله ، ثم أتاه رسول الوليد فَرُدَّ فلما صار إلى باب السرادق وقف به ، وخرج إليه رسول الوليد فقال : يقول لك أمير المؤمنين أين يزيد بن خالد ؟. فقال : كان أصابه من هشام ظفر ثم طلبه فهرب منه ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين ، ونحن نظن أنه في بلاد قومه بالشراة ، فقال : ولكنك خلفته طلباً للفتنة .

فقال : قد علم أمير المؤمنين أنا أهل طاعة أنا وأبي وجدي ، فقال : والله لتأتين به أو لأزهقن نفسك .

فرفع خالد صوته ، وكان الوليد بالقرب ، فقال : قل له : هذا أردت ، وإياه اعتمدت ، وعليه دُرتَ ، والله لو كان تحت قدميّ ما رفعتهما لك عنه فاصنع ما بدا لك .

فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه وقال : أسمعني صوته . فأتى به غيلان رحله فعذبه بالسلاسل فلم يتكلم فأعلم الوليد بذلك وقال : لم أر أصبر منه ، ما ينطق بشيء . فقال : احبسه عندك فحبسه حتى قدم يوسف بن عمر بمال العراق ، وجلس الوليد وأذن للناس ويوسف عنده فتكلم أبان بن عبد الله النميري في خالد فقال يوسف : إني أشتريه بخمسين ألف ألف درهم ، فأرسل الوليد إلى خالد : إن يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف درهم فإن ضمنتها وخرجت منها وإلا دفعتك إليه . فقال خالد : ما عهدتُ العرب تباع ، والله لو سألتموني أن أضمن هذا ـ وأخذ عوداً من الأرض ـ ماضمنته فلير أمير المؤمنين رأيه ، فدفعه إلى يوسف فنزع ثيابه وَدَرَّعَهُ عباءة ولحفه أخرى وحمله في محمل بغير وطاء ولا غطاء ، وجعل زميله أبا قحافة المرّي ابن أخي الوليد بن تليد ، وكان الوليد عامل هشام على الموصل ، فانطلق به حتى نزل على مرحلة من عسكر الوليد ثم دَعَا بِهِ فشتمه وذكر أمه فقال : ما ذكر الأمهات لعنك الله ، والله ما أكلمك كلمة أبداً .

فبسط عليه وعذبه عذاباً شديداً وهو لا يكلمه ، ثم ارتحل به حتى إذا كان في بعض الطريق بعث إليه تميم بن زيد القيني بشربة سويق حب الرمان مع مولى له يقال له سالم ، فبلغ ذلك يوسف فضرب تميماً خمسمائة سوط ،

وضرب سالماً ألف سوط ، وكان يوسف يُمْشي خالداً في طريقه كثيراً إضراراً به .

ثم قدم يوسف الحيرة ، فدعا بخالد وبابراهيم ومحمد ابني هشام بن اسماعيل المخزوميين ، وكانا ممن يشير بخلع الوليد ، فبسط يوسف على خالد ، فلم يكلمه بكلمة ، وصبر ابراهيم بن هشام ، وجزع محمد ، ومكث خالد يوماً في العذاب ، ثم وضع على صدره الدهق فقتل من الليل ودفن في ناحية الحيرة في عباءته التي كان فيها ، وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة ، فأقبل عامر بن سهلة الأشعري فعقر على قبره فرساً ، فضربه يوسف سبعمائة سوط .

حدثني أبو بكر الأَعْيَن عن أبي نعيم الفضل بن دُكين قال : حدثني رجل كان مع يوسف بن عمر قال : شهدت خالداً حين أتى به يوسف فدعا بعودفوضع على قدميه ثم قامت عليه الرجال حتى كسروا قدميه فوالله ما تكلم ولا عبس .

وقال الوليد بن يزيد لأبي الزناد: قد أمرت يوسف بعذاب ابني هشام بن اسماعيل ، قال : سرور والله ، فأخذ الوليد القرطاس وكتب إلى يوسف : إذا أتاك كتابي هذا فألحّ في العذاب على ابني هشام وخالد بن عبد الله حتى يموتوا ، فكان يقال : ما قتلهم إلا أبو الزناد .

وقال المدائني : قالها رجل من قيس ونُحِّلَها الوليد وهو الثبت :

وهـذا خالـد أمسى أسيـراً ألا منعوه إن كانوا رجالاً
عـظيمهُمُ وسيِّـدهُمْ قـديمـاً جعلنا المخزيات له ظِـلالا

فلو كانت قبائل ذات عزٍّ   لما ذهبتْ صنائِعه ضلالا[1]

وقال عمران بن هلباء الكلبي في قصيدة له :

متى تلْقَ السَّكُونَ وتلق كلباً   بقيس تَخْشَ من ملك زوالا
لئن عيرتمونا ما فعلنا   لقد قلتم وجَدُّكم مقالا

وقال منصور بن جمهور :

يا قوم لا تُغلبوا عن رأيكُمْ فلقد   جَرَّبْتُمُ الغدر من أولاد مروانا
مازال من قتلوا عَمْرَاً بغدرهم   يدعون غدراً بعهد الله كَيْسَانا
حتى استباحوا سنام الأرض مملكة   قَسْراً فَوَلّوا أمور الناس ولدانا
وَوَحَّشُوا[2] بكتاب الله واتخذوا   أهواءهم في معاصي الله قربانا
ألا ترى مُضَراً أضحت تثير معاً   حرباً وضرباً شتات الأمر وحدانا
يقطعون بنا أعناق سادتنا   ويعلقون بنا أثواب ذبيانا

وقال المدائني : أخذ يوسف عمال خالد وهم ثلاثمائة وخمسون ، وقال : قد بقي منهم كبش كبير الصوف ولا بد من أن يُجَزّ ـ يعني الحكم بن عوانة الكلبي ، وكان على السند ، وكان هشام تقدم فيه إلى يوسف ـ. واستخرج منهم تسعين ألف ألف درهم ولولا عنفه لأخذ منهم أكثر من ذلك .

وأخذ يوسف مولى لخالد يقال له داود فسأله عن أموال خالد ، فلم يقرّ له بشيءفضربه حتى مات ، ودعا بسعيدانف وكان على طراز خالد فضربه

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في شعر الوليد بن يزيد المطبوع .
٢ ـ وحش بثوبه : رمى به مخافة أن يلحق . القاموس .

حتى قتله ، وهو من بني تميم ، وكان المقفع ـ واسمه داذ به عذب في استيفاء مال ، فتقفّع ـ على خراج فارس ولاه إياها خالد ، فدعا به فدفعه إلى صاحب العذاب فكان يرفق به لأنه تعينً منه مائة ألف درهم ، فدعا به يوسف فعذب بين يديه حتى مات .

وعُرِض على يوسف عماله فقال عامل منهم : جَبَيْتُ فلم أدَعْ في البلاد درهماً . فقال : كذبتَ وضربه ثلاثمائة سوط .

وقال آخر : جبيتُ فَبَقَّيْتُ بقايا ليقوى أهل البلاد بها ، فقال : بل اجتبيتها ، فضربه أربعمائة سوط .

وقال آخر : جبيتُ الخراج فازددتُ مالاً ، فقال : أَخْرَبْتَ البلاد وضربه خمسمائة سوط .

المدائني قال : قيل لاسماعيل بن يسار : اطلب العمل ونحن نضمن عنك ، قال : دعوني أنظر كيف معاملة يوسف عند رأس السنة وفعله بالعمال ، فلما رآه يعذبهم قال :

رأيت صبيحة النوروز أمراً فظيعاً عن إمارتكم نهاني
برئتُ من الولاية بعد يحيى وبعد النهشليّ أبي أبانِ
أحاذر أن أُقَصِّرَ في خراجٍ وفي النوروز أو في المهرجان

قالوا : وكان العريان بن الهيثم ضرب الجراح بن عبد الله بن عياش الهمداني بالسياط ، وهو على شرطة خالد ، فشكاه ابن عياش إلى خالد فلم يُشْكِهِ ، فلما عذب يوسف خالداً أتاه ابنا عياش فشتماه وقالا : أهكذا تضرب ابن النصرانية ؟ إنما كان ينبغي أن تَضرب أمه حتى تسلح على وجهه ، فقيل لهما : أتشتما رجلاً أسيراً يعذب ؟ فقالا : ضربنا أميراً ولا نشتمه أسيراً ،

فمنى ندرك بثأرنا ؟. فقال لهما خالد : يا بني لئيمي قومهما أفلا صبرتما للسياط .

وغضب لخالد قوم فضربوهما ومزقوا ثيابهما فبلغ خبر الضاربين يوسف فقال : لم ضربتم هذين ؟. قالوا : غَضباً لخالد ، فضرب كل واحد ألف سوط .

وقال المدائني : أمر يوسف ببلال فَعُذِّبَ فضمِنَ ثلاثمائة ألف وأُخذ منه كفلاء ، فأخفرهم وهرب إلى الشام ، فيقال إن غلامه أراد أن يشتري له دراجة فعُرِف ، ويقال : بل شرى له غلامه دراجة فأحرقها ، فضربه فسعى به ، فأُتي به هشام ، فأمر به فأقيم في الشمس فقال : ادنوني من أمير المؤمنين فله عليّ ما طلب فأبى ، وردّه إلى يوسف فعذبه حتى قتله .

وقال عبد الله بن أبي بُردة للسجان : ارفع اسمي في الموتى ، فرفعه ، فقال يوسف : أرنيه ميتاً ، فَغَمَّه السجان حتى مات ، ويقال بل كان بلال الذي سأل السجان رفع اسمه في الموتى ، والمقتول في العذاب عبد الله .

وقال يونس النحوي : ما قتل بلالاً إلا دهيُّهُ في نفسه ، سأل السجان أن يرفع اسمه في الموتى ويعطيه مالاً فرفع اسمه في الموتى ، فقال يوسف : اعرض الموتى عليّ فغمَّه حتى مات وعرضه عليه ميتاً .

قالوا : وتداعت قيس وتغلب إلى الصلح بعد الذي كان بينهم ، فحمل رجل من تغلب في ذلك حمالة ، وقدم على خالد ، فأمر خالد سليمان بن المهاجر مولى بجيلة أن يقول في ذلك أبياتاً فقالها ، وأذن خالد إذناً عاماً فدخل الناس والتغلبي معهم ، فأنشد سليمان بن المهاجر أبياته :

أتغلب أم قيس ترى في بلادها ... من الحرب إذ عضَّتْهُم الحرب أجزعُ

وإن القبيلين اللذين تـداعيا إلى الصلح والداعي إلى الصلح أضرعُ
أَيْنسى بنو الغَلباء بالبِشْرِ وقعةً لجـحاف قيـس[1] والقبائل تسمع

فقال التغلبي :

ألا لا ولا تنسى سليم وعامر مقام عمير حين ظل يقطع
فَدَعْ ذا ولكن ما تقولون في الذي أتيناكم فيه لنا فيه مطمع

فلم يصله ولم يعطه خالد شيئاً فمضى وتركه .

حدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : لما عذب يوسف خالداً ادعى أنه استودع زيد بن علي بن الحسين وداود بن علي بن عبد الله بن عباس مالاً عظيماً ، وكتب يوسف بذلك إلى هشام ، فكتب هشام إلى خاله ابراهيم بن هشام وهو عامله على المدينة يأمره بحملهما إليه ، فحلفا أنه ما أودعهما خالد شيئاً ، فقال : إنكما عندي صادقان ولكن أمير المؤمنين كتب إلي في حملكما إليه فحُملا ، فلما دخلا على هشام أحلفهما بأغلظ الأيمان ما أودعهما خالد شيئاً قط فحلفا ، وقال داود : كنت قدمت عليه العراق فأمر لي بمائة ألف ، وقال زيد : كيف يودعني رجل كان يلعن جدي على المنابر ؟. فقال هشام : أنتما أصدق من ابن النصرانية ، فاقدما على يوسف حتى يجمع بينكما وبينه فتكذباه في وجهه ، ففعلا .

وقال خالد : مسّني العذاب ففزعتُ إلى هذه العلّة ، وقلت يُفرج الله قبل قدومكما .

---

١ ـ فيما يتعلق بالجحاف ومعركة البشر ، انظر بغية الطلب ج ١ ص ٤٣١ ـ ٤٣٦ .

المدائني وغيره قالوا : بدأ يوسف بالكوفة ، فدخلها ولم يُقم بها ، وخرج إلى واسط فأقام بها سنة وأقرّ زياد بن عبد الله الحارثي على الكوفة ، ثم ولى يوسف بن عمر : محمد بن القاسم .

وقال الكميت :

ولما رأيت الدهر يقلب ظهره على بطنه فعل الممعِّكِ في الرملِ
أخذت بحبل لا أخاف انجذامه من الحكَمِ بنِ الصَّلْتِ حَسْبِيَ من حبلِ

في قصيدة له .

قالوا ؛ ونظر يوسف يوماً إلى أسود مقيد قد جلس على مائدة من الموائد التي يطعمها الناس ، وكان يأكل على موائده من أراد ، فضرب رجل من الشاميين الأسود بنعل سيفه ليقيمه ، فرآه يوسف ، فدعا بالشامي فضربه مائة سوط ، وقال للأسود : ما أنت ؟. قال : عبد . فأمر بابتياعه وأعتقه وقال : احضر طعامنا في كل يوم .

وقال المدائني : كان يقال إنه كانت في يوسف خلال حسنة : طول صلاة ، وحسن هدى ، ووفاء ولزوم للمسجد ، وضبط لحشمه وأهل بيته عن الناس وجمال وانبساط لسان ، وتواضع في منزله ، وحُسْن ملكة ، وكثرة تضرع ودعاء ، وكان يصلي الغداة فلا يزال مستقبلاً للقبلة يُسبّح ويدعو ولا يكلم أحداً حتى يصلي الضحى ، ولزومٌ للسنة ، وحفظ للقرآن واقتصاد ، وبُعْد همَّةٍ ، وبصر بالشعر والأدب .

وقال سعيد بن سَلْم : ذكر قوم يوسف فاغتابوه فقال لهم يوسف بن سليم مولى أبي بكرة : أنصفوا يوسف فإن خالد بن عبدالله اصطنع من اليمن

ومن العجم قوماً نحو أبان بن الوليد فأخملهم يوسف وأفناهم ، وأفلت منهم واحد وهو ابن الكرماني ، فقد رأيتم ما صنع بكم فكيف لو بقي الآخرون ؟

حدثني عمر بن شبه عن حيان بن بشر عن جرير عن المغيرة قال : كان الإسلام ذليلاً حتى قدم يوسف ، وقال ابن نوفل يمدح يوسف في شعر يقول فيه :

أتانا وأهل الشرك أهل زكاتنا وحكامنا فيها نُسِرُّ ونجهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرقت له الأرض حتى كل وادٍ مُنَوَّرُ
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً وما كان من قبل العقيلي يظهر

في أبيات . ثم قال بعد ذلك فيه :

أرانا والخليفة إذ رمانا مع الإخلاص بالرجل الجديد
كأهل النار حين دُعَوا أغيثوا جميعاً بالحميم وبالصديد

قالوا : وقال يوسف لكلّوب الصريمي : دلني على رجل أوليه كرمان ، فدله على نُمَيْلَةَ بن مُرَّة . فولاه فكسر خمسمائة ألف ، فضرب كلّوب خمسمائة سوط وضرب نميلة .

وولىٰ يوسف عبدالله بن طارق العنبري أمر أكراد فَسَا ودَرابجَرد فقتله بعض الأكراد ، فأخذ ابنه قدامة كتاب يوسف إلى عبد الكريم المازني وهو على فَسَا ودرابجرد يأمره بدفعه إليه فقال له عبد الكريم : ثأرك ثأري وعلى الرجل من الخراج شيء كثير فدعني استأديه ثم أدفعه إليك ، فعجل قدامة فقتله ، فكتب عبد الكريم بذلك إلى يوسف فضرب قدامة ضرباً مبرحاً ، فلما عزل عبد الكريم رفع عليه قدامه وقال ليوسف : هذا الذي يقول له الشاعر :

إذا زَفَنَتْ[١] عليك سَمَا بُذَخْشٍ[٢] فقد أَزْجَتْ خراج دَرَابجرد

فقال يوسف لعبد الكريم : يا عدو الله وإذا أنتَ صاحب مثل هذا ، فضربه ضرباً مبرحاً .

قالوا : وكان يوضع على موائد يوسف أنواع الطعام فيأكل كل امرىء ما يشتهي ، فوضعت على مائدة منها سمكة ، فقال رجل من أهل الكوفة يقال له حماد بن أبي الدرداء ، وهو من أهل بيت ينتمون إلى أبي الدرداء وليسوا منهم ، وأهل الكوفة يقولون : بنو أبي الضرطاء ، فقال حماد : أيها الأمير ، هذا النون . فقال يوسف : والله لتضربنّ أو لتتكلمنّ بلسان أبيك . فقال : هذا كوارا وهو السمك بالنبطية ، فتركه .

قال المدائني : وولى يوسف بن عمر صالح بن كدين ولاية فخرجت عليه ثلاثون ألفاً فحبس بها ، وبلال يومئذ محبوس ، فقال له بلال : إن على العذاب سالماً ويلقب رتبيل فإياك أن تقول له يا رتبيل ، وجعل يردد عليه ذلك فعذبه سالم فنسي اسمه وكنيته وجعل يقول له : يا رتبيل اتق الله ، فيقول : اقتل . فلما خلّيَ عنه قال له بلال : ألم أَنْهَكَ عن رتبيل ؟ فقال : وهل ألقاني في رتبيل غيرك ، وأنا لم أكن أعرف رتبيل لولا أنت وما تدع شرك في سراء ولا ضراء .

قال : وكان على شرط يوسف العباس بن سعد المريّ من مُرّة غطفان وكان كاتبه قحذم بن سليمان بن ذكوان ، وزياد بن عبد الرحمن مولى ثقيف ، وكان على حرسه ، وحجابته جندب وفيه يقول الشاعر :

---

١ ـ الزفن : الرقص .
٢ ـ بذخش : بلدة في أعلى طخارستان بينها وبين بلخ ثلاث عشرة مرحلة . معجم البلدان .

أتـانا أمـير شديـد النكـال لحـاجب حـاجبـه حـاجب

وولىٰ يوسف محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القضاء ، وكانت به حدَّة فقال له : إنما أنت أجير قوم فَوَفِّهِم عملك إذا وفُّوك أجرك ، وإذا أردت الخروج فكل لا أشبع الله بطنك ، وانكح لا أعفَّك الله ، وإذا غضبتَ فقم .

المدائني وغيره : أن يوسف بن عمر قال في خطبته : إن أول من فتح علىٰ الناس باب الفتنة وسفك الدماء علي وصاحبه الزنجي ـ يعني عمار بن ياسر ـ .

قال : وكان في خضراء واسط زوج من البوم فقال : انظروا إليّ رجلاً رامياً بالبندق ، فجىء برجل فرمىٰ وكرهما فخرج أحدهما فرماه فقتله ، ثم خرج الآخر فرماه فقتله فأمر بحبسه فحبس نحواً من سنة ، فلما تحول عن واسط ذُكر له فأمر بتخلية سبيله .

المدائني عن الحكم بن النعمان قال : أراد الوليد بن يزيد بن عبد الملك عزل يوسف ، واستعمال عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، فكتب إلى يوسف : إنك كتبت إلى أمير المؤمنين تذكر إخراب ابن النصرانية البلاد ، وكنت مع ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل ، وقد ينبغي أن تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه فأشخص إلى أمير المؤمنين مصدقاً ظنته بك : ليعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك لكفايتك ، ولما جعل الله بينك وبينه من القرابة ، فإنك خاله ، وأحق الناس بالتوفير عليه ، ولما قد علمت مما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام وغيرهم من الزيادة في أعطياتهم ، وما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام لهم حتى أضر ذلك ببيوت الأموال .

فخرج يوسف واستخلف ابن عمه يوسف بن محمد ، وحمل معه من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحمل مثله من العراق قط ، فقدم على الوليد ، وخالد بن عبدالله محبوس ، فلقيه حسان النبطي ليلاً فأخبره أن الوليد على تولية عبدالملك بن محمد بن الحجاج ، وقال له إنه لابدّ لك من إصلاح أمر وزرائه وأصحابه ، فقال : ليس عندي فضل درهم . قال : فعندي خمسمائة ألف فإن شئت فهي لك ، وإن شئت فارددها إذا تيسرت فقال : أنت أعرف بالقوم وأقدارهم ومنازلهم ففرقها عليهم ، ففعل فكان جميع من على باب الوليد يعظمه ويجله ، فقال له حسان : لا تَغْدُ على الوليد ولكن رح إليه ، واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك : «إني كتبت كتابي هذا ولست أملك إلّا القصر ، وأمر أبانَ بن عبدالله النميري أن يتضمن خالداً بأربعين ألف ألف ، ثم زد عليه عشرة آلاف ألف ، وتسأل أن يُدفع إليك» . ففعل يوسف ذلك فقال له الوليد : ارجع إلى عملك ، ودفع إليه خالداً فحمله في محمل بغير وطاء ، فقال محمد بن القاسم : فرحمته وقد جمعت ألطافاً من أخبصة يابسة وغيرها في منديل ، ثم دنوت منه فرميت بالمنديل إليه فقال لي : هذا من متاع عُمان لأن أخي الفيض كان عامل عُمان . فقلت في نفسي : هذا على هذه الحال وهو لا يدع شرارته . فقال يوسف وفَطَن : ما قلت لابن النصرانية ؟ قلت : عرضت عليه الحاجة . فقال : أحسنت وهو أسير ، ولو فطن بما صنعت به للقيت منه شراً .

وقالوا : أقر يوسف زياد بن عبيدالله الحارثي على الكوفة حتى أخذ له عمال خالد ، ثم عزله ، وولى العباس الهمداني ، ثم الحكم بن الصلت ، ثم عزله وولى عدة ثم أعاده ، ثم ولى يوسف بن محمد بن القاسم الثقفي ،

وعلى شرطته ابن أراكة الثقفي ، ثم ولى عبيدالله بن العباس الكندي ، وعلى شرطه خراش بن حوشب أخي العوام بن حوشب ، وهو تولىٰ نبش زيد بن علي من مدفنه .

ولم يزل يوسف على العراق حتى قتل الوليد وولي يزيد بن الوليد ، فهرب فظفر به فكان محبوساً في أيام يزيد وابراهيم أخيه ، ثم قتله ابن خالد القسري في محبسه ، وسنذكر خبره إن شاء الله .

وقال سلم بن قتيبة : أرسل إلي يوسف بن عمر ، فلما دخلت عليه قال : لم أرك . فقلت : كنت عليلاً . قال : كذبت ، ما عليك أثر العلة ، إمض إلى منزلك فإذا كان مثل هذا اليوم من قابل فائتني . فانصرفت وأقمت في منزلي إلى ذلك الوقت ثم وافيته فأذن لي فدخلت عليه فسلمتُ فردَّ وقال : اجلس ، فجلست فقال : إني قد هيأت لأمير المؤمنين ألطافاً وهدايا ، وكتبت إليه أصفك له ، وأخطب عليك ولاية خراسان ، وأمرت الوفد بإطرائك وصيرتك عليهم ، وفي الوفد قمير بن مسعود في نفر من بني تميم ، فلما قدمت على هشام وصفني الوفد ، فقال هشام : له في سائر أعمال العراق مندوحة عن خراسان .

حدثني عمر بن شبه عن عبيد بن جناد عن عطاء بن مسلم الخفاف قال : لما قدم زيد بن علي علىٰ يوسف قال : يزعم خالد القسري أنه أودعني أموالاً وكيف يودعني وهو يشتم آبائي على منبره ، فأحضر يوسف خالداً في عباءة فقال له : هذا زيد وهذا داود بن علي وقد حلفا أنك لم تودعهما مالاً ، فقال : كيف أودع زيداً وأنا أشتمه وأباه ، فشتمه يوسف وردّه .

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ : قالا لخالد : ما دعاك إلى ما صنعت ؟ فقال : غلظ علي في العذاب فادعيت ما ادعيت مستريحاً ، ورجوت أن يفرج الله قبل قدومكما .

المدائني قال : قدم عبد الكريم بن سليط الحنفي على يوسف فأمضاه إلى هشام ، فقال له هشام : بلغني أن لك بخراسان علماً ، قال : أجل ، قال : فمن ترىٰ لها ؟ قال : رجل أهلها الكرماني ، قال : وممن هو ؟ قال : من الأزد . فتبينت الكراهة في وجه هشام . قال : ما اسمه ؟ قال : جديع بن علي ، فتطيَّر من اسمه وقال : لا حاجة لي فيه . قال : فأبو الميلاء يحيى بن نعيم بن هبيرة ، ابن أخي مصقلة بن هبيرة الشيباني ، فقال : إن ربيعة لا تسد بها الثغور . قال : فعقيل بن معقل الليثي . فأعجبه ، فقال : إن اغتفرت منه خصلة . قال : وما هي ؟ قال : ليس هو بعفيف البطن والفرج ، قال هشام : فلا حاجة لي فيه . قال : فالمجَّرب الأديب منصور بن عمر بن أبي الخرقاء السلمي ، فأعجبه . قال : إن اغتفرت منه واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أشأم العرب ، قال : لا حاجة لي فيه . قال : فالمسنّ العاقل مجشر بن مزاحم السلمي . إن اغتفرت منه واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أكذب العرب . فقال : أيّ عقل مع الكذب ، لا حاجة لي فيه . قال : فابن ذي الطاعة يحيى بن الحضين بن المنذر . قال : ألم أقل أن ربيعة لا تسد بها الثغور . فقال : قَطن بن قتيبة بن مسلم على أنه ثائر بأبيه . قال : لا حاجة لي فيه . فقال : نصر بن سيار ، فتفاءل باسمه . قال : فإنه لا عشيرة له بخراسان . قال : أنا عشيرته ، لا أبالك ، أتريد عشيرة أكرم

مني ، اكتب عهده يا غلام ، وأمره في عهده أن يعامل يوسف بن عمر . قال : فخرج بعهده ولم يمر على يوسف وأخذ طريق حلوان .

وقالوا : أقر يوسف بلال بن أبي بردة على البصرة ثمانية أشهر ، ثم كتب إليه أن احمل إليّ عمالك فحمل إليه سعيد بن راشد فقال له سعيد : والله ما مثلي ومثلك إلا مثل حلاقين قيل لأحدهما : احلق رأس صاحبك حتى يفرغ فيحلق رأسك . فأقر يوسف بلالاً أشهراً بعد صرف سعيد .

حدثني عبدالله بن صالح عن ابن كُناسة والمدائني وغيرهما قالوا : كان يوسف قصيراً عظيم اللحية ، يلبس ثياباً طوالاً يجرها ، وكان شديد العقوبة مسرفاً في ضرب الأبشار ، وكان يأخذ الثوب اليوسفي فيمر ظفره عليه فإن تعلق به خيط ضرب صاحبه وربما قطع يده .

قالوا : وضرب يوماً جماعة في درهم زائف اخرج من الدار ، وفي درهم نقص حبة خمسة آلاف سوط ، وأُتي يوسف يوماً بثوب فقال للحائك الذي تولىٰ عمله : ما يقال لهذا ؟ قال : سهر بسهر فقال : ما تقول ويلك ؟ قال قحذم كاتبه : يقول أحمر في أحمر . فقال : لا جرم لأحمرنّ ظهره ـ فضربه ثلاثمائة سوط .

وقال يوماً لكاتبه وقد أتى بثوب : ما تقول في هذا الثوب ؟ قال : كان ينبغي أن يكون أصغر أبياتاً من هذه . فقال للحائك : صدق ، يا بن اللخناء ، فقال الحائك : نحن أعلم بهذا ، فقال لكاتبه : صدق يا بن اللخناء هو أعلم بهذا منك . فقال قحذم : هذا يعمل في السنة ثوباً وأنا يمر على يدي في كل سنة مائة ثوب مثل هذا . فقال للحائك : صدق يا بن

اللخناء ، فلم يزل يكذب هذا مرة وهذا مرة حتى عَدَّ أبيات الثوب فوجدها تنقص بيتاً من أحد جوانب الثوب فضرب الحائك خمسمائة سوط .

قالوا : وكان له وصفاء صغار ، فكانوا يأتون بالزنابير فيفلتونها في البيت الذي هو فيه فتطنّ فيخرج فيقول : يا خبثاء ما هذا ؟ ثم يرجع .

قالوا : وأراد الخروج إلى بعض النواحي فدعا جواريه فقال لإحداهن : أتخرجين معي ؟ قالت : نعم . قال : يا خبيثة هذا كله من حب النكاح ، يا خادم ، أو يا جديح إضرب رأسها . ثم قال لأخرى : ما تقولين ؟ قالت : أحب أن أقيم فأكون مع ولدك . فقال : يا خبيثة أكل هذا زهادة فيّ ؟ اضرب يا جديح رأسها . ثم قال لأخرى : ما تقولين ؟ قالت : ما أدري ما أقول ،إن قلت ما قالت هذه أو هذه لم آمن عقوبتك . قال : يا لخناء أو تناقضين وتحتجين عليّ فأمر بها فضربت .

قال الهيثم عن ابن عياش أن رجلاً دخل على يوسف فقال له : لم أرك مذ أيام . قال : كنت خبيث البطن . فقال يوسف : والفرج ـ وإنما أراد وجع البطن ـ .

قالوا : وكان جالساً في خضراء واسط فنظر إلى عش بومة فيها ، فقال لبعض من معه : ارمها فرماها بِجُلاَهق فصرعها فقال : انك لغاوٍ أوجعوا رأسه ولا يحضرني مثله .

وقال سعيد بن راشد مولى النخع يوماً : لو فعل الأمير كذا . فقال : يا بن اللخناء أتشير عليّ ، وكان سعيد ابن اخت طارق مولى خالد القسري وفيه يقول الشاعر :

بكىٰ الخزّ منِ إبطي سعيد بن راشد ومن دبره تبكي بغال المواكب
فواعجبا حتى سعيد بن راشد له حاجب بالباب من دون حاجب

المدائني قال : ولىٰ يوسف الوازع بن عبّاد بن قيس السُّلمي[1] البصرة فأخذ بلالاً فحمله إلى يوسف بالكوفة ولم يدعه يوسف عليها إلا قليلاً حتى عزله ، ويقال إنه لم يوله وإنما وجهه في عمل بلال .

وولى يوسف :

أبا العاج كثير بن عبدالله السلمي البصرة .

وكان سبب توليته إياه أن أبا العاج كان عند هشام يوماً وعنده خاله ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي ، فذكر يوسف فنال إبراهيم منه فقال له أبو العاج : يا بن السوداء أيوسف يذكر بهذا ؟ فلم يفهم هشام ، وأشير إلى أبي العاج فسكت ، ونَمَتْ الى يوسف فشكرها له فكتب اليه فزاره فولاه البصرة ، ويقال أخرجه معه .

قال المدائني : ولى أبو العاج شرطته محمد بن واسع العابد ، وكان أبو العاج أعرابياً .

المدائني عن يونس النحويِ أنه سمع أبا العاج يقرأ : «فأدبر يشتد ، يريد : يسعى»[2] .

---

١ ـ بهامش الأصل : أبو العاج السلمي .
٢ ـ ﴿ثم أدبر يسعى﴾ ـ سورة النازعات الآية : ٢٢ .

وولى أبو العاج رجلاً بعض كور دجلة فقدم عليه فوصف له سيرته ، وقال : لقد بلغ من رضا أهل عملي بي أن نثروا عليّ حتى كسروا قناديل المسجد الجامع فقال : لا جرم لتُغْرَمَنَّ ثمنها ، أو تشتري مثلها .

المدائني عن عمرو بن فائد قال : حفر أبو العاج نهراً فكان يمر إليه متنكباً قوساً عربية .

حدثني عمر بن شبة عن أبي عاصم النبيل قال : عدا رجل من باهلة على رجل من بني ضبيعة فضربه ، فاستعدى الباهليون أبا العاج واستعانوا عليه بسلم بن قتيبة ، فقال أبو العاج : يأمرني ابن قتيبة أن أتعصب على بني ضُبيعة ، فوالله ما أحب أن الناس كلهم في الجنة إلا بني ضبيعة ، يا غلام ائتني بسياط عليها ثمارها . فقال الباهليون لسلم : أصلح أيها الرجل بيننا . فأصلح سلم بينهم وانصرفوا وضُبيعة بن ربيعة بن نزار ، فيقال إن بُهْثَة سُليم هو بهثة ضبيعة ، والله أعلم .

قالوا : وكان أبو العاج يغضب من «أبي العاج» فتقدم إليه رجل فقال : أصلحك الله يا أبا العاج فقال أبو محمد : يا بن البظراء ، فقال : لا تقل هذا فإنها كانت مسلمة قد حجَّت ، فقال : إن ذاك لا يمنعها من الحج .

وقيل لأبي العاج وأتي برجل مأبون : إن هذا يمكّن من نفسه . قال : أفتريدون ماذا ؟ أوكّل به رجالاً يحفظون دبره ، لقد وقعت إذاً في عناء . أطلقوه فالاست أسته يصنع بها ما شاء .

تولى أبو العاج البصرة نحواً من سنة ، ثم عزله يوسف ، وولى :

القاسم بن محمد بن القاسم البصرة

فانحدر إليها من واسط وكان والياً عليها ، وأقام على البصرة خمس سنين وأشهراً فاتخذ في مصلىٰ البصرة بستاناً ، واتخذ حوضين وبنىٰ عليهما صومعة فكان يأمر بالحوضين في يومي العيدين فيملآن ماء يصب فيهما ألفا راوية ، فإذا صلىٰ وجلس في الجنيدة وضعت الآنية فيشرب الناس ، وأقام مكانه حتى يخف الزحام ، ثم يأتي دار الإمارة .

قالوا : وكتب يوسف إلى القاسم يأمره أن ينتخب له رجالاً يجعلهم أمناء على عماله ، فانتخب رجالاً كانوا يُدعون القُصّاص لأنهم يقصّون أثر العمال ، منهم : مطر بن فيل ، والحارث الأحول فوجههم في أعماله فأما مطر بن فيل فامتنع من العمل فقال له يوسف : ما بالك لا تعمل ؟ قال : لا أصلح للعمل . قال : ولم ؟ أما تعلمت من جباية أبيك ؟ قال : مات وأنا صغير . فقال : والله لأضربنّك ثم لأحبسنّك ثم لأولينّك . فضربه وحبسه فعُمل له بالشام حتى كُتب إلى يوسف فأطلقه . وقال القاسم بن محمد بعد ذلك بيتاً لم يقل قط غيره :

نقمتَ الجور مني في زماني ... فكيف تراه يا مطر بن فيل

وقال الشاعر :

عُذْ بالأمير إذا خشيت ظلامةً ... بالقاسمِ بنِ محمدِ بنِ القاسمِ

وقال حمزة بن بيض :

وأمتعنا بالقاسم بن محمد ... أميراً وزاد الله في عمره عمرا

فلا خير في الدنيا إذا لم يكن بها ... أميرٌ عقيليٌ يُشبّهه البدرا

المدائني عن أبي بكر الهذلي قال : خطبنا يوسف في مسجد الكوفة فتكلم إنسان مجنون فقال يوسف : يا أهل الكوفة ألم أنهكم أن يدخل مجانينكم المسجد ، اضربوا عنقه ، فضربت عنق المجنون فقلت : لا أصلي والله خلفك أبداً ، وكان مع هذا طويل الصلاة كثير القراءة للقرآن .

المدائني قال : خلع رجل ثيابه ليغتسل وألقى هميانه[١] فجاءت عقاب فحملت الهميان تحسبه لحماً فخرج الرجل يصرخ ويبكي فأُخبر يوسف فقال : كم أكثر ما تطير العقاب ؟ قيل : كذا . قال : انظروا أقرب القرىٰ من هذه الغاية فضمنوا أهلها هميان الرجل .

المدائني قال : لما قدم يوسف العراق قال لعامر بن يحيىٰ بن عامر بن مسمع : إيه يا فاسق ، أخربتَ مهرجا نقذق . قال : إني لم أكن عليها إنما كنت على ماه ، وقد عمرت البلاد ووفرت الخراج . فأعاد عليه : أخربت مهرجا نقذق ، فأعاد عليه مثل قوله . فقال عامر : أشهد أنك مجنون . فعذبه حتى قتله .

وقال يوسف يوماً لكاتب له : ما حَبَسَكَ ؟ قال : اشتكيتُ بضرسي . فدعا بحجام فقلعه وضرساً آخر معه .

وخطب يوسف فقال ـ ولم يذكر الله في أول خطبته ـ : يا أهل المدرة الخبيثة أترجفون فيّ فهلا أرجفتم با بن النصرانية الذي قال لأجعلنّ[٢] ملئها قمحاً بدرهم ، هل نقمتم عليّ إلا أني لم أَدَعْ جُندي يزدرعون فيكم .

---

١ ـ حافظة النقود .

٢ ـ بهامش الأصل : يعني ملء يده .

وقال الواقدي : قدم المطلب بن عبدالله بن حنطب وأمه أم سلمة بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية على هشام بسبب هذه الخؤولة ، فقضى عنه سبعة عشرة ألف دينار ، والبئر التي على طريق العراق تنسب إلى بئر المطلب وهي بئره[1] .

١ - بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ، ولله كل حمد وفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

يكنى أبا العباس ، ولي الخلافة بعد هشام وقد ذكرنا كيف كانت بيعته ، وكانت أيامه سنة وثلاثة أشهر ، وقتل لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة : وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم ، والحجاج عمها ، ولقّب الوليد البيطار وذلك انه كان يصيد حمير الوحش فيسمها بالوليد ثم يخليها .

حدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن أبيه وابن عياش أن الوليد نشأ في قصر أبيه على التَرَفُّ فمجن وتهتك ، وكان العهد له بعد هشام ، فكان مسرفاً على نفسه معلناً للفسوق والشرب واللذات ، وكان هشام ينهاه عن ذلك فلا يَزَعَهُ نَهيه ولا يردعه حتى هم بخلعه ، وكان شاعراً وكانت عنده ابنة سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فزارتها أختها سلمىٰ بنت سعيد ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ، فبصر بها الوليد فأعجبته وذلك قبل الخلافة فطلق أختها ثم خطبها إلى أبيها فامتنع عليه وقال : إنما تريد مني أن اتخذك فحلاً لبناتي ، فكان يهجوه ، وفيه يقول :

من يك مفتاحاً لخير يريده فإنك قفل يا سعيد بن خالد[١]

وكان يقول في سلمى الأشعار فيغني بها المغنون وينشدها جلساءه ويشكو إليهم حبها حتى افتضح وسقط عند الناس . وفيها يقول :

تذكَّر شجوة القلب القريح فدمع العين مُنْهَلٌّ سَفُوح
ألَا طرقتَكَ بالبلقاء سلمىٰ هُدُوًّا والمطيُّ بنا جُنُوح
فَبِتُّ بها قرير العين حتىٰ تكلم ناطق الصبح الفصيح[٢]

وكان مستهتراً بشرب الخمر لا يكاد يصلي ، وقال وبلغه أن هشاماً هَمَّ بخلعه :

خذوا ملككم لا ثَبَّتَ الله مُلْكَكُمْ ثباتاً يساوي ما حييتُ قبالا
ذروا لي سلمىٰ والطلاء وقينةً وكأساً أَلَا حَسْبِي بذلك مالا
أَبِالمُلْكِ أرجو أن أُعَمَّر فيكُمُ أَلَا رُبَّ مُلْكٍ قد أُزيل فزالا
ألا رُبَّ دارٍ قد تَحَمَّل أَهلها فأضحت قفاراً والبقاع تلالا
إذا ما صفا عيشي برملة عالج وعانقتُ سلمىٰ لا أريد بَدالا[٣]

المدائني والهيثم قالا : كان الوليد يلعب بالصوالجة في ملعب له ، وهو يرتجز ويقول :

يا رُبَّ أمرٍ ذي شؤونٍ جحفل قاسيت فيه جالبات الأحول[٤]

---

١ ـ شعر الوليد بن يزيد ـ ط . عمان ١٩٧٩ ص ٤٩ .
٢ ـ بهامش الأصل : يعني الديك . شعر الوليد بن يزيد ص ٣٧ .
٣ ـ شعر الوليد بن يزيد ص ٩٢ .
٤ ـ شعر الوليد ص ١٠٢ مع فوارق كبيرة .

قال : ولما ولي الخلافة بعث إلى سعيد بن خالد فقسره على أن يزوجه سلمىٰ ابنته ، فلما حملت إليه من المدينة اعتلّت في الطريق وماتت ليلة أدخلت عليه ، ولم يزل على مجونه حتى وثبت اليمانية فقتلوه وبايعوا ليزيد بن الوليد بن عبد الملك .

وقال أبو نخيلة السعدي في الوليد :

بين أبي العاص وبين الحجاج يا لهما يُورى سراج وهَّاج
عليه بعد عمه عقد التاج

قالوا : وكان وَلد الوليد : عثمان وأمه عاتكة من ولد محمد بن أبي سفيان بن حرب .

وسعيداً وأمه أم عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان .

والعباس ، ويزيد ، والحكم ، وفهر ، ولؤي ، وقصي ، والعاص ، ومؤمن ، وواسط ، ودوالة لأمهات أولاد شتىٰ . والوليد ، ومفتح لأم ولد . درجوا كلهم .

المدائني قال : كان الوليد حين بايع له أبوه بعد هشام ابن احدى عشرة سنة ، قالوا : لما بلغ الوليد الحنث[1] ، ندم أبوه على تولية هشام عهده وقال : لو انتظرت بلوغه ولكن مسلمة لم يدعني وكان إذا رآه قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك .

وتوفي يزيد سنة خمس ومائة ، وولي هشام فكان في بدء أمره مكرماً للوليد فمكث بذلك أعواماً ، وكان مؤدب الوليد عبد الصمد بن عبد الأعلى

---

١ ـ أي بلغ مبلغ الرجال . النهاية لابن الأثير .

الشاعر ، وكان فيما يزعمون زنديقاً فحمله على شرب الخمر والاستخفاف فاتخذ ندماء ، وولاه هشام الموسم سنة عشرة ومائة فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً ، فأمر مولى له يقال له عيسى بن مقسم فصلى بالناس ، وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه ، فأراده على أن يخلعها ويبايع لابنه أبي شاكر مسلمة بن هشام فأبى ، فتنكر له هشام وأضرّ به وجعل يشتمه ويتنقصه ، وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط فقال هشام : ويحك ما أظنك على الإسلام ، فكتب إليه الوليد :

يا أيها الباحث عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفاً وممزوجة بالسُّخْن أحياناً وبالفاتر[1]

ويقال إن هذين البيتين لعبد الصمد بن عبد الأعلى قالهما فكتب بهما الوليد إلى هشام .

وكان في أبي شاكر بن هشام أيضاً مجون ، وكان يكثر الشرب ويدمنه ، فغضب هشام على مسلمة وقال : يعيرني الوليد بك ، وأنا أرشحك للخلافة ؟ . فألزمه الأدب وحضور الصلوات والجمعات ، وولاه في سنة سبع عشرة ومائة الموسم فأظهر النسك ولين الجانب ، وقسم بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لبعض أهل المدينة يعرض بالوليد بن يزيد :

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
الواهب الجرد بأرسانها ليس بزنديق ولا فاجر

وقال الكميت بن زيد :

١ ـ شعر الوليد بن يزيد ص ٦٦ .

إن الخلافة كائن أسبابها بعد الوليد إلى ابن أم حكيم

فكان خالد بن عبد الله القسري يقول : أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكر . فبلغ مسلمة قول خالد ، فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد كتب اليه مسلمة :

أراح من خالد وأهلكه ربٌّ أراح العباد من أسد
أما أبوه فكان مؤتشباً عبداً لئيماً لأعبد فقد

والبيتان لابن نوفل قالهما حين مات أسد ، فلما قرأ خالد البيتين قال : ما رأيت كاليوم تعزية أعجب .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : كان هشام يعيب الوليد ويتنقصه فدخل عليه يوماً وعنده جماعة من بني مروان ، وكانوا يعيبون الوليد قبل دخوله فيقولون : هو أحمق ، فقال له العباس بن الوليد بن عبد الملك : يا أبا العباس كيف حبك للروميات فإن أباك كان معجباً بهن ، قال : إني لأحبهن ، وكيف لا أحب من لا يزال يأتي بمثلك ـ وأم العباس رومية ـ فقال : لست بالفحل يجيء عسبه بمثلي . فقال له الوليد : يا بن البظراء . فقال العباس : يا وليد أتفخر عليّ بما قطع من بظر أمك ؟ .

وقال هشام للوليد يوماً : ما شرابك ؟ . قال : شرابك يا أمير المؤمنين ، وقام مغضباً فقال هشام : هذا الذي يزعمون أنه أحمق ، ما هو بأحمق ولكني أظنه على غير الملة .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : دخل الوليد يوماً مجلس هشام وفيه : سعيد بن هشام بن عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي ، خال هشام بن عبد الملك ، وأبو الزبير مولى بني مروان ، ولم

يكن هشام بن عبد الملك حاضراً في المجلس فأقبل على سعيد بن هشام فقال : من أنت ؟ ـ وهو يعرفه ـ، فقال : سعيد ابن أمير المؤمنين . فقال : مرحباً بك ، ثم قال لأبي الزبير : من أنت ؟. قال : أبو الزبير . قال : نسطاس ، مرحباً بك . ثم قال لابراهيم بن هشام : من أنت ؟. قال : ابراهيم بن هشام . قال : من ابراهيم بن هشام ؟ ـ وهو يعرفه ـ. قال : ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي . قال : ومن اسماعيل المخزومي ؟. قال : أنا الذي لم يكن أبوك يرى أنه في شيء حتى زوجّه أبي . قال: يا بن اللخناء. وإئتخذا[1] وأقبل هشام فقيل: أمير المؤمنين، فكفا وجلسا ودخل ، فما كاد الوليد يتزحزح عن صدر المجلس ، فزحل قليلاً وجلس هشام فقال : كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالح . قال : ما فعلتْ بَرابِطُكَ ؟ قال : معلمة . قال : فكيف ندماؤك ؟ قال : لعنهم الله إن كانوا شراً من جلسائك . وقام فقال هشام ؛ يا بن اللخناء جؤوا في عنقه . فلم يفعلوا ودفعوه دفعاً رفيقاً ، فقال الوليد :

أنا ابن أبي العاصي وعثمان والدي ومروان جدي ذو الفَعال وعامر
أنا ابن عظيم القريتين وعزّها ثقيف وفهر والرجال الأكابر
نبيّ الهدى خالي ومن يك خاله نبي الهدى يعلو الورى في المفاخر[2]

وقال أيضاً :

أنا الوليد أبو العباس قد علمتْ علياء مَعْدٍ مدى ذكري وأقدامي[3]

١ ـ يقال : إئتخذوا : أخذ بعضهم بعضاً . القاموس .
٢ ـ شعر الوليد بن يزيد ص ٦٠ ـ ٦١ .
٣ ـ بالأصل : «وأقداري» وهو تصحيف قُوّم من شعر الوليد بن يزيد ص ١١٥ .

إني لدى الذروة العلياء إن نُسبوا مقابل بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجد بانٍ غير مُدَّرِكٍ على منار مضيئات وأعلام
خلقت من جوهر الأعياص قد علموا في باذخ مَشْمَخِرٍّ العزّ قَمقام
صعب المرام يناغي النجم مطلعه يسمو إلى فرع مجدٍ شامخٍ سامِ

قالوا : فلما كثر عيب هشام للوليد وتعبّثه به وبأصحابه وخاصته ، خرج في جماعة منهم فنزل بالأزرق بين أرض بلقين وفزارة ، وخلّف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك ، وأمره أن يكتب إليه بما يحدث قبله .

قالوا : وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري وفد على هشام ، وكان غلاماً وضيء الوجه فجعل يختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني مؤدب الوليد بن يزيد[1] بسبب الأدب ، فراوده عبد الصمد بن علي عن نفسه فأتى باب هشام فأذن له فدخل مغضباً فقال :

إنه والله لولا أنت لم ينج مني سالماً عبد الصمد

قال هشام : ولم ذاك ؟. قال :

إنه قد رام مني خطة لم يَرُمْهَا قبله مني أحد
فهو فيما كان منه كالذي يَتَبَغَّى الصيدَ في خيس الأسد

فأساء هشام القول في عبد الصمد وهَمَّ به ثم أمسك .

قالوا : وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى عند الوليد وهم يشربون ، فقال عبد الصمد :

---

١ ـ بالأصل : «عبد الملك» وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه مما تقدم .

أظنُّ الوليد دنا ملكه فأمسى إليه قد استجمعا
وإنا نؤمل في ملكه كتأميل ذي الجدب أن يمرعا
عقدنا له محكمات العهـ ـود طوعاً وكان لها موضعا

فبلغ الشعر هشاماً فأغضبه ، وكتب إلى الوليد : إنك اتخذت عبد الصمد خدناً وأليفاً ومحدثاً ونديماً ، وقد صح عندي أنه على غير الإسلام ، فحقق ذلك ما يقال فيك ، ولم أَرَ بكَ من سوء فاحمل إلي عبد الصمد مع رسولي مذموماً مدحوراً . فلم يجد بداً من إشخاصه إليه وأنشأ يقول :

لقد قرفوا أبا وهب بأمرٍ كبيرٍ أو يزيد على الكبير
وأشهد أنهم كذبوا عليه شهادة عالم بهم خبير(١)

قال : فلما صار عبد الصمد إلى هشام أمر بإنفاذه إلى يوسف بن عمر ، ومعه أخ له يقال له عبد الرحمن ، فبنى لهما يوسف بيتاً وجعلهما فيه وطيّن بابه وصير فيه كوة يرمي منها إليهما بالطعام ، ووكل بهما محمد بن نباتة بن حنظلة ، ثم أعطشهما حتى برصا أو برص أحدهما ، وماتا عطشاً .

وقال هشام لعبد الله بن عبد الأعلى أخيهما وقد كلمه فيهما : أأنت على دينهما ؟ قال : أنا عليه ، والله ما يدينان إلا بالإسلام . فأمر به فأخرج عنه ، وقال : لا يساكنني ولا يكلمنه أحد ، فأتى الوليد بن يزيد فلم يأذن له عليه . وكان يجلس في المسجد وقد اجتنبه الناس .

المدائني عن مسلمة بن محارب عن رجل من قريش قال : قدمتُ الشام فرأيت عبد الله بن عبد الأعلى فتمنيت أن يكون حالي مثل حاله ، ثم غبت

---

١ ـ شعر الوليد بن يزيد ص ٦٥ .

أعواماً وقدمت الشام فإذا هو مفرد لا يجالسه أحد ولا يكلمه ، فقلت له : إني قدمت الشام مذ أعوام فرأيتك في حالٍ تمنيت أن أكون في مثلها ، وأنت اليوم على ما أرى ، فقال : إنه بلغ قومنا عنا شيء فأخذوا بظاهر البلاغ ، ولم يطلعوا على باطن الضمير ، ومن ورائنا وورائهم الحساب .

المدائني عن أبي اليقظان قال : كان بالشام رجل من أهل اليمن يقال له عبد الله بن سهيل ، وقد ولي دمشق أو شرطتها مراراً ، فكتب الوليد إلى هشام يعلمه أنه قد فارق عبد الصمد ويسأله أن يأذن لابن سهيل في القدوم عليه ، فضرب هشام ابن سهيل ونفاه ، وأخذ عياض بن مسلم وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليدفضربه وألبسه المسوح وقيده وحبسه ، فغم ذلك الوليد فقال : من يثق بالناس أو يصطنع المعروف هذا الأحول المشؤوم قدَّمه أبي وولاه الخلافة وهو يصنع ما ترون .

وقال الوليد :

أنا النذير لمسدي نعمة أبداً … إلى المقاريف ما لم يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطراً … وإن أهنتهُمُ ألفيتَهُم ذُلُلَا
أتشمخون ومنّا أصل نعمتكم … ستعلمون إذا صِرْتُمْ لنا خَوَلا
أنظر فإن أنت لم تقدر على مثلٍ … لهم سوى الكلب فاضربه لهم مثلا
بينا يُسَمِّنُهُ للصيد صاحبُه … عدا عليه فلو يَسْطِيْعُهُ أَكَلَا[1]

قالوا : وبلغ الوليد أن العباس بن الوليد بن عبد الملك وعمر بن الوليد وغيرهما من بني مروان يعيبونه بشرب الشراب فقال :

---

١ ـ شعر الوليد ص ٩٢ ـ ٩٥ .

ولقد قضيتُ ـ وإن تَجَلَّلَ لَمَّتِي شيبٌ ـ على رغم العدى لذَّاتي
من كاعباتٍ كالدمى ومناصفٍ ومراكبٍ للصيد والنشوات
إن يَطلُبوا بتراتهم يعطونها أو يُطلَبوا لا يُدركوا بتراتِ[1]

قالوا: وقطع هشام عن الوليد ما كان يجري عليه، وأسقط أسماء أصحابه وحرسه، وقطع ما كان يجريه عليهم، فكتب إليه الوليد: «قد بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين أصلحه الله في قطع ما قطع عني وعن أصحابي وحرسي وأهلي، ولم أكن خائفاً لأن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك، ولا يبتليني به منه، فإن يكن طلبي ابن سهيل علة ذلك فلم يبلغ أمر ابن سهيل وكتابي فيه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتي، وإن يكن ذلك لشيء في نفس أمير المؤمنين عليّ فقد سبب الله لي من العهد، وكتب لي من العمر، وقسم لي من الرزق ما لا يقدر أحد على قطع شيء منه بدون مدته، ولا صرف شيء منه عن مواقعه، فأقدار الله تجري بما أحب الناس أو كرهوا، فلا تأخير لعاجلها ولا تعجيل لآجلها، والناس بين ذلك مقترفون للآثام على أنفسهم».

فكتب إليه هشام: «قد فهم أمير المؤمنين كتابك، وأمير المؤمنين يستغفر الله من اجرائه ما كان يجري عليك، فإنه للمأثم في ذلك أخوف منه على نفسه في قطعه ماقطع لأمرين: أما أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجريه عليك وهو يعلم المواضع التي تضعه فيها، وإنفاقك إياه في سبل المعصية، وأما الآخر فلأن أمير المؤمنين أثبت صحابتك وإدرار أرزاقهم وليس ينالهم ما

١ ـ شعر الوليد ص ٣١ .

ينال المسلمين في كل عام من المكروه عند قطع البعوث وجهاد العدو، وإنماهم معك تجول بهم في سِفْهِكَ وبطلانك وفُسُوقك، ولأمير المؤمنين إلى التقصير في التغيير عليك أقرب منه إلى الاعتداء، ولقد بصر الله أمير المؤمنين من قطع ماقطع عنك وعن أصحابك المجّان مايرجو أن يكون كفارة لما سلف من إدرار ذلك عليكم وبالله الثقة. وأما ابن سهيل فهل زاد ـ لله أبوك ـ على أن كان زفّاناً مغنياً، قد بلغ في السفه غايته، وليس هو في ذلك بشر ممن تستصحبه مع الأمور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها، مما أنت لعمر الله أهل للتوبيخ بها، فأما ماذكرت مما سبب الله لك فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك وأصفاه به، والله بالغ أمره، ولقد أصبح أمير المؤمنين على اليقين من ربه أنه لايملك لنفسه فيما أعطاه الله من كرامته ضراً ولانفعاً، وإن الله وَلّى ذلك منه، وإنه أرأف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير الرضا منهم، وإن أمير المؤمنين لحسن ظنه بربه على أعظم الرجاء أن ييسر له تسبيب ذلك لمن هو أهله في الرضا به، فإن بلاء الله عنده أعظم من أن يبلغه ذكره، ويؤدي حقه فيه شكره إلا بعون منه له، ولئن كان قد قدر لأمير المؤمنين تعجيل وفاةٍ إن في الذي هو مُفْضٍ إليه من كرامة ربه إن شاء الله لخلفاً من الدنيا، ولعمر أمير المؤمنين إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك وسقوطك، فَارْبَع على نفسك وغلوائها، فإن لله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاء، وأمير المؤمنين يسأل الله العصمةوالتوفيق لأحب الأمور إليه، وأرضاها له. والسلام» .

فكتب إليه الوليد:

رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي فلو كنت ذا عقلٍ لهدَّمْتَ ما تبني
ستترك للباقين مجنى ضغينة وَوَيلٌ لهم إن مِتُّ من شر ما تَجني[1]

وقال الوليد:

أليس عظيماً أن أرى كل واردٍ حياضك يوماً صادراً بالنوافل
وأرجع مجذوذْ الرجاء مُصَرَّدَاً بتخليةٍ عن وِرْدِ تلك المناهل
فأُويسْتُ مما كنت آمل فيكم وليس يلاقي ما رجا كل آمل
كذي قبضةٍ يوماً على عرض هبوةٍ يشد عليها كفه بالأنـامل[2]

وقال المدائني: ذكر الوليد عند المهدي أمير المؤمنين فقيل: كان زنديقاً، فقال: خلافة الله أَجَلُّ وأكرم عليه من أن يوليها زنديقاً.

قال المدائني: وكانت عند الوليد أم عبد الملك بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فمرض سعيد وهو مُتَبَدٍّ، فعاده الوليد بن يزيد، فدخل عليه ولم يعلموا به، فرأى أختها سلمى بنت سعيد لمحة، فوقعت في قلبه، فطلق أختها وخطبها فلم يزوجه إياها أبوها، وكانت أختها أم عثمان بنت سعيد عند هشام، فأرسل هشام إلى سعيد: إياك أن تزوجه، فقال: أيريد الوليد أن يكون فحلاً لبناتك، يطلّق واحدة ويتزوج واحدة، فلم يزوّجه، فكتب إلى أبيها:

أبا عثمان هل لك في صنيع تصيب الرشد في صلبي هديتا
فأشكر منك ذا المسدى وتُحيي أبـا عثمان مَيِّتـةً ومَيْتَا[3]

---

١ ـ شعر الوليد ص١٢٥ مع فوارق.
٢ ـ شعر الوليد ص١٠٤ .
٣ ـ شعر الوليد ص٢٧ .

فقال له عبد الصمد بن عبد الأعلى وهو بعد عنده، وليث وغيرهما من أصحابه: ماترجو بها وقد ردك أبوها عنها، وسيزوجك إذا مات هشام فقال:

يعـزيني أبو وهب وليث ويعذل مالك وأبو ركين
فقلت لهم كلامكُمُ محالٌ دعوني من كلامكمُ دعوني[1]

وقال ابو اليقظان: خرج الوليد إلى فُدَين[2] ومنزل سعيد بن خالد بفدين، فرأى رجلاً يبيع الزيت قريباً من منزل سعيد فأخذ ثيابه ولبسها، وساق حمار الزيت حتى أدخله قصر سعيد، وهو ينادي: من يشتري الزيت. فخرج الجواري فنظرن فقالت جارية منهنّ لسلمى: ياسيدتي مارأيت إنساناً أشبه بالوليد من هذا الزيات ابن الخبيثة، انظري إليه، فاطلَعَتْ سلمى فقالت للجارية: ويحك هو والله الوليد، قد والله رآني فقولي له يازيات أخرج لانريد زيتك. فخرج وقد لمحها وقال:

إنـني أبصرت شخـصـاً حَسَنَ الـوجـه مـليـح
لابـســاً أثــواب ســوءٍ مِــن عَـبَـاءٍ ومُـسُـوح
وأبـيـع الـزيت بـيعـاً خـاسـراً غـير ربيـح[3]

وبلغه أنها خرجت في يوم عيد فقال:

---

١ ـ شعر الوليد ص١٢٢ .
٢ ـ الفدين قرية من أرض حوران. معجم البلدان، وفي جبل العرب مجموعة تلال اسمها الفدين في منطقة شهبا على بعد ٢٠ كم إلى الشمال الشرقي من بلدة الصورة الصغيرة. المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري.
٣ ـ شعر الوليد ص٣٦ .

خَـبَّرُوني أنّ سـلمـى ... خـرجت يـوم المُصَـلَّى
وإذا ثـّـم غـرابٌ ... فـوق غـصـن يـتـفـلّـى
قـلـت بـالله ادْنُ مني ... قـال: هـا ثم تـدلى
قلت هل أبصرت سلمى ... قـال: لا ثـم تـولّى[1]

وقال الوليد أيضاً:

ألا ليت الإله يحين سلمى ... فـإن الله يفعل مـايشاء
فيخرجها فيطرحها بأرض ... ويرقدها وقد سقط الرداء
ويأتي بي فيطرحني عليها ... فأوقظها وقد قضي القضاء
ويرسل ديمةً سَحًّاً علينا ... فيغسلنا فلا يبقى العناء[2]

وقال أيضاً:

يا من لقلب في الهوى متشعب ... أم من لقلب في الحبال عميد
سلمى هواه فليس يذكر غيرها ... دون الطريف ودون كل تليد
إن القـرابة والمـودة أَلَّفا ... بين الوليد وبين بنت سعيد[3]

وقال أيضاً:

شاع شعري في سليمى وظهر ... ورواه كـل بـادٍ وحضر
وتهـادتـه العـذارى بينهـا ... وتغنـين بـه حتى انتشر
قلت قولاً لسليمى معجباً ... مثل ما قال جميلٌ وعمر
لـو رأينـا لسليمى أثـراً ... لسجدنا ألفَ ألفٍ للأثر

١ - شعر الوليد ص٨٩ .
٢ - شعر الوليد ص١٤٥ .
٣ - شعر الوليد ص٤٨ .

واتخذناها إماماًمرتضىً ولكانت حجنا والمعتمر
إنما بنت سعيد قمر هل حرجنا إن سجدنا للقمر[١]

وقال أيضاً:

رآني الله يا سلمى حياتي وفي يوم الحساب كما أراكِ
ألا تجزين من تَيَّمْتِ عُمراً ومن لو تطلبين لقد أتاكِ
ومن إن مُتِّ مات ولا تموتي وإن ينسأ له أَجَلٌ بكاكِ
ومن لو قلتِ مُتْ وأَطَاق موتاً إذاًذاق المات وما عصاك
ومن حقاً لو اعطي ماتمنى من الأرض العريضة ماعداك
أثيبي هائما كلفاً معنى إذا خدرت له رجل دعاك[٢]

وقال أيضاً:

أنا في يمنى يديها وهي في يسرى يديَّه
إن هذا لقضاء غير عدلٍ يا أُخَيَّه
ليت من لام محباً في الهوى لاقى المنيّة
فاستراح الناس منه ميتةً غير سويّه[٣]

وقال أيضاً:

ويح سلمى لوتراني لعناها ما عناني
متلفاً في اللهو مالي عاشقاً حور الغواني
ولقد كنت زماناً خالي الذرع لشاني[٤]

١ ـ شعر الوليد ص٥٣ .
٢ ـ شعر الوليد ص٨٧ .
٣ ـ شعر الوليد ص١٤٠ .
٤ ـ شعر الوليد ص١٢١ .

وقال أيضاً:

أنا ابن يزيد بن عبد الملك وجدي مروان لا أم لك
فكيف إذا ما ملكت البلا د وقمت خطيباً على منبرك
فَبَخٍّ بخٍ بخ ما أكرمك وبخٍّ بَخٍ بَخ ما أفخرك[1]

وقال أيضاً:

من لقلبٍ أمسى كئيباً حزينا مستهاماً بين اللهى والتراقي
أمّ سَلاّم ما ذكرتك إلا شَرقَتْ بالدموع مني المآقي
حذراً أن تبين لي دار سلمى وتجيء الدنيا لها بفراق[2]

وقال أيضاً :

نام من كان خلياً من ألم ولقد بتّ شجياً لم أنم
احكمي في الوصل إذ وليته ليس قتل النفس من عدل الحكم
أرقب النجم كأني مسند بأكفّ القوم تغشاني الظُّلَم[3]

قالوا: ولم يزل الوليد مقيماً بالأزرق في البرية حتى مات هشام، فلما كان غداة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة أرسل إلى المنذر بن أبي عمرو فأتاه فقال له: ياأبا الزبير ماأتت على ليلة مذ عقلتُ أطول من ليلتي هذه، مازلت في هموم وحديث نفس واغتمام بأمر هذا الرجل الذي قد أولع بي - يعني هشاماً -

---

١ - شعر الوليد ص٨٥ .
٢ - شعر الوليد ص٨٣ . ورواية الأغاني للبيت الثالث ج٧ ص٨٤:
حذراً أن تبين دار سليمى أو يصيح الداعي لها بفراق[1]
أقوم وزناً.
٣ - شعر الوليد ص١٠٨ .

فاركب بنا نتنفس، فركبنا فبينا هو كذلك إذ نظر إلى رهج فقال: هؤلاء رسل هشام نسأل الله خيرهم.

وبدا له رجلان على البريد أحدهما مولى لأبي محمد السفياني، فلما بصرا بالوليد بن يزيد نزلا ثم دنوا منه فسلما عليه بالخلافة، فوجم ثم قال: أمات هشام؟. قالا: نعم. قال: فممن الكتاب؟ قالا: من مولاك سالم بن عبد الله صاحب ديوان الرسائل، فقرأ الكتاب وانصرفا، ثم دعا مولى السفياني فسأله عن عياض فحدثه حديثه وإحرازه ماأحرز من الخزائن وغير ذلك من أمره.

وكتب الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك يأمره أن يأتي الرصافة فيحصي مافيها من أموال هشام، وأموال ولده ويأخذ عماله وحشمه إلا مسلمة بن هشام لأنه كان يكثر ان يكلم أباه فيه، ويكف عنه شرّه ويسأله الرفق به.

فقدم العباس الرصافة فأحكم للوليد ما كتب به إليه، وأتته أم سلمة بنت يعقوب المخزومية وهي امرأة مسلمة بن هشام فقالت: إن مسلمة لايفيق من الشراب ولايكترث لموت أبيه وأمر إخوته. فأخبر العباس مسلمة بما قالت ووبّخه، فطلقها مسلمة في ذلك المجلس، فشخصت تريد فلسطين، فتزوجها أبو العباس أمير المؤمنين.

وكتب العباس بن الوليد إلى الوليد بثبت ماأحصى من أموال هشام وما في خزائنه فقال الوليد:

ليتَ هشاماً عاش حتى يرى　　محلبه الأوفر قد أترعا
كِلْنَا له بالصاع إذا كالها　　وما ظلمناه بها أصوعا

وما أتينا ذاك عن بدعةٍ أَحَلَّهُ القرآن لي أجمعا[1]

المدائني قال: كان هشام بن عبد الملك خطب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة اخته أو ابنته على معاوية بن هشام، فأبى أن يزوجه إياها فجرى بعد ذلك بين يزيد بن عمر وبين الوليد بن القعقاع كلام بلغ هشاماً فبعث به هشام إلى الوليد بن القعقاع فضربه مائة سوط، وحبسه فقال ابن طَيْسلة:

ما فل خيس رجال لا عقول لهم من يعدلون إلى المحبوس في حلب
إلى امرىءٍ لم تصبه الدهر معضلة إلا استقل بها مُسترخيَ اللَّبَب[2]

فلما مات هشام كان البشير بموته إلى الوليد بن يزيد فقال له الوليد: احتكم، فقال: ولاية قنسرين والتخلية بيني وبين الوليد بن القعقاع وأخيه عبد الملك بن القعقاع، فأجابه إلى ذلك، ويقال إنه ولاه جند قنسرين، فهرب الوليد وعبد الملك ابنا القعقاع فاستجارا بقبر مروان، فلم يجرهما الوليد وبعث بهما إلى يزيد بن عمر، وكان على حبسه رجل من فزارة يقال له نوفل بن سُكَين، فدفعهما إليه فحبسهما، فمات أحدهما في الحبس في العذاب، ويقال ماتا جميعاً، فقال عبد العزيز بن القعقاع:

أنوفل من يضمن دماً من دمائنا وشيخاً يُشَقِّقْنَ الجيوب أقاربه

وقال أبو الشَّغب العبسي واسمه عِكْرِشَة بن أَربَد بن عُروة بن مسحل بن شيطان بن جُذَيْم بن جُذَيْمَة:

---

١ - شعر الوليد ص٧٤ .
٢ - لم يردا في شعره .

أَمْسَتْ قبور بني مروان مُخْفَرةً لا يُستجار ولا يُرعىٰ لها الراعي
قبر التميمي[١] أَوْفىٰ من قبورهُمُ يَسْعَىٰ بذمته في قومه الساعي
إنّ البريةَ قالت عند غدْرته أُفٍ لقبر به عاذ ابن قعقاع

وكان الكلام الذي وقع بينهما أن الوليد قال ليزيد : يا بن الفَرَّار ـ يعني أباه حين هرب من سجن خالد ـ فقال له يزيد : يا بن الضَرّاط ، فقال الوليد : يا بن اللخناء . فقال يزيد :

بل أنت نزوة خَوّارٍ على أَمَةٍ لا يَسبقُ الحلباتِ اللؤم والخَوَرُ

فقال : يا بن الفجواء[٢] . قال يزيد : إنما قدمتكم أعجاز النساء وقَدَّمَتْنَا صدور العوالي ـ يعني أن ولّادة أم الوليد وسليمان كانت منهم ، وكان القعقاع بن خليد ضَرط عند الوليد ، وذلك أن الوليد قال لابن رأس الجالوت : تزعمون أن في ولد داود علامة يُعرفون بها وهي أن يمد أحدهم يده فتنال ركبته ، فقال القعقاع : فيدي تنال ركبتي ، وقام لينال ركبته فضرط ، فقال الشاعر لشيبة بن الوليد بن القعقاع :

يا شيب هل لك في ألفٍ مدرهمةٍ بضرطةٍ ليس في إرسالها حَرَجُ
كَدَأبِ شيخك إذ أهوىٰ لركبته فخانَ فِقْحَتَهُ من ضَعفها الشَّرَجُ

المدائني عن الهيثم ومسلمة قالا : استعمل الوليد بن يزيد العمال ، وجاءته البيعة من الآفاق ، فأجرى على زمنىٰ أهل الشام وعميانهم وكساهم ، وأمر لكل إنسان منهم بجائزة وخادم يخدمه ، وأخرج لعيالات الناس الطيب

---

١ ـ بهامش الأصل : قبر أبي الفرزدق .
٢ ـ الفجا : تباعد ما بين الفخذين ، أو الركبتين ، أو الساقين . القاموس .

والكُسَىٰ ، وزاد الناس في أعطياتهم عشرات نقصهم إياها يزيد بن الوليد بعد ذلك ، فسمي يزيد الناقص ، وكان الوليد يطعم الناس ، وقال الوليد :

طاب عيشي وطاب شرب المدامة إذ تَحَسَّيْتُها بغير ملامة[١]

وقال أيضاً :

طاب عيشي وطاب شرب السُّلافة إذ أتانا نعي من بالرّصافة
وأتانا البريد ينعىٰ هشاماً وأتانا بخاتم للخلافة[٢]

وقال أيضاً :

طال ليلي وبتُّ أُسقىٰ المداما إذ أتانا البريد ينعي هشاما
وأتاني بحلة وقضيبٍ وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعلت الولي من بعد فقدي أفضل الناس ناشئا وغلاما
ذاكُمُ ابني وذاك قرم قريشٍ خير خَلْفٍ وخيرهم قُدَّاماً[٣]

وقال أيضاً :

إني سمعت خليلي نحو الرصافة رنّه
خرجت أسحب ذيلي أقول ما شَأنُهُنَّه
إذا بنات هشامٍ يندبن والدهن
يندبن شيخاً كبيراً قد كان يُكْرِمُهُنَّه

١ - شعر الوليد ص ١٧٧ .
٢ - شعر الوليد ص ٨٢ .
٣ - شعر الوليد ص ١١٠ .

فقلن ويلي وعولي والويل حَلَّ بهنّه
أنا المخنث حقاً إنْ لم أُنيكهُنّه[1]

قالوا : وكتب مروان بن محمد إلى الوليد بن يزيد : بارك الله لأمير المؤمنين فيما صار إليه من ولاية عباده ووراثة بلاده ، وقد كانت سكرة الولاية غشيت هشاماً فَصَغَّر ما عظم الله من حقّ أمير المؤمنين ورام من الأمر المستصعب عليه الذي أجابه إليه المدخلون في آرائهم وأديانهم ما حال الله بينه وبينه ، فزحمته الأقدار عنه بأشد مناكبها ، وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى ألبسه أكرم لباس الخلافة فنهض مستقلاً بما حمله فالحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته واختصه بوثائق عرىٰ كرامته وذبّ عنه ما كاده الظالمون فيه ، فرفعه ووضعهم ، وأعزه وأذلهم ، فمن أقام منهم على الخطيئة أوبق نفسه وأسخط ربه ، ومن عدلت به التوبة نازعاً عن الباطل إلى الحق وجد الله توّاباً رحيما ، وإني نهضتُ إلى منبري فأعلمت من قبلي من المسلمين ما امتنَّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين فاستبشروا ببيعتهم ، وقد بسطتُ يدي للبيعة فوكدتها عليهم بالوثائق والعهود وتغليظ الأيمان فكل الناس حسنت إجابته وطاعته ، فَأَثِبْهُم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذي أتاك فإنك أجود الناس جوداً وأبسطهم يداً ، فقد انتظروك راجين فَنَلْهُم بفضلك وأوسع عليهم برفدك وعَرِّفْهُم طَولك على من كان قبلك ، وإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأذن لي في القدوم عليه لأشافهه بأمور أكره الكتاب بها فَعَلَ إن شاء الله .

١ ـ شعر الوليد ص ١٢٨ .

وقال الوليد :

هــلك الأحــول المشـ ـؤوم فقــد أُرسـل المــطر
ومـلكنــا مِــن بـعــد ذا ك فـقــد أَوْرَقَ الـشـجــر
فــاشــكــروا الله إنــه زائِــدٌ كــل مــن شكــر[1]

ويقال إن هذا الشعر لغير الوليد .

قالوا : وكتب الوليد حين ولي إلى الأطراف :

ضَمِنْتُ لكم إن لم تَغُلْنِي منيَّتي بأنَّ سماء الضرِّ عنكم سَتُقْلَعُ
سَتُؤْتَوْنَ إلحاقاً معا وزيـادة وأعـطيـةً تـأتيكُمُ تَتَسـرَّعُ[2]

فلما ظهر أمره وتهتكه قال حمزة بن بيض الحنفي[3] :

وصلت سماء الضرِّ بالضرِّ بعدما زعمتَ سماء الضرِّ عنكم ستُقلع
فليتَ هشاماً كان حياً يسوسنا فكنا كما كنا نخاف ونطمع

قالوا : وتهتك الوليد في الشراب وقال :

أحبُّ الغناء وشراب الطِّلَا وأنس النسـاء وربِّ السُّوَر
ودِلُّ الغواني وعزف القيان بصَبـح يمانٍ قُبيـل السَّحَـر
وأما الصباح فَهَمِّي القداح وخيـلٍ شواح جيـاد حُضر
ونصف النهار عراك الجوار وحَــلُّ الإزار إذا تنبهــر[4]
وأمــا العشيُّ فـأمــر جـليّ وقتـل الكميّ بعَضْبٍ ذَكَر

---

١ - شعر الوليد ص ٥٥ .
٢ - شعر الوليد ص ٧٧ مع فوارق .
٣ - كتب بهامش الأصل : «ناقص كراستين» .
٤ - انبهر انقطع نفسه من الاعياء .

سبتني البَغُوم[١] بدلٍّ رخيم ووجهٍ نضيرٍ شبيه القمر
وردفٍ نبيلٍ وخدٍ أسيل كسيفٍ صقيلٍ يحير البصر[٢]

وقال أيضاً :

عللاني بعاتقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب المدامة صرفاً في إناءٍ من الزجاج عظيم[٣]

وأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص وهي أم مسلمة بن هشام .

قال أبو الحسن المدائني : كسا الوليد الغُزَيِّل أبا كامل المغني قلنسوة برود كانت عليه فكان يصونها ولا يلبسها إلا في يوم عيد ويقول : كسانيها أمير المؤمنين فقد أوصيتُ أهلي أن يضعوها في أكفاني ، وقال فيه الوليد :

من مُبْلِغٌ عني أبا كاملٍ إني إذا ما غاب كالهامل
وزادني شوقاً إلى قُربه فيما مضىٰ من دهرنا الحابل
إني إذا عاطيته مرّة ظللت بيوم الفرح الجاذل[٤]

وقال أيضاً :

لا عيش إلا بمالك بن أبي السَّـ ـمْحِ فلا تَلْحَني ولا تَلُمْ
مثل ضياء المصباح أو قبس الـ ـقابس في حالكٍ من الظُّلَمْ[٥]

---

١ ـ البغوم : المرأة رخيمة الصوت .
٢ ـ شعر الوليد ص ٥٤ .
٣ ـ شعر الوليد ص ١١٣ مع فوارق واضحة .
٤ ـ شعر الوليد ص ١٠١ .
٥ ـ شعر الوليد ص ١٥٨ مع فوارق .

ويقال إن البيتين لحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس .

المدائني وغيره قالوا : لما قام الوليد لم يكن له همة إلا تزوج سلمى ، فأرسل فخطبها فتزوجها فقيل له : قد كنت حلفت بطلاقها إذا تزوجتها ثلاثاً . فسأل عن يمينه فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : طالق . وقال آخرون : لا طلاق إلاّ بعد نكاح ، فَهَمَّ أن يدخل بها فقيل : أنت إمام وإن دخلت بها أخذ الناس ذلك سنّة فأمسك ، وزوجها أخوها من ابن أخي الوليد ودخل بها ثم طلقها ابن أخي الوليد ، وقيل أن أباهازوجها من ابن أخي الوليد فلما زفّت إليه وكل به الوليد من منعه من الدخول بها حتى طلقها ، ويقال إنه دخل بها ثم طلقها ، وانتظر الوليد أن تنقضي عدتها فلما انقضت خطبها إلى أبيها فتزوجها وقال :

خَفَّ من دار جيرتي يا خليليَّ أُنسها
أفلا تخرج العرو س فقد طال حبسها
قد دنا الصبح أو بدا وهي لم يقض لبسها
خرجت كالمهاة في ليلة غاب نحسها
بين خمس كواعبٍ أكرم الجنس جنسها[1]

وقال أيضاً :

أسُلمى تلك في العير قفي إن شئت أو سيري
فلما أن دنا الصبح وأصوات العصافير

---

١ ـ شعر الوليد ص ٧٠ .

خرجنا نَتَّقي الشمس مطايا القوم كالعور
إذا ما أَغْرَضُ حالَتْ سددناها بتصدير[١]

قال : وقالت ابنة سعيد : أبي يصلح للخلافة ، فقالت ابنة الوليد :

فإنك والخلافة يا سعيد لكالحادي وليس له بعير

فقالت سلمىٰ : ولم لا يطمع في الخلافة وهو ابن أمير المؤمنين عثمان ، وغضبتْ فقال الوليد :

غضبتُ سلمىٰ عليَّ سفاهاً أَنْ شَتَمْتُ اليوم فيها أباها[٢]

قالوا : فماتت بعد دخوله عليها بأربعين يوماً ويقال ليلة دخلت عليه أو بعدها بثلاث ، ويقال بسَنَة ، فقال :

ألم تعلما سلمى أقامتْ بِمَهْمَهٍ مُضَمَّنَةٍ قبراً من الأرض أُلْحِدا[٣] .

في أشعار .

وقالوا : عقد الوليد لابنه الحكم واستعمله على دمشق ، وعقد لابنه عثمان بعده ، واستعمله على حمص وضم إليه ربيعة الرأي بن أبي عبد الرحمن الفقيه .

وقال الهيثم بن عدي : وقال الوليد :

ولقد صدنا غزالاً سانحاً فأردنا ذبحه لما سَنَحْ
فإذا شِبْهُكَ ما ننكره حين أشجىٰ طرفه ثم لَمَحْ

---

١ ـ شعر الوليد ص ١٥٠ .
٢ ـ شعر الوليد ص ١٢٩ .
٣ ـ شعر الوليد ص ٤٠ مع فوارق .

فتركناه ولولا حبكم فاعلمي ذاك لقد كان ذُبحْ
أنت يا ظبي طليق آمِنٌ فَاغْدُ في الغزلان مسروراً ورُحْ[١]

وقال الهيثم بن عدي : سمي الوليد البيطار لأنه كان يصيد الحمر الوحشية فيسمها بالوليد ثم يخلّيها فوجدت في أيام أبي العباس السفاح والمنصور حمر موسومة باسمه .

وكان يحب دخول الحيرة والكوفة فخرج كالمتبدي ، ثم أتى الكوفة فنادم شراعة بن أبي الزندبوذ ، ومطيع بن إياس ، وحماد الراوية ، وحماد عجرد وبعض آل أبي معيط ، وقال يوماً لشراعة : أسألك عن الأشربة فقال : سل يا أمير المؤمنين . قال : ما تقول في الماء ؟ قال : الحياة ويشركن فيه البقر والحمير والكلاب . قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيته قط إلّا ذكرت ثدي أمي . قال : فنبيذ التمر ؟ قال : نبيذ الباعة والمهّان ومن لا خلاق له ، قال : فنبيذ السكرّ ؟ قال : الخمرة المنتنة . قال : فنبيذ الزبيب والعسل ؟ قال : «مرعىٰ ولا كالسعدان[٢]» . قال : فالخمر ؟ قال : واهاً لها ، تلك صديقة روحي وحياة نفسي . قال : فعلىٰ أي الوجوه تحب أن تشربها ؟ قال : على وجه السماء .

ويقال إنه لم يخرج إلىٰ الكوفة ولكن أشخص ظرفاؤها إليه ، وكان فيهم شراعة بن أبي الزندبوذ .

---

١ ـ شعر الوليد ص ٣٥ .
٢ ـ السعدان : نبت من أفضل مراعي الإبل ، ومنه «مرعى ولا كالسعدان» وله شوك تشبه به حلمة الثدي . القاموس .

وقال حماد : أنشدته أشعار العرب فلم يهشّ لها ، وأنشدته شعراً سخيفاً فطرب له واستعادنيه فقلت : هذا والله الإدبار ، ثم دخلت بعد على أبي مسلم فقال : أنشدني قصيدة الأَفْوَه[1] فأنشدته إياها ، وجعل يستعيدني قوله :

تُهدىٰ الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولّت فبالأشرار تنقاد

فقلت : هذا والله الإقبال .

وقالوا: وكان مما سمع الوليد بالكوفة ـ أو ممن أُشخص إليه من أهل الكوفة ـ فأعجبه ، غناء قينتين لعبدالله بن هلال الهجري المعروف بصديق إبليس ، وهو من حمير ، فقال :

يا أهل بابل ما نَفَسْتُ عليكم من عيشكم إلا ثلاث خلال
خمر الفرات وليل قيظ باردٍ وسماع مسمعتين لابن هلال[2]

ويروىٰ : ماء الفرات وخمرة حيرية وسورية .

قالوا : وكتب الوليد إلى خاله يوسف بن محمد بن يوسف ـ وكان عامله على مكة والمدينة ـ أن يأخذ ابني هشام بن اسماعيل : ابراهيم ومحمداً ويحملهما إلى يوسف بن عمر ليحاسبهما ويأخذ للناس حقوقهم منهما ، وكتب في أخذ عمال هشام وحشمه بما عندهم إلا مسلمة ابنه .

وقال الوليد :

---

١ ـ الافوه لقب، واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف الأودي ، كان من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها. الأغاني ج ٢ ص ١٦٩ .

٢ ـ شعر الوليد ص ١٥٧ .

عَلِّلِ القوم قليلاً يا بن بنت الفارسية
غَنِّهم أنت وبِشْرٌ وابن بنت الهُذَليه
انهم قد عاقروا اليو م عقاراً مَقَديَّه[١]
عندنا مسكٌ وريحـ ـان وعود المندليه[٢]

وقال أيضاً :

عللاني واسقياني من شراب الأصبهاني
من شراب الشيخ كسرىٰ وشراب القيرواني
وامزج الكأس ولا تكـ ـثر مزاج العسقلاني
إن بالكأس لمسكاً وبكفَّيْ من سقاني
إنما الكأس ربيع يتعاطى بالبنانِ[٣]

وقال أيضاً :

اسقنا يا زبير بالقرقاره قد طربنا وحنت الزمارة
اسقني اسقني فإنّ ذنوبي قد أحاطت فما لها كفارة[٤]

وقال أيضاً :

أصبح اليوم وليد هائماً بالغانياتِ
عنده طاس وابريـ ـق وراح بالفلاةِ

---

١ ـ مقديه نسبه إلى قرية بالشام قيل بناحية حمص وقيل بناحية دمشق من أعمال أذرعات . معجم البلدان .
٢ ـ شعر الوليد ص ١٣٩ .
٣ ـ شعر الوليد ص ١٢٣ .
٤ ـ شعر الوليد ص ٦٨ ، والقرقاره : كوب من زجاج طويل العنق .

ابعثوا خيلاً لخيلٍ ورماة لرماة[١]

وقال أيضاً :

اسقني يا زيد صرفاً اسقني بالطرجهاره[٢]
اسقنيها مزة تأخـ ـذني منها استداره
اسقنيها كي تُسلّي ما بقلبي من حراره[٣]

وقال أيضاً :

امدحِ الكأس ومن أعملَهَا واهجُ قوماً قتلونا بالعطشْ
إنما الكأس ربيع باكر فإذا ما غاب عنا لم نعشْ[٤]

وقال أيضاً :

نزلتْ سلمىٰ بقلبي منزلاً ذا عَدَوَاءِ
فزجرتُ النفس عنها لو تناهتْ بانتهاءِ
نظرتْ سلمىٰ وقالت حين صَدَّت يا نسائي
نظر الظبية ريعت وهي وسنىٰ في ظباءِ[٥]

وقال أيضاً :

وجدت العيش يا سلمىٰ مزاج الكاس بالكاسِ
إذا ما كأسنا دارت فهزَّتْ فروة الراسِ

---

١ ـ شعر الوليد ص ٣٠
٢ ـ وعاء كالفنجان .
٣ ـ شعر الوليد ص ٦٧
٤ ـ شعر الوليد ص ١٥١ .
٥ ـ شعر الوليد ص ١٣ .

وفـتـيـانـاً أنـادمـهـم كـرامـاً غـير أنـكـاسِ
فـلولا رقـبـة الله وإني رهـن أرمـاسِ
لقـد زرتـك يـا سلمى عـلى خـوف وإيجـاسِ
ولا والله يـا سـلمـ ـاي ما بالحب من باس[1]

وقال أيضاً :

أم سلامٍ لو لقيتِ من الوجـ ـد عُشَيْرَ الذي لقيتُ بَرَاكِ
فـأثيبي بالـودِّ صَبّاً عميـداً مُسْتَهاماً لم يشجْهِ ما شجاكِ
أنت تَفْدِينَ عَبْدَ[2] من كل خيرٍ ومن السّوء هي تكون فداك[3]

وقال يرثي مؤمناً ابنه وكان محباً له :

أتـاني سنان بـالوداع لمؤمنٍ فقلت له إني إلى الله راجع
وكيف بكائي مؤمناً ولقد أرىٰ بأني له يا نفس لابدّ تابع
ألا أيها الحاثي عليه ترابه تَعِسْتَ وشُلّت من يديك الأصابع[4]

قالوا : وبعث الوليد إلى المدينة فحمل اليه المغنون ، فلما قربوا منه أمر أن يدخلوا العسكر ليلاً كراهة أن يراهم الناس ، فأقاموا حتى أمسوا غير محمد بن عائشة مولىٰ كثير بن الصَلْت فإنه دخل نهاراً فغضب عليه الوليد وأمر بحبسه حتى شرب ذات يوم وطرب فكلمه فيه معبد فدعا به ، فغناه حين دخل :

---

١ ـ شعر الوليد ص ٦٩
٢ ـ بهامش الأصل : يعني عبدة .
٣ ـ شعر الوليد ص ٨٦ .
٤ ـ شعر الوليد ص ٧٦

أنت ابن مُسْلَنْطح[١] البطا ح ولم نطرق عليك الحبيّ[٢] والولج[٣]

فرضي عنه .

المدائني قال : قدم الأحوص بن محمد الشاعر ، ومعبد على الوليد فنزلا في بعض طريقهما على غدير وجارية تستقي منه فزلقت فانكسرت جرّتها فجلست تغني :

يا بيت عاتكة الذي أتغزّلُ حذر العِدىٰ وبه الفؤاد موكّلُ
إني لأمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود لأَمْيَلُ[٤]

فقالا لها : لمن أنت يا جارية ؟ قالت : كنت بالمدينة لآل الوليد فاشتراني مولاي وهو من آل الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب ، قالا : فلمن الشعر ؟ قالت : سمعت أهل المدينة يقولون أن الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد . فقال معبد للأحوص : قل في هذا شيئاً أغني به فقال :

إن زين الغدير من كسر الجَـ ـرِّ وغنىٰ غناء فحل مجيد
قلت من أنت يا ظعين فقالت كنت فيها مضى لآل الوليد
ثم صرت بعد عزّ قريش في بني عامر لآل الوحيد
وغنائي لمعبدٍ ونشيدي لفتىٰ الناس أحوصِ الصنديد
فتضاحكْتُ ثم قلتُ أنا الأحو ص والشيخ معبدٌ فأعيدي

---

١ ـ المسلنطح : الفضاء الواسع . القاموس .
٢ ـ الحبيّ : السحاب يشرف من الأفق على الأرض ، أو الذي بعضه فوق بعض .
٣ ـ الولج : النواحي والأزقة . القاموس .
٤ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

فأعادتْ فأحسنتْ ثم ولّت تتهـادىٰ فقلت أمَّ سعيـد
يعجـز المـال عنـك ولكن أنتِ في ذمة الإمام الوليد[1]

أم سعيد هَوَىً كانت للأحوص بالمدينة ، فلما قدما على الوليد غناه معبد بهذا الشعر وحدثاه الحديث .

وقال أشعب : قال لي الوليد : أما ترى خالي ، كأن المحاجم بين عينيه ، فإن أضحكْتَهُ فاحتِكم . فقلت : أخذني بطني مرة فخرجتُ فإذا الدنيا فسطاط واحد ، فذكرت قول نبطي مرةً ، قال : من حكمة فارس ، إذا أخذك بطنك فَشُدّ على لسانك ، فإن لم يسكن فشد على فخذيك ، فإن جاءك أكثر من ذاك فانتف من شعر أستك شعرتين أو ثلاثاً ففعلت ذلك فارتفع . فضحك وقال : أتفعل ذلك وأنت محرم ؟ قلت : نعم . فضحك وأخذت الجائزة .

قالوا : وأرسل الوليد إلى البصرة فحمل اليه الهيثم القاريء : وعبدالله بن عمر البكراوي فاستقرأ الهيثم فقرأ ، ثم قال : غنني . فقال : الغناء شيء قد نسيته .

المدائني عن العلاء بن المغيرة قال : قلت للوليد : إني أريد العراق أفلك حاجة يا أمير المؤمنين ؟ قال : بَرْبَط من صنعة زربي .

قال : وكان محمد بن سليمان بن عبد الملك من أضرب الناس وأحسنهم صوتاً وغناء ، فكان يدخل علىٰ الوليد فيغنيه .

---

١ ـ شعر الأحوص ص ٣٨٩ حيث أبدى المحقق شكوكه حول صحة الرواية .

وقال أبو الحسن المدائني : قال العلاء بن المغيرة : وقف الوليد على غدير فأمر بضرب فسطاط له عليه ، ثم قال : والله لا أبرحه أو يُشرب جميع مائه . فجعل الناس ينقلون ماءه بالروايا والقرب حتى نفد ماؤه ، فلما نظر إليه قال : أنا أبو العباس . وأمر الناس بالرحيل بعد ثالثة .

قالوا : وكتب الوليد في إشخاص أشعب الطمع إليه فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب ، وقال له : ارقص وغنني صوتاً يعجبني فرقص وأضحكه فأمر له بألف درهم ، ويقال بعشرة آلاف درهم .

وقال الكلبي : قال حماد الراوية : دعاني الوليد فقدمت عليه فقال : أنشدني ، فأنشدته جيد أشعار العرب فلم يرتح لشيء من ذلك ، حتى جرى الحديث والمزاح فأنشدته قول ابن أبي كبار الهمداني وهو عمار بن عبيد بن يزيد بن عمرو بن ذي كبار السبيعي من همدان ، وهو :

أشتهي منك مكاناً مجنبذا حَبَّذا ثم حبذا حبذا
حبذا من شَذَا بَذَا

فضحك وطرب ووصلني ، ثم صرت بعد ذلك إلى أبي مسلم فقال : أنشدني شعر الأَفْوَه الذي يقول فيه :

تُهدىٰ الأمور بأهل الرأي ما صُلحَتْ فإن تَوَلَّتْ فبالأشرار تقتاد
لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهّالهم سادوا

فقلت : هذا والله الإقبال لا إدبار الوليد .

وقال هشام ابن الكلبي : لم يشخص الوليد إلى الكوفة كما قال بعض الناس ولكن فتيانها شخصوا اليه مثل شراعة بن أبي الزندبوذ ، ومطيع بن إياس وحماد الراوية ، وفتيان آل أبي معيط ، وأُشخصت اليه قينتان

لعبدالله بن هلال الهجري الذي يقال له صديق إبليس ، وحمل إليه خمر كثير من طيزناباذ والفلاليج ، وسوار ، وفرات بادقلى فقال في ذلك :

يا أهل بابل ما نفست عليكم ... من عيشكم إلا ثلاث خلال
خمر الفرات بماء قيظ بارد ... وغناء مسمعتين لابن هلال (١)

وقال الحرمازي : سمعت من يحلف عن مشايخ الكوفيين أنه قدم متنكراً ، ثم انصرف ومعه ظرفاؤها . وسئل هشام بن عمار عن هذا وجرى حديث الوليد فقال : أما الشخوص إلى الكوفة فلا أدري ، ولكنه كان يسير في طريقها المرحلتين والثلاثة ويُحمل اليه ما يحبه منها .

وقال هشام بن عمار عن أبيه : كان الوليد منهمكا على لذاته مشغولاً عن أمور الناس ، يصطبح الأربعين يوماً وأقل وأكثر فلا يراه إلا ندماؤه وخواص خدمه .

وقال المدائني : قال الوليد :

لمن دِمْنَةٌ أقفرتْ بالجليـ ... ـل أنكرتُها بعد إيناسها
كخط الصحيفة بعد الزمـ ... ـان تبقى حُلُوكَةُ أنقاسها (٢)

وأمر ابن عائشة فغنى بهذا الشعر .

المدائني عن جويرية بن أسماء عن إسحاق بن محمد قال : دخلت على منصور بن جمهور وعنده جاريتان من جواري الوليد ، فقال : اسمع ما يحدثانك به ، فقالتا : كنا آثر جواريه عنده فوطىء هذه ، وجاء المؤذن يؤذنه بالصلاة فأخرجها وهي جنب متلثمة فصلت بالناس .

---

١ ـ شعر الوليد ص ١٥٧ .
٢ ـ الأنقاس : المداد . شعر الوليد ص ٧١ .

ولاعب الوليد بن يزيد رياح بن عثمان المرّي فضربه بقضيب كان معه . فقال : أوجعتني يا أمير المؤمنين ، وأخذ رياح القضيب منه فضربه ضربة حمَّرت فخذه فقال : أوجعتني ويلك يا رياح .

حدثني عبدالله بن صالح عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : كنت عند هشام ، وعنده الزهري ، فذكر الوليد فتنقّصاه وعاباه عيباً شديداً ، ولم أعرض لشيء مما كانا فيه ، وجاء الوليد فدخل وأنا أعرف الغضب في وجهه ، فجلس قليلاً ثم قام ، فلما مات هشام أرسل إلي فحُملت إليه فرحب بي وقال : كيف كانت حالك ، وألطف في المسألة وقال : أتذكر يا عبدالله بن ذكوان يوم الأحول وعنده الفاسق الزهري وهما يعيباني ؟ قلت : أذكر ذاك ولم أعرض في شيء منه . قال : صدقت ، أرأيت الغلام القائم على رأس هشام ؟ قلت : نعم . قال : فإنه رفع إلي ما قالا ، وايم الله لو بقي الفاسق الزهري لقتلته . قلت : قد عرفت الغضب في وجهك حين دخلت يومئذ ، ثم قال : يابن ذكوان ذهب الأحول بعمري . قلت : يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين ويمتع الأمة ببقائك ، ودعا بالعشاء فتعشى ، وجاءت المغرب فصلينا وحدثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس ثم قال : اسقني ، فجاؤوا بإناء مغطى وجاء ثلاث جوار فصففن بيني وبينه حتى شرب ثم ذهبن فتحدثنا ثم استسقى فصنع الجواري الثلاث مثل ذلك ، فلم يزل يتحدث ويستسقي على ذلك ، حتى طلع الفجر ، فأحصيت له سبعين قدحاً .

أبو الزناد عبدالله بن ذكوان مولى رملة بنت شيبةبن ربيعة بن عبد شمس ، يكنى أبا عبد الرحمن ، ومات بالمدينة سنة ثلاثين ومائة .

قال : وأرسل الوليد إلى محمد الحداد وصارعه ، فاحتمله محمد فوضعه على منكبيه ، ثم أتى به السرير فوضعه عليه فلطمه الوليد وضحك .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : كان عمر الأزرقي مولى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان صريعاً للوليد فقال عمر : إني لجالس يوماً على باب البيت الذي فيه الوليد وهو مضطجع ما عنده أحد ، إذ قال : يا عمر ، قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ما بقي منك ؟ قلت : أغلبُ الأسدَ ولا تطيقني الرجال ، فضحك وسكت ، ثم وثب عن السرير فاحتملني على رأسه ثم ضرب بي الأرض فكاد يقتلني ، ثم رجع إلى السرير واستلقى فضحك ، قلت : يا أمير المؤمنين اغتررتني ، أما لو أعلمتني لعلمتَ ما أصنع .

قالوا : وكان الوليد شديد البطش طويل أصابع اليدين والرجلين ، توتد له سكة حديد وفيها خيط ، ويشد الخيط في رجله ، ويؤتى بالدابة فيثب عليها فينتزع السكة ، ويركب وما يمسّ الدابة بيده .

هشام ابن الكلبي والمدائني قالا : خرج الوليد يتصيد ومعه حسين بن عبيد بن برهمة بن أذينة بن حارثة بنت جندلة بن عبيدة بن امرىء القيس بن عبدالله بن جنابِ الكلبي ، فانفردا عن الناس حتى انقطعا عنهم ، وتعالى النهار ، وجاع الوليد فانتهى إلى قرية فرأى بها رجلاً جالساً فقال له : أعندك شيء نأكله ؟ قال : نعم ، وجاء بخبز شعير وربيثاء[1] وزيت وكراث فأكل الوليد وحسين بن برهمة الكلبي وكان ماجناً خليعاً فقال :

---

١ ـ لم أهتد إلى تعريف للربيثاء .

إنَّ مَن يُطْعَمُ الرُّبَيْثاء بالزيـ ـت بهذا المكان والكـراث
لخليق بـلطمـة أو بثـنتيـ ـن لسوء الصنيع أو بثلاث

فقال الوليد : ويحك إنما ينبغي أن تقول ببدرة أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث ، وأقاما حتى لحقهما الناس ، فأمر الوليد للرجل بثلاث بدر .

ولحسين يقول الشاعر :

زعم الزاعمون أن حسين بـ ـن عبيد بن برهـة زنديقْ
ولعمـري لئن هم زعمـوه مـا أشـطّوا وإنّـه لخـليـقْ
يشرب الخمر كل يوم ويزني ويـواري قمدّه[1] الصنـدوق

قالوا : وكان الوليد يطأ جواري أبيه اللاتي كان وطئهن ، فقالت جارية منهن : والله لقد نالنا بما تعافه البهائم .

قال المدائني : كان للوليد مضحك يقال له زبالة ، فكتب الوليد بين عينيه بخضرة «حر» ، فكره الناس ذلك وتحدثوا به وعابوه .

ومن شعر الوليد :

قد كنت أحسب أنني جَلْدُ القوى حتى رأيت كـواعباً أتـرابـا
يرفلن في وشي البرود عشية مثل الظباء وقد ملئن شبابا[2]

وأنشدت مغنية للوليد :

أطربتني للصبح يوم صَبُوحي قينـةٌ في يمـينهـا إبـريـق

---

١ ـ ذكر قمد : شديد الانعاظ . القاموس .

٢ ـ شعر الوليد ص ١٥ .

فقال : هو كذا فأتمي الأبيات . فقالت : لا أعرف منه غير هذا . فقال : قد كان حماد الراوية أنشدنيه مرة ، فكتب في إشخاص حماد على البريد فلما دخل عليه قال : قينة في يمينها إبريق . وأنشد :

ثم نادوا ألا اصبحونا فقامت   قينـــة في يمـينهـــا إبــريـق
قدَّمَتْه على عقار كعين الديـ   ـك صفى سلافها الراووق
مَـزَّةٌ قبل مـزجها فـإذا ما   مُزِجَت لَذّ طعمها من يذوق
وطَفَتْ فوقها طوافٍ من اليا   قـوت حمر يثـيرها التصفيق

في أبيات فكساه وأجازه وأمر فأقفل من ساعته .

قالوا : وكان عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك أخو الوليد يُرمى بالتأنيث فتزوج ابنة محمد بن الوليد بن عبد الملك ، فلم يصل إليها ، فَفَرَّقَ هشام بينهما فخلف عليها بعده محمد بن روح بن الوليد ، فغضب الوليد بن يزيد ، وكان آل الوليد بن عبد الملك أعداء آل مروان فأساء بهم ، وتجنى على محمد بن روح فحبسه وحبس عدة منهم فيهم المؤمل بن العباس بن الوليد .

مقتل الوليد بن يزيد

قالوا : وكان الناس يتحدثون في أيام يزيد بن عبد الملك أن الوليد شهيد بني مروان .

وحدثني هشام بن عمار قال : سمعت مشايخنا يحدثون أنه كان في نفس الوليد بن يزيد بن عبد الملك على سليمان بن هشام شيء وذلك أنه كان يساعد أباه على ذمه ويشير عليه بخلعه وقتله ، فلما ولي دعا به فقال : ألستَ أعدى الناس لي ؟ ، ألستَ القائل كذا ، فأغلظ له سليمان ، فضربه الوليد مائة سوط ضرباً مبرحاً وحلقه وألبسه الصوف وثقله بالحديد ، فكلم فيه فأخرجه ، فكان أشد الناس تأليباً عليه .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : كان سليمان عدواً للوليد ، فكان يسعى في قتله لا يألو ، وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك رجلاً حسن العقل ، يظهر عفافاً وتورعاً إلا أنه كان ينسب إلى قول غيلان بن مُسلم الذي قتله هشام في القدر ، وكان الوليد قد أقصاه وجميع

إخوته وأهل بيته ، واستخف بهم وحرمهم ، وأغلظ لهم ، وحبس بعضهم فرموا الوليد بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه وباللواط ، وقالوا : قد اتخذ جوامع كتب على كل جامعة منها اسم رجل من بني أمية ليقتله .

قال المدائني عن رجاله : كان الوليد صاحب صيد وتهتك ولهو ولذات يتثقل فيها ، فلما ولي الأمر جعل يكره المواضع التي يراه الناس فيها فلم يدخل مدينة من مدن الشام حتى قتل ، وكان تحول فثقل على الناس وعلى جنده واشتد على بني هشام[1] حتى ضرب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغرّبه إلى عَمّان من أرض الشام .

وأخذ الوليد جارية لآل الوليد بن عبد الملك ، فكلمه عمر بن الوليد فيها ، فقال : لا أردها ، فقال عمر : إذاً تكثر الصواهل حول عسكرك .

وقال أبو الحسن المدائني : حبس الوليد يزيد بن هشام ، وهو الأفقم ، وفرّق بين روح بن الوليد وبين امرأته ، وحبس عدة من ولد الوليد ، وعذب بعضهم وعزم على البيعة لابنيه الحكم وعثمان وقال :

نـأمـل عثـمان بعـد الـوليـ ـد أو حَكَماً ثم نرجو سعيدا
كما كان من كان من قبلنا يزيد يُرجّي لتلك الوليدا[2]

وشاور الوليد في ذلك فأشار عليه ابن بيهس بن صهيب الجرمي ألا يفعل وقال : انهما صغيران لم يحتلما ، ولكن بايع لعتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فغضب عليه وحبسه حتى مات في الحبس .

---

١ ـ بالأصل : هاشم ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه .
٢ ـ شعر الوليد ص ١٤٧ .

قال المدائني : ودعا الوليد خالد بن عبدالله القسري إلى البيعة لابنيه فأبى فقال له بعض أهله : دعاك أمير المؤمنين فخالفته ؟ فقال : ويحكم كيف أبايع من لا أصلي خلفه ولا أقبل شهادته ؟ قالوا : فتقبل شهادة الوليد مع مجونه وفسقه . قال : أمر الوليد أمرٌ غاب عني فلا أتتبعه ، وإنما هي أخبار الناس . فغضب الوليد على خالد وقال : كان الأحول أعرف به .

وأراد الوليد الحج ، فنهاه خالد عن ذلك لأنه خاف أن يفتك الناس به لإنكارهم أمره ، فقال له : لم كرهت حجي ؟ فقال : لا تحتاج إلى أن أخبرك . فازداد غضباً وأمر بحبسه واستيدائه ما عليه من أموال العراق ، ودفعه إلى يوسف بن عمر فعذبه حتى قتله ، وكان من أمره ما قد ذكرناه .

المدائني عن عمر بن سعيد الثقفي قال : أوفدني يوسف بن عمر على الوليد ، فلما قدمت عليه قال : كيف الفاسق ـ يعني الوليد ـ ثم قال : إياك وأن يسمع هذا منك أحد . فقلت : امرأتي طالق إن سمعه مني أحد ما دمت حياً ، فضحك .

قالوا : فلما فعل الوليد ما فعلَ من قتل خالد بن عبد الله ، وابراهيم ومحمد ابني هشام بن اسماعيل حين قال : آخذهما بحق الله عليهما وحقوق الناس ، وتجنيّ عليهما ، وما فعل ببني هشام وبني الوليد ، وحبسه المؤمّل بن العباس بن الوليد ، وبني القعقاع ، وآل القعقاع واضْطَغَنَتْ عليه اليمانية لفعله بخالد بن عبد الله ، ورمي بالزندقة ، وكان أشدهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناس مائلين إلى قوله لستره وإظهاره النسك ، وجعل يقول : ما يسعنا الرضا بالوليد . حتى حمل الناس على الفتك به .

المدائني أن يزيد بن مصاد الكلبي قال : أخبرني عمرو بن شراحيل قال : سيّرنا هشام إلى دهلك ، فلم نزل بها الى أن مات هشام وقام الوليد فكُلم فأبى ردّنا ، ثم قال : والله ما عمل هشام عملاً أرجى أن تناله به المغفرة من تسييره هؤلاء ، وقتله القدرية ـ يعني غيلان وصاحبه ـ وقد كانت جماعة من اليمانية اجتمعت إلى خالد بن عبدالله القسري من أهل دمشق قبل حبسه ، منهم : شبيب بن أبي مالك الغساني ، ومنصور بن جمهور الكلبي ، وحميد بن نصر اللخمي ، والأصبغ بن ذؤالة ، وابن زياد بن علاثة ، فدعوه الى أمرهم فأبى ذلك ، فسألوه أن يكتم عليهم ففعل ، فلما حبس قال بعض الكلبيين شعراً على لسان الوليد :

وهـذا خالـد أمسى أسيـراً ألَا منعوه إنْ كانوا رجالا
فلو كانت قبائل ذات عِزٍّ لـما ذهبتْ صنائعـة ضلالا
ولا تـركـوه مسلوبـاً أسيراً يعالج من سلاسلنا الثقـالا
بها سمنا البريَّة كل خسفٍ وهـدَّمنـا السهـولـة والجبـالا
فلا زالوا لنـا أبداً عبيـداً نســومهم المـذلـة والنكـالا

فازداد الناس على الوليد حنقاً ، وقال حمزة بن بيض الحنفي

يا وليدَ الخنا تركت الطريقا واضحاً وارتكبت فجّاً عميقا
وتمـاديت واعتـديت واسرفـ ـتَ وأغويت وانبعثت فسوقا
أبداً هاتِ ثم هاتِ وهـ ـات حتى تخـرّ صعـيقـا
أنت سكرانُ لا تفيق فما تَرْ تِقُ فَتْقاً وقد فَتَقْتُ فُتُـوقا
جـاثليق أسقف كفر وفسقٍ ثَمَّ فُقْتَ الأسقف والجاثليقا

قالوا : وأتت اليمانية يزيد بن الوليد فأرادوه على أن يبايعوه ، فقال عمر بن يزيد الحكَمي ليزيد : إن العباس بن الوليد أخاك سيد أهل بيتك ، فإن بايعك لم يخالفك الناس ، وإن أبى فالناس له أطوع ، وإن أبيتَ مشاورته فأظهر بيعته لك .

وكانت أرض الشام في تلك الأيام وبيئة فخرج الناس الى البوادي ، وكان الوليد بن يزيد متبدياً ، وكان العباس بن الوليد بالقسطل[1] فأتى يزيد أخاه فأخبره الخبر وشاوره وعاب الوليد فقال له العباس : مهلاً يا يزيد فإن في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا . فرجع يزيد الى منزله ودَبَّ في الناس فبايعوه سراً .

ودس يزيد بن عنبسة السكسكي رجلاً من كلب وقوماً من ثقاته من وجوه الناس وأشرافهم يدعو الناس سراً ، ثم عاود يزيد أخاه العباس ، ومعه قطن مولاهم فشاوره وأعلمه أن قوماً يأتونه يريدونه على البيعة ، فزبره العباس وقال : إن عدتَ لمثلها لأشدَّنك وثاقاً ولأحملنّك الى أمير المؤمنين .

فخرج يزيد وقطن ، وبعث العباس الى قطن فقال له : ويحك أترى يزيد جادّاً ، قال : جعلت فداءك ما أظن ذلك ولكنه قد دخله مما صنع الوليد بن يزيد ببني الوليد بن عبد الملك وبني هشام ، وما يسمع من الناس من ذكر استخفاف الوليد وتهاونه بالأمور ما ضاق به ذرعاً . قال : أما والله

١ ـ هناك أكثر من قسطل ، وقد يكون المراد هنا . قرية القسطل في جبل البلعاس ـ منطقة سلمية، لأن اعمارها قديم فيها آثار كثيرة وصاريج لخزن المياه ، أو بلدة القسطل على حواف جبل القلمون بين حمص ودمشق . انظر مادة قسطل في المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري .

إني لأظنه أشأم سخلة في بني مروان ، ولولا ما أخاف من عجلة الوليد مع تحامله علينا لشددته وثاقاً وحملته إليه . فازجره عن أمره فإنه يسمع منك .

وسأل يزيد بن الوليد قطناً عما جرى بينه وبين العباس فأخبره به فقال : والله لا أكف ، ثم لا أكف . وأتى معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان الوليد فقال له : انك تبسط لساني بالأُنس بك وأنا أكفّه بالهيبة لك وأنا أسمع من خوض الناس ما لا تسمع ، وأخاف عليك مالا أراك تأمن ، أفأتكلّم ناصحاً أم أسكت مطيعاً ؟ قال : كل مقبول منك ، ولله فينا علم غيب نحن إليه صائرون ، ولو علم بنو مروان أنهم إنما يوفدون على رضفٍ[1] يُلقونه في أجوافهم مافعلوا ما يفعلون . ونعود فأسمع منك .

وبلغ مروان بن محمد وهو بأرمينية أن يزيد يؤلب الناس على الوليد بن يزيد ويدعو الى خلعه ، فكتب الى سعيد بن عبد الملك بن مروان وكان متألهاً : «إن الله جعل لأهل كل بيت أركاناً يعتمدون عليها ، ويتوقّون المخاوف بها ، وأنت بحمد الله ركن من أركان أهل بيتك ، وقد بلغني أن قوماً من سفهاء أهل بيتك قد أسسوا أمراً إن تمّت لهم رؤيتهم فيه على ما أجمعوا عليه استفتحوا باباً لن يغلق عنهم حتى تسفك دماء كثيرة منهم ، ولولا انشغالي بهذا الفرج العظيم أمره ، الشديد شوكة أهله لرمت فساد أمرهم بيدي ولساني ، وأنت أقرب إليهم مني فاحتل لعلم أمرهم بإظهار المتابعة لهم ، ثم تهددهم بإظهار أسرارهم ، وخذهم بلسانك ، وخوّفهم العواقب لعل الله يردّ إليهم ما عزب عنهم من دينهم وعقولهم ، فإن فيما

١ ـ الرضف : الحجارة المحماة يوغر بها اللبن ، أو الداهية . القاموس .

شرعوا فيه تغيير النعم وذهاب الدولة ، فعاجل الأمر رحمك الله وحبل الأمة مشتد ، وفي الناس سكون والثغور محفوظة ، فإن للجماعة دولة من الفرقة ، وللسعة دافعاً من الفقر» .

وذكر كلاماً بعد ذلك ، فبعث سعيد بكتاب مروان إلى العباس ، فدعا العباس يزيد فعذله وتهدده ، فَحَذِرَهُ يزيد وقال : يا أخي لم أفعل وهذا من إرجاف أهل الحسد لنا والسرور بزوال نعمتنا ، وحلف له على ترك المعارضة فأمسك عنه .

وخرج يزيد بن الوليد يوماً على حمار وهو بناحية القريتين فرمىٰ ذئباً فقتله ، فقال له مولى له متفائلاً : قتلتَ والله الوليد إن شاء الله .

وأتىٰ بشر بن الوليد أخاه العباس بن الوليد فكلمه في خلع الوليد وبيعة يزيد ، فنهاه العباس ، وقال : يا بني مروان إني أظن الله قد أذن في هلاككم ، وقال :

إني أعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامىٰ ثم تندفعُ
أرىٰ البرية قد ملّت سياستكم فأمسكوا بعمود الدين وارتدعوا
لا تبقرنّ بأيديكم بطونكمُ فَثَمَّ لا حسرةٌ تُغْني ولا جَزَعُ

قالوا : فلما اجتمع ليزيد بن الوليد أمره وهو متبدٍّ ، أقبل إلى دمشق ليلاً ، وقد بايع ليزيد أكثر أهلها سراً ، وبايع له أهل المزة وأكثرهم يقولون بقول غيلان أبي مروان الذي قتله هشام .

ولم يبايع له ابن مصاد وهو سيد أهل المزة ، فمضى يزيد من ليلته إلى معاوية ماشياً في نفر من أصحابه وقد أصابهم مطر شديد فضربوا الباب وقالوا : يزيد بالباب ، ففُتح لهم فدخلوا فقال ليزيد : الفراش أصلحك

الله ، قال : إن في رجليّ طيناً وأكره أن أفسد بساطك وفراشك . قال : الذي تريدني عليه أضرُّ عليّ من فساد بساطي وفراشي ، وكلمه يزيد فبايعه ، ويقال إن هشام بن مصاد بايعه أيضاً .

ورجع يزيد إلى دمشق على حمار ، فنزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخشني ، وكان على دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف الوباء ، فخرج عن دمشق واستخلف عليها ابنه ، وجعل علىٰ شرطته أبا العاج كثير بن عبدالله السلمي ، فقيل له إن يزيد خارج عليكم فلم يصدق ،

وعزم يزيد علىٰ الخروج والظهور فأرسل إلى أصحابه بين المغرب والعشاء الآخرة من ليلة جمعة في سنة سبع وعشرين ومائة فمكثوا عند باب الفراديس بدمشق ، ثم دخلوا المسجد فصلوا وفي المسجد حرس وقد وكلوا فيه بإخراج الناس منه بالليل ، فلما قضىٰ الناس الصلاة صاح بهم الحرس فخرجوا وتباطأ أصحاب يزيد فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون في آخر حتى لم يبق في المسجد غيرهم وغير الحرس ، ثم أخذوا الحرس ، ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد بن الوليد فأخذه بيده وقال : قم يا أمير المؤمنين راشداً مهدياً ، وابشر بعون الله ونصره ، فقام وقال : اللهم إن كان هذا رضىً فأعنّي عليه وسدّدني له ، وإن لم يكن رضىً فاصرفه عني بموت عاجل .

وأقبل في اثني عشر رجلاً ، فلما كان عند سوق الحمر أتاه أربعون رجلاً من أصحابه فانضموا إليه ، ثم لما كان عند سوق القمح لقيهم زهاء مائتي رجل فصاروا معهم ، ثم مضىٰ إلى المسجد وهو في مائتين ونيف وستين رجلاً فدخله ، وأتى أصحابه باب القصر فدقّوه وقالوا : رسل أمير المؤمنين الوليد

ففتح لهم فهجموا في القصر وأخذوا أبا العاج كثير بن عبدالله السلمي وهو سكران ، وأخذوا خزّان بيت المال وصاحب البريد .

وأرسل يزيد بن الوليد من ليلته إلى عامل بعلبك وهو مولى لسعيد بن العاص فأُخذ ، وأرسل إلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فأخذ ، وأمر يزيد ألا تُفتح أبواب المدينة إلا لمن نادى بشعاره ، وأصاب أصحابُه سلاحاً كثيراً ، وجاء أهل المزة ، ولم ينتصف النهار حتى تتابع الناس إلى يزيد ، وتمثّل يزيد :

إذا استنزلوا عنهنَّ بالطعن أُرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المَصَاعب

المدائني عن عمر بن مروان الكلبي عن زرّ بن ماجد قال : غدونا مع عبد الرحمن بن مصاد ونحن زهاء ألف وخمسمائة فلما انتهينا إلىٰ باب الجابية وجدناه مغلقاً ووجدنا عليه رسولاً للوليد فقال : ما هذه الجماعة والأُهْبَة ، أما والله لأُعلمنّ أمير المؤمنين - يعني الوليد - فقتله رجل من أهل المزة ، فدخلنا من باب الجابية حتى وافينا المسجد الجامع ، ودخلنا على يزيد فسلمنا عليه بالخلافة .

وكانت السكاسك في نحو ثلاثمائة فدخلوا من الباب الشرقي حتى دخلوا المسجد من باب جيرون ، وأقبل يعقوب بن عمير بن هانىء في أهل داريا فدخلوا من الباب الصغير ، وأقبل حميد بن حبيب اللخمي في أهل دير مُرّان والأرزة فدخلوا من باب الفراديس ، وأقبل ربعي وهشام الحارثي في جماعة من قومه ومن بني عُذرة وسلامان فدخلوا من باب توما ، وتوافت جموعهم وتتامّتْ فقال الشاعر :

وجاءتْهُم أنصارهُمْ حين أصبحوا سكاسكها أهل البيوت الصنادِدِ
وكلبٌ فجاءتْهُم بخيلٍ وعدَّةٍ من البيضِ والأبدانِ ثم السَّواعدِ
فأكْرِمْ بها قوماً وأنصار سنَّةٍ فَهُمْ منعوا حوماتها كلَّ جاحدِ
فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها قد استوثقوا من كل عاتٍ ومارِدِ

قالوا : وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان وأمره أن يقف بباب الجابية ، وقال لبني الوليد بن عبد الملك : تفرقوا في الناس وحضّوهم ، وقال : من كان له عطاء فليأت لقبض عطائه ، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة .

وحدثني هشام بن عمار عن صدقة بن خالد قال : دعا يزيد إلى نفسه ، فبايعه أهل المزة وأكثرهم غيلانية وقدرية ، وبايعه أهل دمشق وجميع من أنكر سيرة الوليد وشغله بلهوه ولعبه وبالشرب ، ففتح يزيد بيت المال وأعطى الناس ، وجاءت أموال من الكور ففرقها وَوَجَّهَ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان في كثفٍ من الناس إلى الوليد وهو بالبخراء[1] وكان نزلها للعلاج ، وشرب اللبن لوجعٍ وجده في كبده لإدمانه الشراب .

وقال أبو الحسن المدائني : أمر يزيد رجلاً فنادى : من ينتدب للفاسق الوليد وله ألف درهم ؟ فاجتمع أقل من ألف على أن يأخذوا ألفاً ألفاً ، ثم أمر فنودي : من ينتدب وله ألف وخمسمائة ؟ فانتدب يومئذ ألف وخمسمائة ،

---

١ ـ على مقربة من تدمر تعرف الآن باسم «البخرة» بسبب الروائح النتنة الناتجة عن الينابيع الكبريتية هناك .

ويقال إنه ندبهم إلى ألفين ألفين ، فأتاه ألفان فعقد لمنصور بن جمهور على طائفة ، وليعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي على طائفة ، وعقد لحميد بن حبيب اللخمي على طائفة ، وعقد لغيرهم على جماعة وجعل عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فخرج عبد العزيز فعسكر بالمزة .

قالوا : ودعا الوليدُ بن يزيد السفياني وهو أبو محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية فأجازه ووجَّهَه إلى دمشق ، فلما انتهى أبو محمد إلى قرب دمشق وجه إليه يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد فسالمه أبو محمد وبايع ليزيد بن الوليد ، وأتى الخبر الوليد وهو بالأزرق فقال :

يا ويح جندي الألى خاروا وما نظروا   في غَبِّ أمر عمود الدين لو وقعا
ألقحتها ثم شالت عاقداً أُنفاً   ما نَتَّجُوها فيلقوا تحتها ربعا[1]
ولا ارتقوا من صميم المحض آونة   لكنهم يحتسون الصاب والعلقا
ما كنتُ أجزعهم من عرك كَلْكَلِها   حتى تـدرَّ نجيعاً أحمـراً دفقا
من كل ليث شتيم الوجه ذي زيرٍ   ضرغامةٍ تحذر الأساد ما صنعا
غضنفرٍ أهْرَتِ[2] الشّدقين قَسْوَرَةٍ   كـأنه ظـالع نقبـاً وما ظلَعـا
يلقاك في الليلة الظلماء منفرداً   كأن في رأسه نجمين قد طلعا[3]

---

١ ـ شالت الناقة : رفعت ذنبها للقاح ، والعاقد : الناقة تعقد بذنبها عند اللقاح فيعلم أنها حملت ، والأنف التي حملت لأول مرة ، والربع : الفصيل .
٢ ـ أهرت الشدقين : واسع الشدقين .
٣ ـ شعر الوليد ص ٧٣ .

وقال الوليد أيضاً :

ضمنتُ لكم إن سلَّم الله مهجتي عطاءً ورزقاً كاملاً في المحرَّم
فلا تعجلوني لا أباً لأبيكم فإني لكم كالوالد المترحّم[1]

قالوا :وقال بَيْهَس بن زميل الكلابي : يا أمير المؤمنين ، سر حتى تنزل حمص فإنها حصينة ، ثم وجّه الخيل إلى يزيد فيقتل أو يؤسر ، ويقال بل قال له ذلك يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية ، فقال عبدالله بن عنبسة بن سعيد بن العاص : ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره وخزائنه وحرمه قبل أن يقاتل ويعذر ، والله مؤيدُ أمير المؤمنين وناصره . فأخذ بقول عنبسة ، فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي : يا أمير المؤمنين تدمر حصينة وبها قوم يمنعوك . فقال : ما أرىٰ أن آتي تدمر وأهلها بنو عامر وهم الذين خرجوا عليّ ، واسمها أيضاً اسمها . قال : فهذه البخراء . قال : ويحك ما أقبح أسماء هذه الأماكن . فنزل البخراء في قصر النعمان بن بشير وهو حصن كان للأعاجم ، وقال :

إذا لم يكن خير مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حيث تفزعُ
إذا ما هُمُ همُّوا بأحدى هَنَاتِهِم حسرتُ لهم رأسي فلا أَتَقَنَّعُ[2]

قال أبو الحسن : وكان بَيْهَس بن زُميل أشار عليه حين كره حمص بالبخراء فقال : أخاف بها الطاعون . فقال : الذي يراد بك أشد من الطاعون .

---

١ - شعر الوليد ص ١١٦ .
٢ - شعر الوليد ص ٧٩ .

وندب يزيد بن الوليد الناس إلى البخراء فتلقاهم ثَقَل الوليد فأخذوه ، ونزلوا بالقرب من الوليد ، وأتى الوليد بن يزيد رسول العباس بن الوليد بن عبد الملك : إنني آتيك فيمن أجابني إلى نصرتك والاعتصام ببيعتك ، فخرج في ناس من ولده ومواليه وخاصته ، وأمر الوليد بسرير فأُخرج فجلس عليه في وسط عسكره وقال : أعليّ يتوثب الرجال وأنا أثب على الأُسْدِ وأتخصَّر بالأفاعي ، وجعل ينتظر العباس بن الوليد بن عبد الملك . فقاتلهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وعلى ميمنته عمرو بن حُوَيّ السكسكي ، وعلى القلب منصور بن جمهور بن حصن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن المتطرس أحد بني العبيد بن عامر الكلبي ، وعلى الميسرة عمارة بن كلثوم الأزدي أو غيره ، وركب عبد العزيز بغلاً له أدهم وبعث إلى الوليد وأصحابه زياد بن حصين ليدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فقتله مولى الوليد ، فانكشف أصحاب يزيد فترجّل عبد العزيز وكرَّ أصحابُه وقد قتل منهم عدة ، وحُملت رؤوسهم إلى الوليد ، وأمر الوليد فأُخرج لواء مروان بن الحكم الذي عقده بالجابية لمحاربة الضحاك بن قيس فجُعل بباب حصن البخراء وقتل من أصحاب الوليد عدة .

وبلغ عبد العزيز مسير العباس بن الوليد في خاصته وولده ومواليه ليكون مع الوليد ، فأرسل منصور بن جمهور في خيل وقال : إنك تلقى العباس بن الوليد في الشعب ومعه جُميعة فَخُذْهُم ، فنفذ منصور في الخيل ، فلما صار بالشِّعب إذا هو بالعباس في ثلاثين فارساً فقال له : اعدل إلى عبد العزيز بن الحجاج ، فأبى فقال له منصور بن جمهور : يا بن قسطنطين لئن أبيت لأضربنّ الذي فيه عيناك ، فعدل معه إلى عسكر عبد العزيز وقال :

بايع لأخيك يزيد بن الوليد فبايع ، ووقف ، ونصبوا راية وقالوا : هذه راية العباس وقد بايع لأخيه يزيد أمير المؤمنين ، فقال العباس : إنا لله خدعة من خدع الشيطان ، هلك بنو مروان . وكان عندهم كالأسير .

قالوا : وتفرق الناس عن الوليد بن يزيد وأتوا عبد العزيز والعباس ، فظاهر الوليد بين درعين ، وأتوا بفرسين يقال لهما السندي والزائد فقاتلهم ، فناداهم رجل: اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط ارموه بالحجارة، فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب . فقال : أما فيكم رجل شريف ذو حسب أكلمه ، فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي : تكلم . فقال : ومن أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة . قال : يا أخا السكاسك ألم أزد في أعطياتكم ؟ ألم أرفع المؤن عنكم ؟ ألم أعط فقراءكم ؟ ألم أُخدم زمناكم ؟ فقال له : ما ننقم عليك في أنفسنا ولكنا ننقم عليك انتهاك ما حرّم الله من شرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك، واستخفافك بأمر الله، وإتيانك الذكور، قال: حسبك يا أخا السكاسك فلعمري لقد أغرقتَ وأكبرت ، وإن في ما أحل الله لمندوحة عما ذكرت ، والله لا يرتق فتقكم ولا يلمّ شعثكم ولا تجتمع كلمتكم ، ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً وقال : يوم كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأه ، فعلوا الحائط ، وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة ، فنزل وسيف الوليد إلى جانبه فقال له يزيد : نحِّ سيفك ، فقال الوليد : لو أردت السيف كانت لي ولك حال . فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يحبسه ويؤامر يزيد بن الوليد فيه ، فنزل من الحائط عشرة فضربه واحد على وجهه وضربه آخر على رأسه ، وجرّه خمسة منهم ليخرجوه فصاحت امرأة كانت معهم في الدار فكفوا عنه فلم يخرجوه .

واحتزّ أبو علاقة القضاعي رأسه وأخذ عقباً فخاط الضربة التي في وجهه وحمل الرأس إلى يزيد بن الوليد روح بن مقبل ، وقال : ابشر يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق ، وكان يزيد يتغدى فسجد ومن كان معه ، وأخذ يزيد بن عنبسة بيد يزيد بن الوليد وقال : قم يا أمير المؤمنين وابشر بنصر الله وصنعه ، فاختلج يزيد يده من كفه وقال : اللهم إن كان هذا الأمر لك رضىً فسددني ووفقني .

قالوا : وكان على ميسرة الوليد بن يزيد الوليد بن خالد أخي الأبرش الكلبي في بني عامر ، وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فلم تقاتل الميسرة والميمنة ، ومالوا جميعاً إلى عبد العزيز ، وقال بعضهم : رأيت خدم الوليد وحشمه يأخذون بأيدي الرجال فيدخلونهم عليه .

وقال الهيثم بن عدي : خرج الوليد وعليه قباء خز وقد تحزم بريطة ، فأتاه قوم من أهل حمص ينصرونه ، عليهم عبد الرحمن بن أبي الجنوب البهراني ، وأتاه بنو سليم بن كيسان صاحب باب كيسان بدمشق في ستة عشر فارساً ، وتلقاه بنو النعمان بن بشير الأنصاري في فوارس ، ثم صار إلى البخراء فضاق العلف على أصحابه ، فاشترى زرع القرية فقالوا له : لا حاجة لنا في البقل إنما تسترخي عليه دوابنا وتضعف ، أعطنا دراهم .

وأُخبر بإقبال عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك من قبل يزيد الناقص ، فلم يكترث لذلك ، وكان العباس بن الوليد قد أقبل يريد الوليد كراهة لنقض بيعته فوجه إليه عبد العزيز فحازه إليه .

وسمع الوليد تكبير أصحاب عبد العزيز بالبخراء ، فخرج خالد بن عثمان فعبأ الناس ، ولم يكن بينهم قتال حتى طلعت الشمس .

وكان مع أصحاب الناقص كتاب معلق في رمح فيه : إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وأن يكون الأمر شورى ، فاقتتلوا فقتل عثمان الخشبي وكان من أولاد بعض الخشبية الذين كانوا مع المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وقتل من أصحاب الوليد زهاء ستين رجلاً . وكان الأبرش على فرس له فجعل يصيح بابن أخيه : يا بن اللخناء قدم رايتك ، قال : لا أجد مُتَقَدَّماً ، إنَّها بنو عامر .

وقال هشام بن عمار : حُدثتُ أن العباس بن الوليد قاتل مع الوليد بن يزيد وفاء ببيعته ، فطعنه رجل من أصحاب عبد العزيز فأرداه عن فرسه ، فعدل إلى عبد العزيز فسقط في يد أصحاب الوليد وانكسروا ، ومكث العباس عند عبد العزيز أسيراً ، ثم إن أخاه يزيد بن الوليد صفح عنه وكان به بَرّاً .

قالوا : وكان الوليد بن يزيد أرسل إلى عبد العزيز بن الحجاج يعرض عليه أن يعطيه خمسين ألف دينار ويجعل له ولاية حمص طعمة ما بقي ، ويؤمنه على كل أمر كان منه على أن ينصرف ويكفّ عنه ، فلم يجبه إلى ذلك ، وجعل أصحاب الوليد يستعجلون ويشترطون عليه الشروط فيجيبهم إلى ذلك فانتقض عسكر الوليد وانهزم أصحابه ، ودخل الوليد القصر ، وجاء رجل طوال كان علىٰ فرس له فدنا من حائط القصر ثم تسلقه ، وكان الوليد قد ألقى سلاحه وأخذ مصحفاً يقرأ فيه ، ويقول : يوم كيوم أمير المؤمنين عثمان ، فوجده الرجل وعليه قميص قصب وسراويل وشي ، ومعه

سيف في غمده وإذا الناس يشتمونه وهو يسمع ، فقام الوليد فضربه الرجل على رأسه ، ودخل عبد العزيز والناس حين تسلق الرجل فتعاوروه بأسيافهم ، وأكبّ الرجل الطويل فاحتزّ رأسه . وكان يزيد قد جعل على رأسه مائة ألف درهم .

وجاء أبو الأسود مولى خالد بن عبدالله القسري ، فسلخ من جلدة رأس الوليد قدر الكف فأتى بها يزيد بن خالد بن عبدالله ، وكان محبوساً في عسكر الوليد ، حبسه حين دفع أباه إلى يوسف بن عمر ، وانتهب الناس خزائن الوليد وما في عسكره .

وقال المدائني عن عمر بن مروان الكلبي : لما قتل الوليد قطعت كفه اليسرىٰ وفيها خاتمه ، وبُعث بها إلى يزيد بن الوليد فسبقتْ رأسه إليه بليلة ، وقُدم برأسِ من الغد فنصبه للناس بعد الصلاة .

وكان أهل دمشق قد أُرجفوا بعبد العزيز فلما نصب لهم رأس الوليد سكتوا .

قالوا : ولما أمر يزيد الناقص بنصب رأس الوليد قال له يزيد بن فروة مولى بني مروان : إنما ينصب رأس خارجي وهذا ابن عمك وخليفة من الخلفاء ولا آمن إن نصبته أن ترقّ له قلوب الناس ويغضب له أهل بيتك وتدركهم الحميّة . فقال : والله لا نصبه غيرك . فنصبه على رمح ثم قال : انطلق فطف به في مدينة دمشق وأدخله دار أبيه ، ففعل فصاح النساء وأهل الدار، ثم رُدَّ إلى يزيد فقال: انطلق به إلى منزلك. فمكث عنده قريباً من شهر ثم قال : ادفعه إلى أخيه سليمان بن يزيد ، وكان سليمان ممن سعىٰ على الوليد أخيه ، فغسل ابن فروة الرأس ووضعه في سفط وأتى به سليمان فقال

أخوه : أشهد أنه كان شروباً للحرام ، ماجناً فاسقاً ، ولقد أرادني على نفسي فأبيتُ ، فخرج ابن فروة من الدار وتلقته مولاة الوليد فقال لها : ويحك ، زعم أنه أراده على نفسه، فقالت: كذب والله لو أراده على نفسه لفعل ، وما كان يقدر على الامتناع منه .

وقال هشام ابن الكلبي: خرج الوليد إلى البخراء لشرب الدواء والعلاج ، وكان عليل الجوف من الصَبُوح والغبوق ، وكان صاحب شُرَطه خالد بن عثمان بن بحدل الكلبي ، وخليفته على الشرطة يزيد بن يعلىٰ بن الضخم بن قرة العبسي ، فلما أظهر يزيد بن الوليد أمره وبايعه أهل المزة والغيلانية وأهل دمشق والناس وفتح بيت المال فأعطىٰ الناس ، وَجَّهَ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان في كثف من الناس نهضوا احتساباً وحنقاً ، حتى نزلوا بالوليد فقاتلوا أصحابه حتى قتل ، وكان الذي قتله مولى لهم يقال له وجه الفَلْس وكان طوالاً صغير الوجه .

المدائني عن عمرو بن مروان قال: حدثني يزيد بن مصاد عن عبد الرحمن بن مصاد قال : بعثني يزيد بن الوليد إلى أبي محمد السفياني ، وكان الوليد وجهه حين بلغه خبر يزيد بن الوليد والياً علىٰ دمشق ، فلقيته فسالمني ، وبايع ليزيد فلم أفارقه حتى رُفع لنا شخص مقبل من ناحية المزة ، فبعثت إليه فأتيت به فإذا هو أبو كامل الغُزيّل المغنّي وإذا هو على بغلة للوليد فأخبرنا أن الوليد قد قُتل ، فأتيت يزيد فوجدت الخبر قد بلغه .

وكان يزيد بن مروان بن محمد يغزو الصائفة مع الغمر بن يزيد ، فلما قتل الوليد غلب على الجزيرة حتى قدم مروان بن محمد أرمينية .

وقال بشر بن هلباء الكلبي يوم قتل الوليد ، وقد ضرب باب البخراء

بسيفه ، جواباً لما روي أن الوليد قاله في خالد بن عبدالله القسري :

سنبكي خــالـداً بمهنـداتٍ ولم تذهب صنائعه ضلالا

المدائني قال : قال الحكم بن النعمان مولى الوليد : قَدِمَ برأس الوليد على يزيد الناقص منصور بن جمهور العامري من كلب في عشرة ، منهم روح بن مقبل ، فقال روح : يا أمير المؤمنين ابشر بقتل الفاسق ، وأسر العباس ، وكان في العشرة القادمين بالرأس عبد الرحمن بن وجه الفلس ، وبشر مولى كنانة من كلب ، فأعطىٰ يزيد كل رجل منهم عشرة آلاف درهم .

قال : وكان يزيد قال : من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء قوم برؤوس فقال يزيد بن الوليد : اكتبوا أسماءهم ، فقال رجل من مواليه جاء برأس ليس هذا بيوم يعمل فيه بنسيئة .

قالوا : وكان العباس بن الوليد لما صار يزيد إليه يستشيره قال : أنا أكتب إلى الوليد أمير المؤمنين بحجتك ، فكتب إليه ، فقال لرسوله : أترك صاحبك الصدق أي حجة لمن جاهر الله بعداوة خليفته وشق عصا المسلمين ؟

قالوا : وكان مع الوليد مالك بن أبي السمح الطائي المغنّي وعمر الوادي فلما تفرق أصحاب الوليد عنه وحصر قال مالك لعمر : إذهب بنا ، فقال عمر : ليس هذا من الوفاء وليس يُعرض لنا لأنّا ليس ممن يقاتل . فقال مالك : ويلك والله لئن ظفروا بنا لا يُقتل أحد قبلنا فيوضع رأس الوليد بين رأسينا ، ليقول الناس انظروا من كان معه الفاسق في هذه الحال ، ولا يُعاب بشيء أشد من هذا ، فالنجاءَ عافاك الله ، فهربا .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : قال أيوب السختياني حين بلغه خبر الوليد : ليتهم تركوا لنا خليفتنا ولم يقتلوه ـ وإنما قال ذلك خوفاً من الفتنة ـ .

المدائني عن أبي عاصم الزيادي قال : ادّعىٰ قتل الوليد عشرة فقال : إني رأيت جلدة رأس الوليد في يد وجه الفلس ، وقال : أنا قتلته وأخذت هذه الجلدة .

وقال أمير المؤمنين المهدي،وذكر الوليد : رحمه الله ولا رحم قاتله فإنه كان إماماً مجتمعاً عليه ، وقيل له : إن الوليد كان زنديقاً . فقال : إن خلافة الله أعزّ وأجلّ من أن يوليها من لا يؤمن به .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، وعلي بن محمد المديني ، ثنا سفيان بن عيينة قال : لما قتل الوليد اجتمع مشيخة من مشيخة أهل الكوفة ، إلىٰ الأعمش فقالوا : إنا نحب ألا نفترق إلا على أمر نعرفه ، فقال الأعمش : اتّقىٰ امرؤ ربّه ، وكفّ يده وحفظ لسانه ، ولزم بيته ، قوموا وأنا النذير لكم .

قالوا : وكان يزيد بن خالد بن عبدالله القسري محبوساً ، حبسه الوليد حين وجّه أباه إلى العراق مع يوسف بن عمر ، فلما تشاغل الناس وغفل عنه حفظته كسر قيده فخرج وأتى على الوليد ، وهو صريع فضربه تسع ضربات وقال :

قتلتم خالداً بالظلم قسراً ... وما يبغي سوىٰ الإسلام دينا
قتلتُ إمامكم بأبي فحسبي ... وقد قتلوا سواه آخرينا

وحدثني داود بن عبد الحميد قاضي أهل الرقة قال : سمعت أشياخنا يتحدثون أن الوليد خرج إلى البخراء للعلاج وشرب اللبن ، وكان في عسكر عظيم ، وصاحب شرطِهِ خالد بن عثمان بن بحدل الكلبي ، ويقال زيد بن يعلىٰ بن الضخم بن قرة العبسي . فدعا يزيد بن الوليد إلى نفسه وأظهره ، وكان يقول : والله ما أريد بهذا الأمر إلاّ إراحة الإسلام والمسلمين من هذا الرجل الذي لا يحِلّ تركه . والله ما أريد أحفر فيكم نهراً ولا أبني قصراً ، ولا أجعل أموالكم وقفاً على اللذّات والنشوات ، وركوب ما لم يُحلّه الله ، وما غايتي إلاّ الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي إلا بالله . فبايعه الغيلانية ، وصارت معه اليمانية طالباً بثأر خالد القسري فغلب على دمشق .

وبعث يزيد إليه عبد العزيز بن الحجاج فقاتلوا الوليد وأصحابه بالبخراء ، ودخل الوليد حصن البخراء فحصروه ورموه بالحجارة وهم يقولون : يا فاسق هذه سنّة في اللّواطين أمثالك ، تهيىء الذكور بهيئة النساء وتفسق بهم ، وترتكب العظائم ، ثم تسوَّروا عليه وهو مصطبح بشرابه ، فعمد إلى مصحف ففتحه فلم ينفعه ذلك وقتل ، وكان ممن تولى قتله مولى لهم يقال لهم وجه الفلس وقد كان بعض ولده مع عبدالله بن طاهر .

قالوا : وكانت ولاية الوليد سنة وشهرين وأياماً ، ويقال سنة وثمانية أشهر والأول أثبت ، وقتل في جمادىٰ الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وله ست وثلاثون سنة ، ويقال تسع وثلاثون سنة ، ويقال اثنتان وأربعون سنة ، ويقال خمس وأربعون وأشهر ، وكان الشيب قد وخطه . ولم يُصلّ عليه أحد ، ودفن بالبخراء ، ثم إنه حمل إلى دمشق سراً فدفن في المقبرة التي عند باب الفراديس ليلاً ، وحمل رأسه إلى يزيد فنصب عند باب الفراديس .

قالوا : وتغيب عثمان والحكم ابنا الوليد بن يزيد في سَرَبٍ في القصر ، فطلبهما عبد العزيز فوجدهما في السرب فأتى بهما يزيد فدفعهما إلى عمهما سليمان بن يزيد بن عبد الملك فمكثا عشرة أيام ثم ردّهما وقال : قد كثر اختلاف الناس إليهما ، وقد كان أبوهما بايع لهما فأخاف أن أغلب عليهما فإن في الناس غواة ،، فأمر يزيد بحبسهما فحبسا بالخضراء ، فدخل عليهما الأفقم وهو يزيد بن هشام السجن ، وكان الوليد قد ضربه وحلقه فشتم أباهما ولعنه ، فبكى الحكم فزجره أخوه عثمان ، وقال : اسكت ، وقال للأفقم : ويحك تشتم أبي ؟ قال : نعم فقال عثمان : لكني لا أشتم عمي هشاماً ، وايم الله لو كنت من بني مروان ما شتمت أبي ، ولكنك لست من بني الحَكَم فانظر إلى وجهك في المرآة ، فإن رأيت حكمياً يشبهك فأنت منهم ، ولا والله ما في الأرض حكميٌّ مثل وجهك .

قال أبو الحسن المدائني : قال محمد بن راشد الخزاعي : دخلت على الحكم وعثمان وهما محبوسان بالخضراء فحادثتهما ساعة فقال الحكم : ما أصابني في هذا الأمر شيء كان أغيظ لي من ذهاب بغلي المديزج[1] . قال : قلت : قبح الله رأيك . قتل أبوك ، وسُلبتَ ملكك فلم يعظم عليك ذلك ، وتتلهف على بغل ذهب منك ؟

قال أبو الحسن : قتل الوليد يوم الأربعاء ليومين بقيا من الشهر سنة ست وعشرين ومائة وكانت ولايته سنة ونصفاً ، فلما قتل الوليد اختلف بنو مروان بينهم ، وكان سليمان بن هشام محبوساً بعَمّان فخرج من السجن فأخذ

---

١ ـ لم أهتد إلى ما يُعرّف هذه السمة .

جميع ما كان بعَمّان من المال ، وأقبل إلى دمشق وجعل يلعن الوليد بن يزيد ومن يهوىٰ هواه ويعيبه ويكفره .

وقال ابن ميّادة المرّي ، وميادة أمه ، واسمه الرمّاح بن الأبرد بن شريان بن سراقة بن سامي بن ظالم بن جذيمة :

أيا لهفي على الملك المرجّىٰ غداة أصابه القدر المتاحُ
ألا أبكي الوليد فتىٰ قريشٍ وأسمحها إذا فقد السماحُ
وأجبرها لذي عظمٍ مهيضٍ إذا ضَنّت بدَرَّتِها اللقاحُ
لقد فعلتْ بنو مروان فعلاً ذميماً ما يسوغ به القراحُ
فظلَّ كأنه أسد عقيرٌ تَكَسَّرُ في مناكبه الرماحُ[1]

وقال بعضهم :

أُمَّ الوليد فشقّي الجيب وانتحري إن الوليد وربِّ البيت قد قُتلا

وقال أبو محجن مولىٰ خالد بن عبدالله :

لو شاهدوا حدَّ سيفي حين أُدْخِلُهُ في است الوليد لماتوا عندها كمدا

وكان أدخل سيفه في استه .

١ ـ شعر ابن ميادة ـ ط . دمشق ١٩٨٢ ص ٩٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

قالوا : ولما قتل الوليد بويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك وكان أَقْيَل[1] ، ويُكنى أبا خالد ، وأمه شاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرىٰ أبرويز بن هرمز بن أنوشروان كسرىٰ بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد بن سابور ذي الأكتاف بن أزدشير .

وجعل أخاه ابراهيم بن الوليد ولي عهده ، ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك لقيامه له بما قام به من محاربة الوليد ، فبويعا أيضاً في سنة ست وعشرين ومائة .

ونقص يزيد بن الوليد الناس العشرات التي كان الوليد زادهم إياها ، فسمي يزيد الناقص .

١ ـ لعل قوله أقيل محمول على لفظ أقيال ، أي ملك بحكم نسبه من جهة أمه وأبيه أو لأنه كان فصيحاً متمكناً من القول . انظر مادة «قيل» في النهاية لابن الأثير .

قال المدائني : يقال إنه سمي ناقصاً لأن مروان سماه ناقصاً حين ولي ، قال : وكان ناقص العقل ، والثبت أنه نقص الناس العشرات التي زادهم إياها الوليد فسمي ناقصاً والله أعلم .

وقال أبو الحسن المدائني : كان يزيد بن الوليد أسمر ، مديد القامة ، صغير الرأس ، وكان جميلاً وفي فمه بعض السعة ، وأمه أم ولد من ولد المخدج بن يزدجرد ، وكان المخدج ولد بخراسان ، فلما فتح قتيبة بن مسلم ما فتح من خراسان أصاب جارية من ولد المخدج بن يزدجرد فبعث بها إلى الحجاج بن يوسف ، فأهداها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك ، فولدت له يزيد بن الوليد .

وكان ليزيد بن الوليد من الولد :

أبو بكر وعبد المؤمن وعلي ، وأمهم من كلب من ولد زبان الكلبي .

وعبدالله ، أمه أم ولد .

وخالد والوليد ، قتلهما مروان حين أسرهما . ويزيد القائل :

أنا ابن كسرىٰ وأبي مروان وقيصر جدي وجدي خاقان

وليس ابراهيم بأخي يزيد لأمه ، ابراهيم لأم ولد أخرىٰ .

قالوا : وكان يزيد يُعرف بالتنسك والتألّه والتواضع ، وكان الوليد بن عبد الملك يذكر ولده فيقول : عبد العزيز سيدهم ، والعباس أفرسهم ، ويزيد ناسكهم ، وروح عالمهم ، وعمر فحلهم ، وبشر فتاهم .

قالوا : وكان الوليد بن يزيد قد حج في سنة ست عشرة أو سنة سبع عشرة ، وحج أيضاً يزيد بن الوليد في تلك السنة فلما رآه يزيد وهو يطوف

بالبيت قال : ورب هذه البَنِيَّةِ إن هذا الذي يطوف لكافر بهذه البَنِيَّةِ ولئن ولي أمر الأمة وأنا حيّ لأجاهدنّه .

قالوا : ولقي يزيد بن الوليد أيوب السختياني في السنة التي حج فيها فكتب عنه ، وكان يزيد كثير الصلاة طويل الليل .

قالوا : وعاتبته امرأته هند الكلبية فقالت : أوسِعْ علينا ، وكانت تدعىٰ ابنة الحَضرمية لأن أمها التي قامت عنها من حضرموت ، وذلك حين ولي ، فقال : قد فسدتِ علي فيمن فسد ، أما لو علمتُ أنكم تميلون إلى الدنيا هذا الميل لكان أن أَخِرّ من السماء إلى الأرض أحبّ إليّ من أن ألتبس بما التبستُ به ، ومالك في هذا المال إلا ما لسوداء أو حمراء من المسلمين ، ولكن ياقطن[1] ائتني بثيابي ، فجاءت بتختٍ ، فقال لها : هذه ثياب كنت أتزين بها فشأنك فخذيها فإنه لا حاجة لي اليوم فيها ، فأما مال المسلمين فلاحق لي ولا لك فيه إلّا مثل ما للمسلمين .

قالوا : ولما قتل الوليد خطب يزيد فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ: «أيها الناس، إني والله ما خرجت بطراً ولا حرصاً على الدنيا ولا رغبة في الملك ، وما أقول هذا إطراء لنفسي ، إني لظلوم لها إن لم يرحمني ربي . ولكن خرجت غضباً لله ولدينه ، وداعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه ، لَمّا هُدمتْ معالم الدين ، وعُفي أثر الحقّ وأُطفىء نور الهدىٰ ، وظهر الجبار العنيد المستحلّ لكل حرمة ، والراكب لكل بدعة ، مع أنه والله ما كان يصدّق بالكتاب ، ولا يؤمن بيوم الحساب ، وإنه لابن عمي في

١ ـ القطن : الأمة ، والمملوك ، والحشم ، والخدم والأتباع . وهو هنا اسم علم . القاموس .

النسب ، وكفئي في الحسب ، فلما رأيتُ ذلك استخرتُ الله في أمره وسألته أن لا يكلني إلى غيره ، ودعوت إلى مجاهدته ، فأجابني من أجابني من أهل ولايتي ، وسعيتُ عليه حتى أراح الله منه العباد بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي .

أيها الناس إنّ لكم أن لا أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة ، ولا أكري فيكم نهراً ، ولا أبني قصراً ولا أكنز مالاً ، ولا أؤثر به زوجة ولا ولداً ، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسدّ ثغره وخصاصة أهله بما يعينهم ، فإن فَضَلَ فَضْلٌ نقلته إلى البلد الذي يليه مما هو إليه أحوج ، ولكم عليّ ألا أُجمّركم فأفتنكم ، ولا أفتن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم ، ولكم عندي إدرار أعطياتكم في كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم ، فإن أنا وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة ، وإن أنا لم أَفِ لكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبوني فإن تبتُ قبلتم مني ، وإن علمتم مكان رجل يُعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه ما أعطيتكم فبايعوه إن أردتم ذلك ، فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته .

أيها الناس إنه لا طاعة لمخلوق في معصية خالق ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم» .

ودعا الناس إلى البيعة فجدد بيعة أخرىٰ ، فكان أول من بايعه يزيد الأفقم ، وبعضهم يقول الأشدق بن هشام بن عبد الملك .

وقام قيس بن هانىء العبسي فقال : يا أمير المؤمنين دُمْ علىٰ ما أنت عليه ، فما قام مقامك أحد من أهلك ، ولئن قالوا عمر بن عبد العزيز فإنك أخذتها بسببٍ صالح ، وأخذها بسببٍ سوء ، فلما بلغ مروان بن محمد قوله قال : قاتله الله عابنا جميعاً ، فلما ولي مروان أمر أن يُطلب في المسجد فوُجد يصلي فأُتي به فقتله .

قالوا : وأتى يزيد بن حجوة الغساني يزيداً ، فقال : يا أمير المؤمنين إني لا أرىٰ أحداً من قيس غشيك ولا وقف ببابك ، وما قلوبهم بالمنشرحة لك . فقال يزيد : لولا أني أكره البسط لعاجلتُ قيساً بالمكروه . والله ما عزّتْ قيس قط إلاّ ذَلّ الإسلام .

قالوا : ولى يزيد بن الوليد منصور بن جمهور الكلبي العراق ، ويقال بعثه خليفة للحارث بن العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وأمره أن يحمل يوسف بن عمر إلى ما قبله .

وقال بعضهم : لم يولّه العراق ولا بعثه خليفة لأحد ، ولكنه وجهه لحمل يوسف ولكنه وَرّى بذكر خلافة الحارث عن أمره ، فهرب يوسف بن عمر الثقفي ، وكان عامل هشام والوليدِ مِن بعده على العراق وأتى دمشق فأُخذ وأُتي به يزيد فحبسه مع عثمان والحكم ابني الوليد .

وقال قوم إن منصور أتى العراق متغلباً ، فهرب منه يوسف ، وليس ذلك بثبت .

ويقال إن يوسف أتى يزيد حتى وضع يده في يده ، فقال له يزيد : لست أطالبك بحقد ولا إحنة ولكني أريد أخذك بمال المسلمين حتى أستخرج لهم حقهم الواجب لهم ، وأمر بحبسه ومحاسبته .

وكانت اليمانية ويزيد بن خالد بن عبدالله حقدوا على يوسف عذابه خالداً حتى قتله فدعا اليمانية يزيد[1] إلى الطلب بدم أبيه فوثبوا بيوسف فقتلوه ونصبوا رأسه بدمشق ، وذلك في أيام يزيد بن الوليد .

وكانت ولاية يزيد الناقص ستة أشهر ، ويقال كانت خمسة أشهر وأياماً .

وقال الهيثم بن عدي : خرج سليمان بن هشام من مجلسه حين قتل الوليد ، ونفذ منصور بن جمهور على حاميته في خمسة آلاف إلى العراق ، فهرب يوسف بن عمر إلى منزله بالبلقاء ، فوجّه إليه يزيد بن خالد بن عبدالله القسري ، وهو على شرطة يزيد بن الوليد : محمد بن سعيد الكلبي من أهل المزّة فوجده في قرية له بأرض البلقاء ، ففتش داره فاستخفىٰ بين إمائه وبين الحائط ، فأخذ ابناً له فضربه فقال له : ذاك أبي ، فأخذه وقدم به على يزيد بن الوليد فلم يزل محبوساً في خلافته ، وفي أيام إبراهيم بن الوليد أخيه حتى بلغ يزيد بن خالد قدوم مروان بن محمد الجعدي للطلب بدم الوليد ، فأخرجه يزيد بن خالد فقتله .

قالوا : ولما قدم منصور بن جمهور العراق قال الناس : منصور بن جمهور أمير غير مأمور ، أتى بالعهد منشور ، وفيه الكذب والزور ، وكان

---

١ ـ أي يزيد بن خالد بن عبدالله القسري .

الصبيان والخدام يقولون هذا في الطرق ، ثم ولى يزيد بن [الوليد] عبدالله بن عمر بن عبد العزيز العراق وقد كتبنا خبره مع نسبه .

قالوا : وكتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق وكان كاتبه ثابت بن سليمان بن سعيد : «أما بعد فإن الله اختار الإسلام وارتضاه وأظهره وطَهَّره ، وافترض فيه حقوقاً أمر بها ، ونهىٰ فيه عن أمور حرّمها ابتلاءً لعباده فأكمل فيه كل عدلٍ ، ختم كل فصل ثم تولاه الله فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده وليّاً وناصراً ، فلم يكرم الله بالخلافة أحداً فيأخذ بأمر الله وحقه فيناوئه مشاقٌّ أو يحاول صرف ما حباه الله به باغ إلا كان كيده الأضعف ، ومكره الأهون ، حتي يتم الله له ما أعطاه ويتولّاه فيما ولّاه ، ويجعل عدوه الأضلّ سبيلاً ، والأخسر عملاً ، فتناسخت خلفاء الله وولاة دينه قاضين بحكمه متّبعين لكتابه حتى أفضىٰ الأمر إلى عدو الله الوليد المنتهك للمحارم ، والراكب للعظائم التي لا يأتي مثلها مسلم ، ولا يُقدم عليها كافر تكرّماً عن غشيان مثلها ، فلما استفاض ذلك وعَلَنَ ، واشتد فيه البلاء ، وسُفكت الدماء ، وأخذت الأموال بغير حقها مع أمور فاحشة لم يكن الله ليملي لمن عمل بها ، سرتُ إليه بعد انتظار مراجعته منكراً لعمله ، وما اجترأ عليه من معاصي الله ، راجياً من الله إتمام ما نويت في ذلك من اعتدال عمود الدين ، والأخذ في أهله بما هو لله رضىً حتىٰ وافقت جنداً قد وغرتْ صدورهم على عدو الله بما رأوا منه مما لا مَرِيَّة فيه ولا شك ، ولا عليه غطاء ، ولا به خفاء ، فدعوتهم إلى تغيير ما أحدث من الأحداث التي بدّل بها أمر الله وسنن نبيه ﷺ ، فأسرعوا إلى الإجابة وأحسنوا على الحق المعاونة ، فبعثتُ عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فلاقىٰ عدو الله ومن معه وهو بجانب

قرية من قرىٰ حمص تدعىٰ البخراء ، فدعاه إلى أن يجعل الأمر شورى ينظر فقهاء المسلمين وصلحاؤهم فيه لأنفسهم ، فأبىٰ ذلك متتابعاً في ضلالته ، فقتله الله على شر عمله وأسوأ أثره بين عصبة من بطانته الخبيثة، فأطفأ الله جمرته ، وأراح العباد منه فبعداً له ولمن كان على طريقته ، أحببتُ أن أعلمكم ذلك لتحمدوا الله عليه وتشكروه ، فبايعُوا منصور بن جمهور لأمير المؤمنين فقد ارتضيته لكم ووليته أمركم ، فإن العدل مبسوط لكم لا يُسار فيكم بخلافه إن شاء الله ، نسأل الله ربنا ولينا حُسْن توفيقه وتسديده ، وكُتب لليلتين خلتا ـ أو بقيتا ـ من رجب سنة ست وعشرين ومائة» .

المدائني قال : عامل الناقص على العراق : عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، وعلى مكة والمدينة : عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعلى مصر : إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز . ويقال إنه ولاه إياها فلم يقبل عهده على مصر .

قالوا : ولما مات يزيد الناقص بن الوليد وثب الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع الجذامي بأرض فلسطين ، فخلع واستمال لخماً وجذاماً ودعا لسليمان بن هشام بن عبد الملك .

وأقام منصور بن جمهور بالعراق ، وكان قد انضم إلى عبدالله بن عمر بن عبد العزيز حين ولاه يزيد العراق فأكرمه وقدمه وصفح عما صار إليه من المال .

وقال الهيثم بن عدي : لم يَصْفَ ليزيد بن الوليد إلاّ دمشق ومات بعد أشهر .

وقال ابن الكلبي : أقام منصور مع ابن عمر ، ثم وجه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق فقدم واسطاً وبها ابن عمر ، فحصر ابن هبيرة ابن عمر ، ثم أخذه وبعث به إلى مروان فحبسه بحران .

وخالف منصور بن [جمهور] مروان وجعل يجبي مال الجبل ويحمله إلى شيبان الخارجي وهو بكرمان ، ومضى إلى السند فغلب عليها حتى كانت دولة بني العباس .

وبعث أبو مسلم عامله فركب منصور المفازة حتى مات عطشاً ، وقد كتبنا قصصهم على التمام فيما تقدم من الجزء الذي قبل هذا .

وكان موت يزيد بدمشق وهو ابن ست وأربعين سنة ، ويقال ابن نيف وثلاثين سنة ، ويقال ابن ثلاثين سنة ، وصلىٰ عليه إبراهيم أخوه ، وولي عهده ، وكان أخوه العباس قد مات من جراحة أصابته يوم حروب الوليد ، وقيل إنه بقي بعد ذلك معتزلاً منفرداً حتى توفي .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك

قالوا : بويع ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك ، ويكنى أبا إسحاق ، وأمه أم ولد ـ وهو المخلوع . . بالخلافة في أول سنة سبع وعشرين ومائة بعد موت أخيه يزيد الناقص ، وكان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم حين قُتل الوليد قدم الجزيرة فدعا إلى نفسه سراً ، وسمّى الوليد الخليفة المظلوم ، وأظهر أنه يطلب بدمه وقال : إنما قتله قدرية غيلانية . فبايعه خلق من أهل الجزيرة ، ثم أظهروا أمره بعد بيعة ابراهيم بن الوليد بشهر أو بأكثر منه بأيام بحرّان ، وقال : أمري شبيه بأمر معاوية حين طلب بدم الخليفة المظلوم عثمان ، ثم إنه سار بأهل الجزيرة وقنّسرين وحمص يريد ابراهيم وبعث إلى الناس : «انهضوا لمحاربة هذا القدري أخيَ القدري الغيلاني المبتزّ لأمور الناس ، الآمر بالبدعة والضلالة ، فإن جهاده واجب على كل مسلم ، فقد كنت على مجاهدة أخيه فسبقني به أجله ، وصار إلى نار الله وحرّ سعيره ، مبتدعاً ضالاً .

فوجّه إليه ابراهيم بن الوليد أخويه بشر بن الوليد ومسرور بن الوليد فأسرهما ، وفض عسكرهما ، فوجّه إليه ابراهيم : سليمان بن هشام بن عبد

الملك في خيول أهل دمشق فالتقيا بعين الجر من البقاع من عمل بعلبك ، وذلك في صفر سنة سبع وعشرين ومائة فتناوشوا يومهم ، ثم بكروا على الحرب فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ، فانهزم سليمان ومن معه ، وكان محدوداً[1] ، فلحقوا بابراهيم .

وكتب مروان إلى وجوه أهل دمشق كتباً يعلمهم فيها أن الذين بايعوا يزيد الناقص شرارهم ورعاعهم وغواتهم ويدعوهم إلى طاعته ويعدهم ويمنيهم ، ويحلف لهم على الوفاء والإحسان فانتقضوا على ابراهيم .

ونزل مروان بن محمد الغوطة ، فخرج إليه خلق من الناس فبايعوه ، فلما رأى ذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري أخذا عثمان والحكم ، ابني الوليد بن يزيد فقتلاهما في محبسهما ، وخافا أن يتخلصا ، فكان الناس يقولون : يا معشر الفتيان أين الحكم وعثمان .

وقال بعض الرواة إنهما قتلا يومئذ يوسف بن عمر ، وقال بعضهم قتل في أيام يزيد بن الوليد ، قتله يزيد بن خالد واليمانية .

قال أبو الوليد هشام بن عمار : قَتْلُهُ في ولاية يزيد أثبت ، لأنه بلغنا أن الناقص قال : عجلتم بقتله قبل أخذ ما عليه للمسلمين من الأموال .

قال هشام بن عمار : وسمعت من يقول أن الحكم وعثمان قتلا حين تحرك مروان من حران، وقبل نزوله الغوطة والله أعلم .

وقال الشاعر حين أقبل مروان :

---

١ ـ المحدود : المحروم والممنوع من الخير . القاموس .

أتـاك مروان شبيـه مـروان يجـرّ جيشـاً غضبـاً للرحمن
بتغلب الغلباء وقيس عيلان

فقال بعض أصحاب ابراهيم :

قد جاء مروان شبيه مروان يقود جيشاً غضباً للشيطان
بتغلب اللؤمِ وقيسَ عيلان

قالوا : ولما بويع مروان بالغوطة ، وقوي أمره ، ووهن أمر ابراهيم استخفى ابراهيم بن الوليد حتى أُخذ له الأمان فكان مع مروان وفي طاعته ، ولم يزل حياً حتى قتله عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس سنة اثنتين وثلاثين ومائة مع من قتل من بني أمية .

ويقال إنه أتى مروان خالعاً لنفسه حتى وضع يده في يده فاعتذر إليه ، ويقال أيضاً إن مروان ظفر به فقتله وصلبه . والخبر الأول أثبت .

وكانت أيام ابراهيم أربعة أشهر ، ويقال ثلاثة أشهر ، وبعضهم يقول أربعون يوماً .

ولما دخل مروان دمشق طلب عبد العزيز بن الحجاج ، ويزيد بن خالد القسري فظفر بهما فقتلهما بعثمان والحكم ، وصلبهما على باب الجابية ، ويقال على باب الفراديس بدمشق ، وقال هشام بن عمار : كان الذي ظفر بهما زامل بن عمرو الجذامي عامل مروان ، وبايع مروان لابنيه عبد الله وعبيد الله .

أمر أبي محمد السفياني بعد مقتل الوليد

قالوا : ولما قتل الوليد غضب له مروان بن محمد بن مروان ، ومروان بن عبد الله بن عبد الملك ، وأبو محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وكان مروان بن عبد الله عاملاً للوليد على حمص ، وكان من سادة بني مروان نبلاً وفضلاً وكمالاً ، فأكبر قتل الوليد ودعا أهل حمص إلى الطلب بدمه فأجابوه ، وتأهب للمسير إلى يزيد بن الوليد الناقص فوقع بينه وبين أبي محمد السفياني اختلاف ، فقال أبو محمد زياد بن عبد الله السفياني : يا أهل حمص إن مروان بن عبد الله يريد أن يريّثكم عن الطلب بدم الخليفة ، ووقع فيه ، فوثب السَّمْط بن ثابت من ولد شُرَحْبيل بن السمط الكِنْدي ، والصَّقر بن صفوان الكندي ، وغالب بن ربعي الطائي في جماعة فقتلوا مروان بن عبد الله بن عبد الملك ، فلم يشعر أبو محمد السفياني إلّا برأس مروان بن عبد الله على رمح ، فاغتم وقال : لم أُرد هذا ، قالوا : فقد كان .

وبايعوا أبا محمد السفياني ، وأقبل حتى نزل جوسكية[١] وهو حصن من حصون حمص ، وبلغ يزيد بن الوليد الناقص أمره فوجه إلى أهل حمص سليمان بن هشام ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فنزلا ثنية العقاب ، وأقبل أبو محمد السفياني فنزل موضعاً يُعرف بقطيّفة[٢] هشام ، وكان هشام بن عبد الملك اتخذها فقصد سليمان بن هشام إلى أبي محمد فالتقوا بالسليمانية ، وكان سليمان بن عبد الملك اتخذها فقاتلهم أبو محمد فخذله جنده فأُسر وقُدم به على يزيد الناقص فحبسه مع ابني الوليد الحكم وعثمان ، ثم أمر أيضاً بحبس يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان فحبس معهم .

وحدثني داود بن عبد الحميد عن أشياخه قالوا : لم يزل الغيلانية بيزيد الناقص حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده ، ومات يزيد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، ولم يتم لإبراهيم بن الوليد أمر . كان يُسلّم عليه جمعة بالخلافة ، وجمعه بالإمارة . وكان يقال له : الصلتان ، وكانت أمه بربرية ، ولم تكن أم يزيد الناقص .

وقال بعض الشعراء :

نبايع إبراهيم في كل جمعةٍ ألا إنّ أمراً أنتَ واليهِ ضائعُ
نبآيع إبراهيم في كل جمعةٍ فكم كم إلى كم كل يومٍ نبايعُ

فما زال على هذه الحال حتى قدم مروان فخلع نفسه ، وقتل مروان عبد العزيز بن الحجاج ، وابراهيم الخشبي من أولادالمختارية .

---

١ ـ تعرف الآن باسم «جوسية» .
٢ ـ ما تزال تحمل الاسم نفسه وتبعد عن دمشق قرابة الأربعين كم . ويلاحظ أن تفاصيل هذه الرواية تتعارض مع الرواية المتقدمة ص ١٧٥/ .

قالوا : ولما ولي مروان بن محمد نبش قبر يزيد بن الوليد بن عبد الملك واستخرجه وصلبه ، فيزعمون أنهم وجدوا كتاباً فيه : يا مبذّر الكنوز ، يا سجاد الأسحار كانت ولايتك لهم رحمة وعليهم حجة ، أخذوك فصلبوك .

وقد ذكر بعضهم أن الناقص سئل أن يولي أخاه إبراهيم عهده ، فلم يفعل فلا أغمي عليه أو مات كتب قطن كتاباً ، وختمه بخاتم الناقص عهداً لإبراهيم بالخلافة .

يوم القاع ويوم الفَلَج الأول[1] باليمامة

قالوا : لما قتل الوليد كان على اليمامة من قبل يوسف بن عمر الثقفي : علي بن المهاجر بن عبد الله الكلابي فقال له المُهَيْر بن سلمى بن هلال أحد بني الدئل بن حنيفة : أخل لنا بلادنا فأبى ذلك فجمع له المُهَيْر وسار إليه وهو في قصره بقاع حَجْر فالتقوا بالقاع بسوق حَجْر ، فهزمه المهير حتى أدخله قصره ، وخرج من ناحية القصر فهرب إلى المدينة ، وقتل المهير بن سلمى ناساً من أصحابه ، وكان يحيى بن أبي حفصة أشار على ابن المهاجر أن لا يقاتل فَعَصَاهُ فقال :

بذلت نصيحتي لبني كلاب ... فلم تقبل مشوراتي ونصحي
فدى لبني حنيفة مَنْ سواهم ... فإنهُمُ فوارس كل فتحِ

وقال شقيق بن عمرو السدوسي :

---

١ ـ هناك أكثر من قاع لأن القاع ما انبسط من الأرض الحرة السهلة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها ، وهي مستوية ليس فيها تطابق ولا ارتفاع . والفلج قيل هو اسم بلد ، ومنه قيل لطريق تأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة طريق بطن فلج ، وقيل هو واد بين البصرة وحمى ضرية . معجم البلدان .

إذا أنتَ سالمتَ المهير ورهطهُ أَمِنْتَ من الأعداء والخوف والذعرِ
به دفع الله النفاق وأهله وأحيا به أهل المجاعة والفقرِ
فتى راح يوم القاع روحة ماجد أراد بها حسن السماع مع الأَجرِ

وتأمَّر المهير على اليمامة ، وكان على شرطه عبد الحكم بن حَكَّام العُبيدي فركب المهير والناس معه فشدَّ قوم على عبد الحكم فقتلوه فقال القُحَيْف العُقيلي :

لقد جمع المهير لنا فقلنا أَلسنا نحن عرضتَنا الجموع

ثم مات المهير واستخلف عبد الله بن النعمان أحد بني قيس بن ثعلبة بن الدؤل .

قالوا : فاستعمل عبد الله بن النعمان المندلث بن إدريس الحنفي على الفَلَج ـ والفلج قرية من قرى بني عامر بن صعصعة ، وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى : هي لبني نمير ـ فجمع له بنو كعب بن ربيعة بن عامر ومعهم بنو عقيل ، وأتوا الفلج فقاتلهم المندلث بالفلج فقُتل المندلث ، قتله رَحّال بن فروة القشيري ، وقتل أكثر أصحابه وظَفرت بنو عامر ولم يُقتل منهم كبير أحد ، وقتل يومئذ يزيد بن المنتشر ، وأمه الطثرية من طثر بن عنز بن وائل ، وكان معهم فقال القحيف :

إن تقتلوا منا شهيداً صابرا فقد تركنا منكمُ مجازرا
خمس مئين[1] لم يدخلوا المقابرا

وقال ثور بن الطثرية يرثيه :

١ ـ بهامش الأصل : خمس متن .

أرى الأَثْلَ مَن نحو العقيق مجاوري مقيماً وقد غالت يزيداً غوائله
مضى فورثناه دلاصاً مفاضةً وأبيض هندياً طوالاً حمائله
وقد كان يحمى المحجرين بسيفه ويبلغ أقصى حجرة الحيّ نائله

في أبيات . وقال القحيف :

أتانا بالعقيق صريخ كعبٍ فحَلَّ النبع والأسل النهال

يوم الفلج الثاني :

لما أتى عبد الله بن النعمان خليفة المهين قَتْلَ المُنْدَلث جمع جمعاً بلغ ألفاً من حنيفة وغيرها من ساكني اليمامة فغزا الفلج ، فلما تصافّ الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلم العقيلي فقال الراجز :

فرّ أبو لطيفةُ المنافق والجَعْوَنيان وفرّ طارق
لما أحاطت بهم البوارق والموت حيث الخَرَّق الخوافق

طارق بن عبد الله القشيري ، والجعونيان من بني قشير ، وتجللت بنو جُعدة البراذع وقاتلوا حتى قُتلوا إلّا نفراً منهم ، وقُطعت يد زياد بن حيّان الجعدي فجعل يقول :

أنشُدُ كفاً ذهبتْ وساعدا أنشُدُها ولا أراني واجدا

ثم قتل .

وقال الأسوار بن عمرو مولى بني هزان :

سلوا الفَلَج العاديّ عنا وعنكم وأُطمَةَ إذ سالت مدامعها دما
عشيّة لو شئنا سبينا نساءكم ولكنْ صفحنا عفّة وتكرّما

وقال بعض الربعيّين :

سمَونا لكعبٍ بالصفائح والقَنا وبالخيل شُعثاً تنتحي في الشّكائم
فلما غاب قرن الشمس حتى رأيتَنا نسوق بني كعبٍ كسَوق البهائم
بضربٍ يزيل الهام عن سكناته وطعنٍ كأفواه المزاد الشّواجم
وفر أبوكِ يالُطَيْفَةُ هارباً ولم ينج من أسيافنا وهو سالم

ـ **يوم معدن الصحراء:**

وأغارت بنو عُقيل وقُشير، وجعدة بن كعب، ونُمير بن عامر بعد الفلج الثاني، وقد تجمعوا عليهم بنو سهلة النميري، على من كان من بني حنيفة بمعدن الصحراء، فقتلوا من وجدوا من بني حنيفة، وسلبوا نساءهم، وكفّت بنو نمير عن النساء، غير ان رباح بن جندل بن الراعي سبى امرأة واحدة مُخَصَّلَةً بخصل الفضّة، فقال القحيف:

ورثنا أبانا عامراً مشرفيّةً صفائح فيها اليوم أنصاف ما بها
ضربنا بها أعناق بكر بن وائلٍ جهاراً وجاوزنا بها مِن ورائها

يوم النَشّاش[١]: قالوا: ولما أُوقع بالعامريينّ يوم الفلج الثاني قال عمر بن الوازع الحنفي: لست بدون عبد الله بن النعمان وغيره ممن يغير، وهذه فترة يُؤْمَن فيها السلطان، فمضى يريد أُضاخ[٢]، فلما كان بأرض الشريف بثّ خيله فأغارت وأغار فملأ يده من الغنائم، وأقبل ومن معه حتى

١ ـ النشاش: واد كثير الحمض كانت فيه وقعة بين بني عامر وبين أهل اليمامة. معجم البلدان.
٢ ـ أضاخ: من قرى اليمامة: معجم البلدان.

نزلوا النشاش ،وأقبلت بنو عامر حاشدة حتى أغارت فلم يرعْ عمر بن الوازع إلاّ رغاء الإبل، فجمع ابن الوازع النساء في فسطاط وأقام عليهنّ حرساً من ثقاته، ولقي القوم فقاتلهم فهزمت حنيفة ومن معها، وهرب ابن الوازع فلحق باليمامة، وتساقط منهم خلق في قلب النشاش من العطش وشدة الحر، فطُلب ابن الوازع فلم يُقدر عليه، ورجعوا بالأسرى والنساء. فقال بعض بني نمير:

إذا عُدَّ الفعال وجدتُ قومي نُميـراً بَـذَّ فعلُهُمُ الفَعـالا
هم قتلوا البهيم بها وجَوْناً عـلانيةً ومـا قُتِـلا اغتيـالا

بهيم بن عَزَّة.

وقال حُدَيْج النميري:

كأنّ أبانـا عامـراً لم يلد لنا أخاً غير نصل السّيف عند الشدائد
فنحن نداوي بالقنا صفحاتهم وبالبيض نُخليها مناط القلائد

وقال دَلَمُ بن صامت النُّميري:

أنا النُّميري الذي يحمي مُضرْ يرفع من أبصارهم فوق البصرْ
مُبارك الراية مرزوق الظَّفرْ إنّ اليمانيينّ فـرسان الحُمُـرْ
لم يصبروا للمشرفيّات البُتُرْ والطعن بالمُرَّان أجواف البُهَرْ
لمـا ضربنـاهُمْ بِصَيَّـاحٍ ذَكَـرْ طايَرَ عنه القَيْنُ شذّان[1] الشَّرَرْ

١ ـ شذان: جمع شاذ، وهو المتفرق من الحصى وغيره. النهاية لابن الأثير.

وقال القحيف أيضاً:

وبالنشّاش يومٌ طارَ فيه لنا ذكرٌ وعَدَّ لنا فَعَالُ

وقال أيضاً:

فداءُ خالتي لبني عقيلٍ وكعبٌ حين تزدحم الجدودُ
وهُم تُركوا على النشاش صرعى بضربٍ ثَمَّ أَهْوَنُه شديدُ

وقال حصين النميري:

يا دارَ جُمْلٍ بِلَوَى مُتَالِعِ[1] كأنها بعد الجميع الرابعِ
سحْقُ يمانٍ بَعْدَ لَوْنٍ ناصعِ[2] الله لَقَّى عمر بن الوازعِ
دائرة السوء بِفَجْعٍ فاجعِ لما لقونا خلفه الطلائعِ
وَلَّوا شلالا كالنَّعام الفازعِ

وقال بعض بني نمير:

فليتَ ابن المهير رأى نُميراً بِنَشّاشٍ تواجهنا النّخيلُ
وفي أيماننا بيضٌ رقاقٌ صوارم مايقوم لها قبيلُ
غزا يرجو الغنيمة من نمير فلم يَغنم وأعجزه القُفُولُ

١ ـ متالع جبل بناحية البحرين بين السوده والأحساء، وقيل متالع ماء شرقي الظهران. معجم البلدان.

٢ ـ الناصع: الخالص من كل شيء، وناصع: جبل أحمر بأسفل الحجاز مطل على الغور عن يسار ينبع. القاموس.

وقال القحيف العقيلي:

مَن مبلغٌ عنا قريشاً رسالةً وأفناءَ قيسٍ حيث سارتْ وحَلَّتِ
بأنا تركنا من حنيفة بعدما أغارت على أهل الحمى ثم وَلَّتِ
تَسُكُّ نميرٌ بالقَنَا صفحاتهم فكم ثَمَّ من نَذْرٍ لها قد أَحَلَّتِ

في أبيات: وقال سعد بن عَيّاش الغَنَوي:

نحن صَبَحْنَا عمر بن الوازع ملمومةٌ ذات غبار ساطعِ
باكَرَهُ الورْدُ بموتٍ ناقعِ تحت ظلال الخرِّقِ اللوامعِ

وقال القحيف:

تركنا على النشّاش بكر بن وائل بطونُ السّباع العاويات قبورها
قتلناهُمُ حتى رفعنا أكفّنا بمشهورةٍ بيضٍ حِدادٍ ذكورها
وشيبان قد كانت لِحَيْنٍ وشقوةٍ كباحثة عن شفرةٍتستثيرها

قالوا: وكفّتْ قيس يوم النشّاش عن السلب، فجاءت عكل من الحلة فسلبتهم، ولم يكن لحنيفة بعد هذا اليوم جمع، غير ان عبيد الله بن مسلم الحنفي جمع جمعاً وأغار على ماءٍ لقشير يقال له حلبان[1] فقال الشاعر:

لقد لاقتْ قشير يوم لاقتْ عبيد الله إحدى المنكراتِ
لقد لاقتْ على حلبان ليثاً هزبراً لاينام على التِّراتِ

وأغار على عكل فقتل منهم عشرين رجلاً، فقال نوح بن جرير بن عطية:

وضَيَّعْتُمُ ياعكل بالسّر نسوةً فباتت علوج القريتين تكُومُها[2]

---

١ - حلبان: قليل الماء خبيثه، وهو لبني معاوية بن قشير. معجم البلدان.
٢ - كام المرأة: نكحها. القاموس.

ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على اليمامة من قبل أبيه، حين ولي العراق من قبل مروان الجعدي، فوردها وهي سلْم فلم يحارب، وتشاهدت بنو عامر على بني حنيفة فتعصب لهم المثنى بالقيسية، فضرب عدّة من بني حنيفة فقال بعضهم:

إن تضربونا بالسياط فإننا ضربناكم بالمرهفات الصوارم
وإن تحلقوا منا الرؤوس فإننا قطعنا رؤوساً منكم بالغلاصم

ثم إن المثنى جعل يرفعهم إلى قاضيه طلحة بن إياس العدوي، فلم يقبل شهادة عامريّ فهدأت البلاد وسكنت، ولم يزل عبيد الله بن مسلم مستخفياً حتى قدم السّريّ بن عبد الله بن الحارث بن عباس بن عبد المطلب والياً على اليمامة، من قبل بني العباس فدُلّ عليه فقتله لما صنع، فقال نوح بن جرير:

فلولا السريّ الهاشمي وسيفه أعاد عبيد الله شراً على عُكْلِ

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر محمد بن مروان وولده

وأما محمد بن مروان بن الحكم، ويكنى أبا عبد الرحمن، وأمه أم ولد، وكان من أشد ولد مروان وأشجعهم في حسن خلق، وهو الذي حارب مصعب بن الزبير بن العوام فقتله بمسكن من أرض السواد، وقتل ابراهيم بن الأشتر النخعي وقد كتبنا خبره.

وكان عبد الله بن يزيد بن معاوية متقدماً محمد بن مروان عند عبد الملك، وذلك لأن أخته عاتكة بنت يزيد كانت عنده، وكان يحبها وكان يقال إن عبد الملك كان يحسد محمداً لأنه كان يرى جلد أخيه وبأسه وعارضته، ويحب أن يُصغّر منه لاسيما بعد قتله المصعب، فعزم محمد على إتيان أرمينية فأمر بإبله فرحّلتْ، فدخل على عبد الملك مودّعاً وقال: إني أريد الغزو بأرمينية، وتمثّل:

فإنك لن ترى طرداً لحرٍّ كإلزاقٍ به بعض الهوان
ولو كنا بمنزلةٍ جميعاً جريتَ وأنت مضطرب العنانِ

فقال عبد الملك: أقسمت عليك ياأخي لما أقمت في الرحب والسَّعه، فوالله لا أقذي في عينك ولاأُقدم عليك غيرك ولا ترى مني سوءاً مابقيتُ، وولاه الجزيرة وأرمينية.

أمر مروان بن محمد بن مروان

فولد محمد بن مروان:
يزيد، وأمه أم يزيد بنت يزيد بن عبيد الله بن شيبة بن ربيعة.
وعبد الرحمن، وأمه أم جميل من ولد عمر بن الخطاب.
وعبد العزيز لأم ولد.

ومروان بن محمد، وهو الجعدي، وأمه كردية أخذها أبوه من عسكر ابن الأشتر، وكان مروان يكنى أبا عبد الملك.

وقال أبو الحسن المدائني: وقوم يقولون إن أم مروان عربية من تنوخ، وذلك باطل. ويقال: كانت أمه جارية لمصعب أُخذت وبها حمل، ويقال: كانت جارية لزربي طباخ مصعب أو خبازه.

قالوا: وبويع مروان لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة، وكان أبيض أحمر أزرق أهدل الشفة لايخضب، ولم يكن بالذاهب طولاً، وكنت إذا استدبرته ظننت أن على منكبيه رجلين جالسين، واسع الصدر. وكان يقول: اللهم لاتبلني بطلبٍ ما لم تجعل لي فيه رزقاً:

وكان يقول في خطبته: اللهم إنك أعلم بولينّا وعدونا منا، فكن لنا ولياً وحافظاً، وكان يقول: ماكان أبو بكر ولا عمر بأعفّ من هذا مني.

قال: وكان غيوراً، وجد كتاباً إلى جارية له من أمها فقال: من أدخل هذا الكتاب؟ فقال خصي: أنا رحمتُ أمها لبكائها. فقطع يد الخصي.

قالوا: وعرض مروان الجند فشكوّا في حلية رجل فأسقطه، فقال:

هـلا بعـين الجر حليتني لما توافى القوم في الخندق

فقال: أجيزوه، فأجازوه.

وكان مروان أول من حلّى الجند. وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعيد، مولى بني عامر بن لؤي ويقال مولى بني مروان، ويقال كان من أهل الأنبار، وكان على شرطه الكوثر الغنوي، وكانت حرسه نوائب. قال الشاعر:

يا أيها السائل عن مروانا دونـك مـروان بعسقـلانـا
يجيد ضرب القوم والطعانا حتى تـرى قتـلاهم ألـوانـا

وكان مروان بخيلاً.

وولد مروان بن محمد: عبد الله وعبيد الله.

وقال أبو اليقظان: لايُعلم له ولد غيرهما، وغير عبد الملك بن مروان وعبد الغفار.

وولي مروان بعد خلع ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك خمس سنين، وقتل بمصر سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وهو ابن تسع وستين سنة.

قالوا: وكان الجعد ساير يوماً مروان في أول خلافة هشام، وقبل تولية هشام إياه أرمينية فأصابت ركبته ركبة مروان فقال: أعجلتْني دابتي. فقال: على نفسك فأبقِ.

قرأت على أبي الحسن المدائني ، وحدثني غيره من أهل العلم ، قالوا : كان هشام بن عبد الملك ولى مروان بن محمد أرمينية وآذربيجان ، فلما ولي الوليد بن يزيد أقره ، فقتل الوليد ومروان بكُسال من أرض أرمينية ، فأتاه خبره وهو بها ، فعزم على إتيان الجزيرة والشام فقيل له : إن عطّلت الثغر اصطلم الخزر ومن فيه من الأمم أهله من المسلمين ، فخطب مروان ودعا الناس إلى السمع والطاعة والبيعة لمن يجتمع الناس عليه ، وأعطاهم أرزاقهم ، وفرض لعشرة آلاف من الأبناء وغيرهم ، وبعث اسحاق بن مسلم العقيلي ، وثابت بن نعيم الجذامي إلى أهل الباب والأبواب وملوك الجبال وتفليس يدعوهم إلى بيعة من رضي المسلمون به ، وولى آذربيجان حميد بن عبد الرحمن اللخمي ، فلما رجع ثابت بن نعيم من حيث وجهه إليه مروان فارق مروان وخالفه ، ودعا أهل الشام إلى الخروج معه ، وقال : قد قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك فسيروا على راياتكم إلى الشام قافلين ، فأجابوه وقالوا : قد قتل الخليفة فليس لأحد علينا سلطان ، فالرأي أن نأتي الشام فنكون مع من يجتمع الناس عليه ويرضون به ، فعسكروا وبلغ مروان ذلك فقال : إنكم إنما أردتم الإغارة على أهل الذمة فيما بينكم وبين الشام . فاجتمع على قتالهم ودعا أهل الجزيرة إلى ذلك فأجابوه ، فترك أهل الشام ما أجمعوا عليه من أمر ثابت بن نعيم ورفضوه ، وأسلموا ثابتاً فأخذه مروان فحبسه وحبس بنيه وهم : نعيم ، وبكر ، ورفاعه ، وعمران ، وهَمَّ بقتلهم فطُلب إليه فيهم فخلّاهم .

واستخلف مروان على أرمينية عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي ، وتوجّه يريد الشام ، وقَدمَ ابنه عبد الملك بن مروان بن محمد إلى الجزيرة ،

وبلغ يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أن مروان قد عزم على إتيان الشام ليبايع ليزيد بن الوليد ، فكتب إليه : العجب لك تبايع ليزيد وهو قتل الوليد فلم يبق أحد من بني مروان إلّا وهو طامع في الخلافة وأنت سنهم وشيخهم .

فلما قرأ كتابه أقام بالجزيرة ، فأرسل إليه يزيد بن الوليد الناقص يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وحميد بن نصر اللخمي ، وعمارة بن كلثوم بن أبي كلثوم الأزرق ليأتوه ببيعته ، وبيعه من قبله من أهل الجزيرة ، وضمن له إن سارع إلى بيعته ولم يُقدّم ويؤخر أن يوليه أرمينية وآذربيجان والجزيرة ، فيقال إنه أبىٰ ذلك ودسّ إلى من معه أن يأبوا بيعة يزيد . فقالوا : لا نبايع الناقص وقد قتل خليفتنا . فقال بعض رسل يزيد لمروان : إنّ هذا الأمر تحت كنفك وتدبيرك . فقال له : يا بن اللحناء لهممتُ أن أضرب عنقك .

ويقال إنه كتب إلى يزيد ببيعته مع رسله ثم ردهم ، ثم جاءته وفاة يزيد ، وقيام إبراهيم بن الوليد ، فردّ الرسل الذين مضوا ببيعته من قنسرين ، ودعا الناس إلى الطلب بدم الوليد ، وأتى أهل حمص وأهل قنسرين بيعة ابراهيم وتحرزوا ، فوجّه إبراهيم بشراً ومسروراً ابني الوليد بن عبد الملك إلى قنسرين في خمسة آلاف ، ووجّه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك إلى حمص ، ونادى عبد العزيز : من وافىٰ فله كذا . فقال الحنتف الضبي من بني ضبة بن سعد بن ليث بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة :

لبيك لبيك ولي العهد أتاك قومي ضبَّة بن سعدِ
قد لبسوا الدروع فوق الزَّرْدِ وجرروا كل حصان وَرْدِ

ونشروا للحرب كل نَهْدِ ونهدةٍ تزلّ تحت اللّبدِ
إيْهَا فِداكم طارفي وتلدي فجالدوا عن دينكم بجدِّ
وعن ذوات الحجل الممتد أتاك مروانٌ بكل عبدِ
مخالف ينصر دين الجعْدِ مُكَذّبُ يجحد يوم الوعدِ

فسار مروان بجند أهل الجزيرة ، فلقيه بشر ومسرور ، ومالت قيس كلها ، ويزيد بن عمر بن هبيرة إلىٰ مروان ، ومضىٰ إلى حمص ومعه أهل الجزيرة وقنسرين ، وكان عبد العزيز بن الحجاج محاصراً لأهل حمص ، فلما دنا منه مروان رجع عبد العزيز إلى دمشق ، فوجه ابراهيم إلى مروان سليمان بن هشام ، فأقبل في خلق من الخلق فنزل بعين الجرّ ، ورجع إليه مروان بأهل الجزيرة وقنسرين ، وهو في زهاء سبعين ألفاً ، فنزل بدير الأبرش وسليمان بعين الجر وبينهما ثلاثة أميال وذلك في صفر سنة سبع وعشرين ومائة .

وكتب مروان كتاباً منه إلى أهل فلسطين : إني نزلت بدير الأبرش ، وسليمان بعين الجر فطالعت عسكره بنفسي فرأيت جيشاً كثيفاً ، وأنا متوجه إليكم في طريق كذا ، ودفع الكتاب إلى رجل قال له : تعرّض لهم . ففعل فأخذ وأُتي به سليمان بن هشام ، فلما قرأ الكتاب قال : أنا أبو أيوب هرب مروان ، والله لأَحُوْلَنَّ بينه وبين ذلك .

وقال مروان لابنه عبدالله : إني مرتحل غدوة فإن ارتحل سليمان من هذا المنزل فانزله ، وخَلّفه في غيضة هناك كامناً في العين .

وأصبح مروان يوم الأربعاء فغدا متوجهاً في طريق المغرب ، وخرج سليمان زعم يبادره إلى الطريق التي ذكر مروان في كتابه أنه يسلكها ، وأقبل

ابن مروان فنزل عسكره ، وسرح إلى أبيه رسولاً يعلمه ذلك فلما أعلمه الرسول رجع وقد سار ستة أميال فصار في عسكر سليمان فقال سليمان : مكر بنا مروان ، وإنما فعل ذلك لأن عسكر سليمان أخصب وأحصن وأكثر مياهاً ، فقاتلهم مروان فظفر بهم وقتل منهم مقتله عظيمة يقال عشرة آلاف ، وأخذ يزيد بن العقار الكلبي ، والوليد بن مصاد فضربهما مروان بالسياط حتى ماتا .

ومضى سليمان منهزماً إلى دمشق فأخذ مالها فقسمه بين أصحابه ، وأتى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك الخضراء في جماعة منهم يزيد بن خالد القسري ، وفيها الحكم وعثمان ابنا الوليد بن يزيد ، وأبو محمد زياد بن عبدالله بن يزيد السفياني ، ويزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو خال عثمان بن الوليد بن يزيد ، ويوسف بن عمر الثقفي ، فوثب أبو الأسود مولى خالد بن عبدالله فقتل الحكم وعثمان ويوسف بن عمر ، وكان الناس قد أحجموا عن قتل ابني الوليد وقالوا : هما صبّيان .

وقيل لرجل كان محبوساً من الأعاجم : اقتلهما . فقال : أنا أقتل الفرسان ولا أقتل الصبيان ، ويقال إنه قتل ابني الوليد أبو الأسود ، قتلهما بعمود ، ثم دخل يزيد بن خالد إلى يوسف فأخذ بلحيته وكانت طويلة ، فجذبه ونتره نتراً شديداً ، فقال له يوسف : ما هذا السّفه يرحمك الله ؟ قال : أنت والله أسفه مني يا بن الحمقاء حين ضربتني بالعراق ألوف أسياط . فقال : فعلتموها ، والله ما فعلتم هذا حتى أخزاكم الله ولقد انهزمتم ، فأخرجه فضربه ، وقال : لعلك يا بن الزانية ترى أنني أقتلك بأبي ، وقال : ما أقتلك إلا بغلامنا غزوان أو طهمان ، ثم رجع فأخذ بيد

خال عثمان بن الوليد فقتله ، وبقي أبو محمد السفياني فقام فردّ الباب وكان حديداً وألقى محبسه وراءه واعتمد عليه ، فدفع الباب فلم يقدر على فتحه .

وماج الناس حين قُتل الصبيّان ابنا الوليد وانهزم سليمان ، وهرب عبد العزيز ، ويزيد بن خالد ومن كان معهما .

وجاء مولىً لأبي محمد السفياني يقال له مهران فنادىٰ من خوخة من ناحية المسجد : يا أبا محمد أبشر فقد أتاك الفرج ، فقال : ويحك أما ههنا أحد ؟ قال : بلىٰ . قال : فجئني بمن قدرت عليه ، فأتىٰ بجماعة ففتح أبو محمد الباب فاحتملوه في قيوده حتى وضعوه على المنبر ، فدعا لمروان وبايعه الناس فقال :

شَدَدْنا ملكنا ببني نزار وَقَوَّمْنَا بهم ما كان مالا
وطَحْطَحْنا بهم قحطان حتى أَقَرّوا بالصَّغار لنا ذلالا

وقال بعض شعراء بني عامر بن صَعْصَعَة :

ويوم بعين الجَرِّ يفخر جاثماً سليمان كاليَعفور جَمّ الهزائمِ
وطار عليها المخلصون لربّهم سراعاً نَبيعات الأكفّ السلائمِ
فلما تمطّت في الغبار وواجهتْ دمشق شجرنا رأسها بالشكائمِ

يقول : حبسنا شُجرته عن الأمر : حبستُه .

ومن زعم أن أبا محمد قتل في محبسه فقد غلط .

وأقبل مروان علىٰ اثني عشر ميلاً من دمشق ، وهرب سليمان بن هشام ، وقال أبو محمد السفياني : من جاء برأس عبد العزيز بن الحجاج فله عشرة آلاف درهم ، فطلبه الناس وأتوا داره فأحاطوا بها ليحرقوها فقال بعضهم : إنه ألقى إليهم بِدْرَةً نثرها فتشاغلوا بها ، وخرج من باب آخر

فرأته امرأة فعرفته ، ومرّ بها قوم يطلبونه فدلّتهم عليه فوطئوه حتى قتلوه . فقال الشاعر :

رَجَا أخذها عبد العزيز بسيفه فصار قتيلاً في الأزقـة يُسلبُ

ويقال إن مروان أقبل ، فتلقّاه أبو محمد السفياني ، وعبدالله بن سفيان بن عتبة بن يزيد بن معاوية ، فسلم عليه أبو محمد بالخلافة وعزّاه عن الوليد وابنيه وقال له : يا أمير المؤمنين إن الحكم وعثمان جعلا لك العهد بعدهما ، وكان مع مروان حوثرة بن سهيل الباهلي ، والكوثر الغنوي والوثيق بن الهذيل ، وأبو الورد الكلابي ، وعبد الرحمن بن الأشهب الجعدي ، ونُباتة العُقيلي ، وابن سعيد الحرشي فقال مروان : إن هذين الغلامين جعلا لي الأمر بعدهما ، والله يعلم أنني لم أطلبها في ليل ولا نهار .

ثم ارتحل فنزل مرج راهط فقال له ابن سُرَاقة الأزدي : هذا والله الموضع الذي ضرب فيه جدك مروان فسطاطه . فنظر إليه فسرّه ذلك .

وقيل لسراقة : كذبته وغررته فقال : اسكتوا ، من كان يقوم فيردّ علي ؟ فبويع مروان ثم دخل دمشق من باب الجابية فرأىٰ عبد العزيز مقبلاً فقال : يا كوثر من هذا ؟ قال : السفيه عبد العزيز . فقال مروان : لايزال صبي من آل مروان يتعرّض للفتن ، وطلب إبراهيم وسليمان ونادىٰ بأمانهما فأتياه ، فخلع ابراهيم نفسه فأمنّه ، وأمرّ سليمان بن هشام ، واستعمل مروان على حمص معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير السكوني ، ثم اتهمه فعزله ، واستعمل عبدالله بن شجرة فناصحه ابن شجرة ، واستعمل على فلسطين ثابت بن نعيم ـ وكان قد رضي عنه بعد حبسه إياه واستصلحه ـ ويقال ولاه فلسطين والأردن ، والأول أثبت .

وولى قنسرين عبد الملك بن الكوثر ، ووجه في طلب من شايع على قتل الوليد فأتي بنحو من مائتي رجل ، فقتل بعضهم ، وقطع أيدي بعض .

وأمّر إسحاق بن إبراهيم بن الوليد وسليمان بن يزيد بن عبد الملك فبايعاه .

ثم حمل مروان ما كان بدمشق وترك بها زامل بن عمرو السكسكي ، وخلّف معه خالد بن يزيد بن هبّار في ألف فارس ، فأقام في حران ثلاثة أشهر أو أربعة ، ثم بلغه أن ثابت بن نعيم بن زرعة بن روح بن زنباع بن روح بن سلامة بن حُداد بن حديدة الجذامي قد خلع ، وكان عامله على فلسطين ، فسار يريده فكان من أمره دونه ما نحن ذاكروه إن شاء الله .

أمر حمص ودمشق وأمر يزيد بن خالد القسري

قالوا : سار مروان يريد ثابت بن نعيم فنزل حماه من حمص ليلة الفطر سنة سبع وعشرين ومائة ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك معه آثر مَن عنده من بني مروان ، وكان قدم عليه حران فأكرمه فصلّىٰ مروان العيد بالناس ، ومعه سليمان ، وعبد الملك ، وعبدالله ، وعبيدالله وعبد الغفار بنوه ، فلما صلى أتاه رجل من أهل حمص فأعلمه أن أهل حمص قد غدروا وأن كلباً دخلت المدينة وعليها الأصْبَغ بن ذؤالة ، ومعه بنوه حمزه ، وذؤالة ، وفرافصة ، ومعه عصمة بن المقشعر مولىٰ كلب ، وطفيل بن حارثة ومعاوية بن عبد الأعلىٰ السكسكي ، وقد بايع ابن ذؤالة من أهل حمص السمط بن ثابت بن يزيد بن شرحبيل بن السّمط بن الأَسْوَد بن جبلة الكندي وغالب بن ربعي الطائي ، فارتحل مروان من حماه فنزل على نهر الأرنط ، ثم سار على تعبئة إلى حمص فأتاها نصف النهار ، وعلىٰ الحائط جماعة من كلب ، فأرسل مروان إليهم : ما بالكم ؟ قالوا : نحن على طاعتك وهؤلاء سفهاء دخلوا مدينتنا ، فقال : افتحوا باباً ففتحوه ، فاقتحم عمرو بن الوضاح في الوضاحية فقاتلهم وأصيب من الفريقين ، وهرب

الأصبغ بن ذؤالة ، واتبعتهم خيل لمروان فقتلوا منهم جماعة ، ونجا الباقون وأُسر في المدينة رجال منهم ذؤالة بن الأصبغ بن ذؤالة ، وأخوه فرافصة بن الأصبغ بن ذؤالة .

وكان الأصبغ قد وجّه ابنه حمزة إلى ثابت بن نعيم يعلمه دخوله مدينة حمص فبلغته قبل وصوله إلى ثابت هزيمة أبيه وأسر أخويه فمضى إلى تدمر، وقتل مروان الأسرى ، وقتل ابني الأصبغ أيضاً ، وكان الأسرى أربعمائة فصلبوا حول مدينة حمص ، وهدم مروان من حائطها مائتي ذراع ، وأقام بها ثمانية أيام .

وروي أيضاً أن اليمانية عصتْ لتقديم القيسية عليها ، فَهَمّ بنو مصاد بن زهير الكلبي أن يفتكوا بمروان ، فشاع أمرهم ، وكان معهم معاوية بن عبد الأعلى السكسكي ، فأتى حمص فدعا أهلها إلى خلع مروان فأجابوه ، وأمّروا عليهم السَّمْط بن ثابت ، ويقال الأصبغ ، فخرج عبد الله بن شجرة عامل مروان على حمص إلى سلمية فقُتل بها ، قتله رجل من كلب يقال له المنهال بن عبد الملك .

وخرج رجل من حمص يقال له حُجر ، ومروان محاصرهم إلى القرى يستنجدهم ، فأُخذ وأُتي به مروان فقال مروان : هيه يا حجر ، خرجت تستنجد أهل القرى ثم تأتي حمص ، أما إنك ستأتيها ، وأمر به فوضع في المنجنيق ورمي به فصكوا به حائط المدينة فتفسّخ .

وأُخذ غلام من المدينة فأُتي به مروان فخرجت أمه فقالت : يا أمير المؤمنين أذكّرك الله فإنه مالي ولد غيره وقد نهيته عن السعي والقتال فعصاني . فقال مروان : ذلك أحرى أن أقتله إذ عصاك ، وأمر به فضُربت عنقه .

وكان أهل حمص ينادون ومروان محاصر لهم : يا بن مصعب فيقول : شريف كريم ، وينادون : يا بن الأشتر ، يا بن زربي الخباز ، يا بن الكرديّة . فيقول : خلطتم لعنكم الله . وكان الخوارج في أيامهم ينادونه : يا بن الطنفسة[1] .

قالوا : وأمن مروان أهل حمص إلا سعيد بن هشام ، والسمط بن ثابت ، وكان سعيد مع أهلها ، فنجا سعيد بن هشام حتى قتله عبد الله بن علي .

وثلم مروان حائط المدينة فقال بعض الحمصين :

يـا حمص ويحك لا تجـزعي قصّـصك[2] الجـعدي سُـكنينه[3]

وكلم الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك ، وكان عامل مروان على الأردن ، مروان في السمط وعمل في أمره حتى أمنه مروان ، وكان يختلف إلى إسحق بن مسلم العقيلي ونزل عليه ، قال الحارث بن يزيد : فقال لي الوليد بن معاوية : ألا تعجب من السمط ينزل على إسحاق بن مسلم ويدعني وقد قمت بأمره ، قال الحارث : فلقيت السمط فقلت له في ذلك فقال : أنت عاجز ، أنا أدع إسحاق وهو رجل إن غضب غضب لغضبه عشرة آلاف ، قال : فأخبرته بذلك فأقعد للسمط رجلين فقتلاه وهو

---

١ ـ بهامش الأصل : يريدون ألوان الطنفسة .
٢ ـ القصص : تتبع الأثر ، وأحسن البيان ، والصدر أو رأسه أو وسطه ، ومن الشاة ما قص من صوفها . القاموس .
٣ ـ لم أقف بالمعاجم على ما يشرح هذه الكلمة .

يريد مروان ، ويقال بل دسهما مروان ، ويقال دسهما عبد الله بن شجرة . وقال الهيثم بن عدي : قتله مروان .

قالوا : ولما فرغ مروان من أمر حمص بلغه أن أهل غوطة دمشق دعوا إلى ثابت بن نعيم ، وحصروا عامله على دمشق ، وهو زامل فوجه مروان إليهم أبا الورد الكلابي ، وعمرو بن الوضاح في عشرة آلاف ، فلما وردا دمشق أتاهم أبو علاقة السكسكي ، ويزيد بن خالد القسري ، فانضما إليهم مخالفين لمروان فاقتتلوا فانهزم أبو علاقة ويزيد وظفروا بعسكرهما ، ثم ظفر أبو الورد بيزيد وأبي علاقة بالمزة فقتلهما ، وبعث برؤوسهما إلى مروان .

ويقال إن يزيد لما انهزموا خرج من باب الفراديس هارباً فانتهى إلى برزة ، فلقيه رجل من الأشعريين فقال له : ابغني منزلاً أكون فيه فأدخله منزله ، ثم فكرّ فخاف فدّل عليه فبعث به إلى مروان فدفعه إلى المضريّة فحملوه على بغل بإكاف وجعلوا وجهه مما يلي ذنبه ، وجعل رجل من محارب يقول : يا معشر الفرسان أين الحكم وعثمان ؟

ويقال إن مروان كتب إلى زامل : إنك لتعلم مكان يزيد بن خالد ، ووالله لتأخذنّه ، أو لأقتلنّك ، فطلبه فأصيب في بيت لهيا فقال رجل من موالي بني سلول : تأتون به زاملاً وهو يمان فيحبسه ثم يشفع فيه ويستوهبه ، فشدّ عليه فطعنه ، وذلك لقتله يوسف بن عمر ، وكان يزيد بن خالد لما قتل يوسف أمر بحبل فشُدّ في مذاكيره وَجُرَّ بِهِ ، فَفُعل بيزيد مثل ذلك .

ويقال إن رجلاً من لخم أتى زامل بن عمر فأخبره أن يزيد بن خالد يأتي زرّاعة لهم بقرب الغوطة مستخفياً ، فأرسل زامل خيلاً فأصابته في زرّاعة اللخمي ، وعليه قميص سُنْبلاني ، فأخذوه وأقبلوا به على بغل بإكاف ، وقد

عرض عليه ، فتلقاهم رجل من بني نمير فقتله واحتز رأسه وأتى به زامل بن عمر فقال : كُلْهُ بخلّ وخردل ، فقال : الأمير أحقّ برأس ابن عمه .

وبعث زامل برأسه إلى مروان وعلق الناس في رجله حبلاً فجرّه الصبيان في السكك . ويقال أيضاً إن النميري مر بقوم من بجيلة وقد قطع من لحم يزيد قطعاً فألقاها إليهم فقال : كلوا ، فجعلوا يأكلون قسراً والسيوف على رؤوسهم ، ثم مضى .

أمر ثابت بن نعيم بن زرعة بن روح بن زنباع الجذامي :

قالوا : خلع ثابت بن نعيم وقال : أنا الأصفر[1] القحطاني لستُ لنعيم إن لم أُخْلِ الشام من أولاد قيس ، وكان مروان قد ولاه فلسطين مستصلحاً له بعد حبسه إياه بأرمينية .

وذكر قوم أن سبب خلعه أن عطية بن الأسود مولى كلب قال :

يا ثابتَ بن نعيم دعوةً جزعا   عقَّتْ أباها وعقَّتْ أمها اليمنُ
أتاركٌ أنت مال الله يأكُلُه   عَيْر الجزيرةِ[2] والأشراف تمتهنُ

وكان يقال لمروان حمار الجزيرة .

أُوْقِدْ على مُضَرٍ ناراً يَمانيةً   تشفي الغليل وتحيي بعدها السُّنَنُ

ويقال إنه قال هذا الشعر بعد خلعه .

قالوا : فلما فرغ مروان من أهل حمص ، وثار ما ثار من أهل الغوطة ، ومعهم أبو علافة ، ويزيد بن خالد القسري فانقضى أمرهم ، أقبل ثابت من

---

١ ـ من أنواع المهدي المنتظر .
٢ ـ أي مروان بن محمد .

فلسطين في كنف من لخم وغيرهم يكونون زهاء خمسين ألفاً ، فحصر الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان عامل مروان بطبرية مدينة الأردن ، فسار إليه أبو الورد ، فلما التقوا خرج إليهم الوليد بن معاوية في أهل الأردن فهزموا ثابتاً وقتلوا أصحابه ، وتفرّق من بقي منهم عنه .

ومضى ثابت إلى فلسطين واتبعه أبو الورد فلحقه ، فأسر من بنيه ثلاثة : نعيماً ، وبكراً ، وعمران ، فبعث بهم إلى مروان فحبسهم . وغلب أبو الورد على فلسطين ، ولحق ثابت بن نعيم وابنه رفاعة بجبال الشراة فظفرت به خيل لمروان كان قد وجّهها مادّةً لأبي الورد فأخذوه وأتوا به مروان وهو بدير أبوب[1] فقتله مروان ، وقتل بنيه وقطع أيديهم وأرجلهم ، وأفلت ابنه رفاعة بن ثابت ، وأُخذ مع عثمان بن هلال الجهني وعمرو بن يزيد اللخمي فقتلهم مروان جميعاً .

وقال بعضهم : لحق ثابت بمصر ، فوجّه إليه مروان الكوثر فهزم أصحابه وأخذه أسيراً فبعث به إلى مروان فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق ، سمرّه بمسامير . وقال بعض الشعراء قصيدة له ويقال إنه الرمّاح بن ميّادة :

حذارك أن تلقاك يوماً بموطنٍ فوارس يهديها أبو الورد والصّقرُ
فوارس صِدْقٍ لا يبالون مَنْ ثَوى يجرّون أرماحاً حواملها حُمْرُ
وكوثرُ المهـدي لِمصْرَ جياده وأرماحه حتى استقامت له مِصْرُ

---

١ ـ قرية كانت بحوران على مقربة من بلدة نوى . معجم البلدان .

فمالك بالشام المقدس منزلٌ ولا لك في نجدٍ ذراع ولا شبرُ
بنجد ثبا[١] منا وبالشام مثلها متى تعْصَنَا يغضب لنا البرّ والبحر

وأقام مروان بدير أيوب إلى هلال المحرم ، وبايع به لابنيه : عبد الله وعبيد الله ، وزوّج عائشة بنت هشام من عبيد الله ابنه ، وزوج أم بنت هشام عبد الله بن مروان ابنه ، وأقبل فنزل الرصافة فأقام بها يوماً[٢] .

١ - بهامش الأصل : ثبا : أي جماعات .
٢ - بهامش الأصل : بلغ العراض ولله جزيل الحمد والمنة .

أمر سليمان بن هشام بن عبد الملك

قالوا : ولما توجه مروان إلى الرصافة استأذنه سليمان بن هشام في المقام ليتجهز ، فأذن له ، ومضى فنزل الرقة ، ثم أتى قرقيسياء ، وأقبل عبد الرحمن بن أيوب الضبّي إلى سليمان بن هشام وهو بالرصافة ومعه خيل لمروان كان ضمها إليه ، فقال لسليمان بن هشام : أنت والله أحقّ بالخلافة من الجعدي . وكان في نفسه على مروان أشياء في يوم عين الجرّ وغير يوم عين الجرّ ، فخلع مروان وصار إلى حمص فدخلها وبايع أهل حمص على الموت ، فأقبل مروان زاحفاً بعد أن قَرُب من قرقيسياء وعلى مقدمته ابنه فألصق بحمص ووضع عليها المجانيق حتى فتحها ، وهرب سليمان بن هشام إلى تدمر ، وأقام مروان حتى استقصى هدم حائط حمص .

قال أبو الحسن المدائني عن أشياخه وداود بن عبد الحميد قالوا : أظهر سليمان خلع مروان وقد فارقه بالرصافة ، وقدم مروان الرقة فتوفي ابنه عبد الملك ، فترك الإنحدار إلى العراق .

ومضى سليمان في خفّ من أصحابه إلى حمص ، وبنى ثلماً كان مروان ثلمه في حائطها . وكان في نهر الهني[1] قصران يقال لأحدهما الكامل والآخر العجب ، فخلّف فيهما سليمان قوماً من الذكوانية وغيرهم وأكثرهم موالي هشام ، وأمرهم أن يمنعوا من أراد مروان من أصحابه ومن يأتيه بالخبر ، فبعث اليهم مروان : لئن أقمتم على ما أنتم عليه ثم ظفرت بكم لم أستبق منكم أحداً . فلم يقبلوا ، فأما من كان في العجب فإنهم نزلوا على حكمه فأمنهم ، وأما أهل الكامل فأبوا أن يقبلوا أمانه فبعث إليهم خالد بن عمير بن الحباب فعرض عليهم الأمان فلم يقبلوه ، ورجع مروان ومرّ بهم فشتموه ، فأمر رجلاً من أصحابه بقتالهم ، فنصب عليهم المجانيق فلم ينتصف النهار حتى أفضى إلى القصر فطلبوا منه أماناً ، فأبى أن يؤمنهم إلاّ على حكمه ، فقطع مروان أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وهدم الحصن ، وجعل الرجل يقول للرجل منهم : أيما أحب إليك ، أقتلك شدخاً أم أفقأ عينك أم أقطع يديك ورجليك ، فأُتي برجل منهم فقيل له ذلك فضحك وقال : ما أدري ما أختار من الشرور . فقتلوا بالعمد وبقطع الأيدي والأرجل ، فقال بحر بن عمرو القشيري :

ظفرت بهم إذ عاندوك سفاهةً فَنَكِّلْ بهم حتى تدرَّهُمُ العَصبُ
فإنك إذ تفعل تَجِدْهُمْ أذلَّةً إذا نكبوا يوماً أذَلّهُمُ النّكْبُ

وقتل مروان يعقوب مولى هشام غدراً ، خرج إليه من الكامل بأمان فقال : لا أعطي أهل الكامل الأمان إلا على حكمي فليس بيني وبينهم إلا السيف ، وقتله .

---

١ ـ في الرقة .

وبايع أهل حمص سليمان ، وتبايعوا على الموت ، واستوثقوا من حائطهم وبنوا ثلمه ، فتوجه إليه مروان فلما دنا من حمص جدّد فرسان أهل الشام ممن مع سليمان البيعة على الموت ، وجدّدها أهل حمص أيضاً وقالوا : اخرجوا إلى الجعدي فإما قتلنا وإما ظفرنا به ، فانتدب منهم ستةآلاف مع معاوية بن عبد الأعلى السكسكي وثبيت البهراني فبلغ ذلك مروان فسار اليهم على تعبئة ، وتحرزوا وكمنوا لمروان في الزيتون فلم يشعر وهو يسير على تعبئته حتى ثاوروه فقاتلهم وصُرع معاوية بن عبد الأعلى وانهزم الآخرون ، وقتل منهم أربعة آلاف ، فقال مروان لمعاوية : أنت مطاع في أهل حمص فادعهم إلى بيعتي وأؤمنك . قال : نعم . فأرسله إليهم في خيل وأمرهم أن يحفظوه ولا يفارقوه حتى يردّوه ، فأتاهم وهم مشرفون من المدينة فدعاهم إلى بيعته فقالوا : لا ولا كرامة ، ولا نبايع لابن زربي الخباز . فقال : إذا لم تفعلوا فابعثوا إلي غلامي ميسرة الأسود وليكن معه ثيابي كلها ، وانصرف إلى مروان ، فقال للذين كانوا معه : ماذا قال ؟، فأخبروه . فقال : أتدرون ما أراد ؟. قالوا : لا . قال : إذا أمسيتم فاحملوا السلاح وبَيِّتُوهم واحملوا على الميسرة ، فأمر بمعاوية فقطعت يداه ورجلاه وشدخ بالعمد .

وقال بعضهم : إن رجلاً من بني مجاشع كان مع مروان يقال له حُوَيّ أسر معاوية بن عبد الأعلى وأتى به مروان فقال : استبقني فإني أشد العرب . فقال : الذي أسرك أشد منك . وقال مروان :

يا ربّ ابراهيم أَمْتِعْنَا بِهِ   إنَّ حُوَيّا نِعْمَ ما أَبلَىٰ بِهِ
والسّكْسَكيَّ صاغراً جانا به

فلما أمسىٰ مروان صيّر الفرسان وحماة قيس في الميسرة ، فلما مضىٰ ثلث الليل بيّتَهُم أهل حمص وقد حذرهم مروان فاقتتلوا فلم يقدروا على ما أرادوا فرجعوا إلى سليمان ، فرأىٰ سليمان صلابة مروان وصعوبة الأمر في محاربته فخرج من حمص وخلّف أخاه سعيد بن هشام وأتىٰ تدمر فنزلها ، وأقام مروان على حمص يقاتلهم عشرة أشهر أو أقل ، وبسط لهم الأمان فقيل إنه أمَّنَهم ، وقيل إنهم نزلوا علىٰ حكمه فلم يقتل إلاّ عبداً أسود وشمّاساً نصرانياً كان شجاعاً وكان يقول : إن كان السكسكي ذهب فأنا السكسكي فقتله . وقال : ما كان خطر ببالي أن أؤمّن شماساً . ويقال إنه لم يؤمّن سعيد بن هشام ورجلاً من اليهود .

وأُتي بأمية بن معاوية بن هشام أسيراً فقطع يديه ورجليه ثم شدخه ، فغلظ الناس علىٰ مروان ولعنوه ، وهدم مروان حائط حمص ، وكُلّم في سعيد فأمَّنه وكان معه وبقي حتى قتله ابن علي .

وقال المدائني : أمَّر مروان سليمان علىٰ إحداثه ومقاتلته إيّاه عن الناقص وابراهيم ، فركب سليمان يوماً مع مروان بعين الجّر ، فقال له مروان : يا أبا أيوب ـ ورفع حاجبيه كالمتوعّد ـ فقال : يا أمير المؤمنين أعرض عن هذا . فلم يزل سليمان مضمراً له علىٰ شرّ .

قالوا : وجمع سليمان بن هشام جمعاً بتدمر وبايعه أهلها ، ولجأ إليها كل لصّ وخارِبٍ[1] ، وعامة أهلها كلب ، فصار إليهم مروان ، فقال زُمَيْل بن سُوَيد :

---

١ ـ الخارب : اللص . العين للخليل بن أحمد .

يا ويح تدمر ويحها وعويلها ماذا يراد بعامرية تدمرا
يا ويحها من كيد أبيض ماجدٍ أعطى بعذراء الجيوش وشمّرا

فلما أناخ بها مروان سألوه الأمان وأن يضع لهم كل دم أصابوه ، فأمّنهم على أن يهدم حائطها فلم يمكنه ، وهرب سليمان حين قرب مروان منها فانحطّ إلى خُساف فنزلها ، فوجّه إليه مروان عوف بن إسحاق بن مسلم فأسرته خيل لسليمان ، فوجّه إليه مروان الكوثر فقاتله سليمان ، وأتاهم مروان فتقاتلوا فاستعلاهم سليمان ثم إنه انهزم فاتبعه مروان فالتقوا أيضاً بمرج خلف صفّين، وقدّم مروان ابن الصحصح فاقتتلوا فهرب سليمان وأُسر من أصحابه خلقاً فقتلهم مروان بالعمد بقرب ملاّحَة هشام ، وصار سليمان مع الخوارج ، وقد كتبنا خبره بعد هذه القصص ، حتى قتله أمير المؤمنين أبو العباس .

ويقال إن مروان قتل سعيد بن هشام غيلة ، ويقال ضرب عنقه . ويقال إنه بقي حتى خرج في أيام بني هاشم فقتل ، والله أعلم .

وأسر خالد بن هشام بن اسماعيل المخزومي أخو ابراهيم ومحمد يوم خُساف ، أصابته خلفة[1] فنزل وستره مواليه وأخذ فأتي به مروان ، فأمر فشُدخ بالعمد .

---

١ ـ أخذته خلفة : كثر تردده إلى المتوضأ . القاموس .

خبر يوم المنتهَب في أيام مروان

قال هشام ابن الكلبي ، ثنا ابراهيم بن عبد الرحمن بن نعيم عن معْدان بن عُبيد بن عدي بن عبدالله بن خيبري بن أفلتَ الطائي قال : تزوجت امرأة من بني بدر من فزارة رجلاً منا على نبيذ لهم فأسرع فيهم النبيذ وجرت ملاحاة ، فوثب رجل منا يقال له يعقوب بن سلامة فضرب شاباً منهم فشجّه ، فمات من شجته ، قال معدان : فقلت للبدريين : لك دية صاحبكم ، فأبوا إلا أن ندفع إليهم قاتله ، فأبيتُ دفعه .

وكنا حين قُتل الوليد بن يزيد ووقعت الفتنة منعنا الصدقة ، فلم يؤدّها من بني طيء إلاّ بنو جَرم وبنو نَبهان أو أكثرهم ، فأتى البدريون أمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان عامل الأعشار والصدقات بالمدينة ، وإليه صدقات الجبلين[1] فأخبروه بخبر صاحبهم ، فكتب أمية إلى مروان يخبره بمنعنا الصدقة ، وبقتل البدري وامتناعي من دفع قاتله إليهم ،

١ـ جبلا طيء : أجأ وسلمى .

وأنا علىٰ خلاف ومعصية ، فكتب مروان إليّ أن أمكنّ البدريين من صاحبهم ، فأدُّوا الصدقة إلى أمية وسعاته ، وإلا وجَّهتُ إليك من حملك إلي ، فإن امتنعت عليه أتاني برأسك ، ثم والله لأُبِيْلَنَّ الخيل في عَرَصَاتكم .

قالوا : فأمر معدان بضرب عنق الرسول ، فقال : إن الرسل لا تُقتل والأسير فيكم يا معاشر طيء يُسْتَحْيَىٰ ، فقال : صدقت ، وخلّى سبيله وقال له : أدّيت إلي فَأَدِّ عَنِّي ، قل لابن زربي : أنت تُبِيْلُ الخيل في عرصاتنا وبيننا وبينك رمل عالج ، وخلف ظهرك الجبلان ، وحولي عديد طيء . اجْهَد جهدك واحشد حشدك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت ، ولا أرعىٰ عليك إن أرعيت . وكتب إليه :

ألا مَـن مُبْـلِغٌ مـروانُ عني ... على ما كانَ مِنْ بُعْدِ المَزَارِ
ألم تَرَ للخلافة كيف ضاعت ... لأنْ صـارت لأبنـاء السَّراري

وقال غالب بن الحّر المعني :

لقد قلتُ للركبان من آل هاشم ... ومن عبـد شمس والقبائـل تسمعُ
قفـوا أيهـا الـركبـان حتى يجيئنـا ... وإيّـاكم الأمر الـذي ليس يُـدفـعُ
حتىٰ تـروا أين الإمـام وتَشْعَبُـوا ... عصا الملك إن الخيل رثّ مدعدعُ[1]
أرىٰ ضيعـةً لـلمال ألاّ يَضُـمَّـه ... إمامٌ وهل في غـير أهليه يـوضع

فأدى رسوله إليه الرسالة والشعر فاستشاط ودعا عبد الحميد بن يحيىٰ كاتبه فأمره أن يكتب منه إلى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك عامله على

١ ـ التدعدع : مشية الشيخ الكبير ، ودعدع : عدا في بطء والتواء . والرث : البالي . القاموس .

المدينة ، وإلى أمية بن عبدالله عامله على الأعراض[1] والأعشار والصدقات بها ، وعلى صدقات طيء بالجبلين أن يسيرا بأهل المدينة وأهل البوادي من قيس وغيرها إلى معدان بن عبيد حتى يأخذا صدقات قومه، ويدفعا إلى البدريين قاتل صاحبهم ، ويوطئا الخيل بلاده حتى يحملاه إليه ، أو يقاتل فيقتل في المعركة .

وقال بعضهم : كان الكتاب إلى عبد الواحد بن سليمان النصري ، فسارا بالناس حتى نزلا فَيْدَاً ، وبعث أمية إلىٰ معدان بن عبيد بن عدي في أداء الصدقة، فبعث إليه وإلى عبد الواحد: إني غير دافع إليكما شيئاً مما تطلبان ، أما الصدقة فإني أحبسها حتى يستقيم أمر الناس ، وأما وضع يدي في أيديكما فذلك ما لا يكون أو أؤسر أو أقتل ، وكتب :

إنّ الفرائض لا فرائض فاصطبر حتىٰ يقوم علىٰ البلاد أمير

فسار أمية وصاحبه في زهاء مائة ألف من أهل المدينة والبوادي من قيس وغيرها ، وفي ألف من أهل الشام بعثهم مروان إلى عبد الواحد إعانة بهم ، وبعث عبد الواحد على مقدمته رجلاً من الضّباب لحنق قيس على طيء واتبعه ، ويقال إنه لم يتبعه ، وعسكروا بالمنتهب وهو من أجأ .

قال معدان : وكنت في اثني عشر ألفاً من بني معن بن عتود بن عتير بن سلامان بن ثعل ، وبني جديلة وغيرهم من طيء فذهب يحيى بن الكروس بن زيد المعقلي منهم بستة آلاف ، لأنه كره القتال ، فبقيتُ في ستة آلاف ، فلما انتهيت إلى عسكر الضبابي واسمه حُزير بن يزيد بن كثيف ، إذا

---

١ ـ الاعراض . ج عرض وهو الناحية . النهاية لابن الأثير .

جبال حديد ، وإذا عسكر القوم لا يرىٰ طرفاه ، فرفعت النار على أجأ ، فاجتمعوا فنحروا الجزر ، وعملوا النبال والنشّاب ، وقالوا : قبح الله أجزع الفريقين من الموت .

قال : فتصافنا فلما رموا بالنبل حملنا عليهم حملة رجل واحد ، فما كان إلا كلاًّ ولا ، حتى قتل الضبابي وانهزم الناس اسوأ هزيمة ، فقتلنا وانتهبنا ، وكان عسكرهم أكبر عسكر رثة[1] ، وأُتيت بأمية أسيراً فخلّيتُ سبيله ، وأتيت بجارية له بعد ذلك فبعثتُ بها إلى المدينة وقلت : لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا علىٰ جريح . قال : ثم قُرِىء علينا بعد ذلك كتاب مروان إليهم يأمرهم فيه إذا نشبت الحرب أن يقتلوا ويسبوا ، ولو علمتُ ما في الكتاب قبل ذلك ما نجا منهم مخبر .

وكتب صاحب المدينة إلى مروان بالخبر فعزم مروان على توجيه عبدة بن رياح الغساني في عشرة آلاف من أهل الشام وقال : أهل المدينة أضعف قوم وأفشله ، والأعراب كذلك ما لم يوتَروا ويَطلبُوا الطوائل ، فبينا هو على لك إذ كتب إليه ابن هبيرة عامله على العراق بقتل ابن ضبارة وإقبال قحطبة فقال : ما شغْلُنا عشرة آلاف بأعراب طيء ، فصرف الجيش نحو العراق ، فلم نُعط الصدقة حتى استقام أمر الناس واستُخلف أبو العباس ، والتجأ إلىٰ معدان يومئذ عبد العزيز بن أبي دُهَيل بن يزيد بن الطفيل بن مالك بن جعفر هرباً من الحرب .

---

١ ـ حمل من المعركة رثيثاً : أي جريحاً وبه رمق . القاموس .

وقتل يوم المنتهب الحُزَيْر ، وسرحان مولىٰ قيس ، ومهلهل أحد بني بدر ، ورجال من فزارة ، وقتل من طيء المَزرّ السنبسي ، وسعيد بن الخليل المعني ، وحرثان بن خالد الفزيري .

وقال معدان في انصراف يحيىٰ بن الكَروَّس عنه فيمن صَرَف معه من طيء كراهة للقتال :

أَلَا ما لمولىٰ لايزال كأنه أَمِيْمٌ يداوي رأسه بالمجارفِ
لعمرك ما المولىٰ بمولىٰ حفيظة إذا لم يُؤَرِّق بالهموم الصوائفِ
فإنْ نحن أعطينا فزارة حقها بغير يمين أو قسامة حَالفِ
فنحن إذاً أولاد قينٍ مُجَنَّبِ الـ ـيدين ضَروبٍ للمُدَىٰ والكثائفِ
وأنتم بنو حرٍّ كريم نِجَارُهُ من السادة الشُّمِّ الحُماةِ الغطارفِ

وقال أُنَيْف بن حكيم بن أنيف أرجوزة أولها :

هل تعرف الدار بصحراء رِيَبْ إذْ أَنْتَ غَيْداق الصّبا جَمُّ الطَّرَب

يقول فيها :

لم أَرَ يوماً مثل يوم المنتهب أكبر دعوىٰ سالبٍ ومُستلبْ
لَمّا توافَتْ ثَمَّ أبناء العربْ حتى إذا الجونة[1] كانت في صَبَبْ
نادىٰ منادي طيءٍ يا لَلْحَسَبْ أين بنو البيض الكريماتِ النُّجُبْ
يا قوم عاداتكم عند الغضب تغمغم الأبطالِ مِن بَعدِ الصَّخَبْ
ضرباً وطعناً بعد رميٍ كاللَّهب تحَرّقُ النار بأطراف القَصَبْ

وقال أنيف في قصيدة له طويلة يقول فيها :

---

١ ـ بهامش الأصل : الجونة : الشمس .

ألا هل أتى أهل المدينة عرضنا خلالاً من المعروف يعرف حالها
علىٰ عاملينا والسيوف مصونة بأغمادها مازايلتها نصالها
عَرَضْنا كتاب الله والحق سنَّةٌ هي النصف ما يخفى علينا اعتدالها
وجئنا إلى فِرتاج[1] سمعاً وطاعة نؤدي زكاة كان حان عقالها
وفي فَيْد صُدِّقْنا وجاءت وفودنا إلى فيد حتى ما تُعَدّ رجالها
فلم نَدْرِ حتىٰ راعنا بكتيبةٍ يَرُوعُ ذوي الألباب والدين خالها[2]
جمعنا لهم من عمرو عوف ومالكٍ كتائب يُردي الظالمين نكالها
ومِنْ دُونِ ما مَنَّىٰ أميةَ نَفْسَهُ غمار حتوفٍ ليس يُرجىٰ زوالها

وكانت امرأة أبي دُهيل وأمه من نبهان فقالت :

أصبحت من طيّىءٍ حتى يقوم لنا أمر الإمام وما أصبحتُ من مُضر
الجَاعِلِيَّ بحمد الله إذ شرعت فيّ الأسنة بين السمع والبصر
والمانعينَ فلا يُسْطاع مامنعوا والمحمدين إذا لم يُحمَد المطر
لقد نهيتُ جريراً وهو في مَهَلٍ وقد أتته ولم يوقن بها النُّذُر

وقال الرمّاح بن ميادة :

لا تحسبوا أنا نسينا بحائلٍ جرير الندى والعسكر المتبددا
ولا تستريثوا أمرنا فكأنكم بِصُمٍّ العوالي فيكم اليوم أو غدا

فرد عليه معدان بن عبيد :

---

١ ـ فرتاج : موضع في بلاد طيء . معجم البلدان .
٢ ـ بهامش الأصل : الخال : الراية ، ويقال ما يخيل منها .

أتوعدنا قيس وإن تَلْقَ جمعنا ... تكن كُشُفا قيس عن الموت حُيَّدَا
فلا تحمد القيسيَّ بالنَّفْج كلما ... رأى السَّلم أو أضحى من الزاد أكبدا
اذا ما رأى الحرب اتقى الحرب بِاسْتِهِ ... وإن أمن القيسيّ غنًى وأنشدا
ونحن أسلنا مُصعداً بطن حائلٍ ... ولم يُرَ واد قبله سال مُصْعِدا
وظلت تُمَنِّيك است ميادة المنى ... لتجمع أمراً فاسداً قد تبددا

وقال أبو دُهَيْل :

وإن امرأً في الحرب معدان خالهُ ... إذا ما اختبا من دونه لمنيع

قال المدائني : كان الناس يقولون : ما خُيِّرَ مروان بين أمرين إلا اختار أحزمهما ، فلما لقي المسَوِّدة جعل لا يختار شيئاً إلاّ كان عليه فيه الضرر والنقص .

قالوا : وكان مروان بخيلاً شديد العقوبة مفرطاً فيها .

وقال بعض الشاميين : قال الحكم بن الوليد بن يزيد ، أو قيلت على لسانه أبيات ، فيها :

ألا فتيانُ من مُضَرٍ فيحموا ... أسارى في الحديد مكبلينا
أيذهب عامر بدمي ومُلْكي ... فلا غَثّاً أصبت ولا سمينا
فإن أهلك أنا ووليّ عهدي ... فمروانٌ أميرُ المؤمنينا

وكان مروان يقول : أنا أطلب الخلافة عن بيعة .

المدائني عن سليمان بن المغيرة : حدثني يزيد بن أسيد قال : كنا في غدير مستنقعين أنا وإسحاق بن مسلم ؛ وعبد العزيز بن محمد بن مروان ، ورجل آخر فبرد الماء على عبد العزيز بن محمد بن مروان فخرج فلم أر خلقاً قطّ أحسن من خلقه ، فتعجبت فقال الرجل الذي معنا : أنا والله وضعته في

رحم أمه ، فقال إسحاق بن مسلم : والله لأخبرنّ أمير المؤمنين ، فأتاه فأخبره فقال : اسَمِعَ هذا معك أحد ؟ قال : سمعه يزيد بن أسيد ، فدعا يزيد فسأله فأخبره فجعل يقرض لحيته غضباً ثم قال : اجعلا لي موثقاً ألا يسمع هذا منكما أحد ، فأعطيناه موثقاً فقال ؛ أراد أن يفسد أخي فكذب عليه وعضهه[1]. وقال: قوما فلا يسمعنّ هذا منكما أحد. وتفقدناه فلم يتغير للرجل في مجلس ولا لسان ولا عطية .

المدائني عن أبي سلمة الغفاري قال : أتيت مروان أطالب بدم فقال لي : إن الوالي وكيل الغائب فإن شئت نازعتك ، وإن شئت كتبت لك إلى عامل المدينة آمره بالنظر فيما تدّعي بحضرة الفقهاء ، فإن ثبت لك حق أخذ لك به ، فقلت : نازعني . فكان ينازعني ويناظرني ، فأمر يوماً بالرحيل فرحل الناس وأبطأ خروجه فقيل له : إن الناس قد ركبوا وقد أبطأت . قال : ويحك قبائي يُخاط فتقٌ فيه رأيته ولا والله ما عندي غيره .

قالوا : وقسم مروان قسماً في قيس ، فقال رجل من بني كلب : إذا كانت القسم ففي القيسية وإذا كان الطعان فللقحطانية ، فضرب مروان عنقه ، فما بقي قيسي ولا قحطاني إلاّ حمده وأثنى عليه ، لأن هذا تحريض منه واستدعاء للعصبية .

المدائني قال : أمر مروان مضمرّاً له أن يوافي بخيله للنصف من المحرّم فيُجريها ، وكان أسود يقال له دعيج وقال :

من كان في شكّ يخادع نفسه فموعده حرّان نصف المحرّم

١ ـ عضهه : كذب ، وسحر ، ونمّ . القاموس .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخوارج في ولاية عبد الله بن عمر العراق ليزيد بن الوليد الناقص إلى آخر أيام مروان بن محمد

أمر بسطام الشيباني في أيام مروان بن محمد :

قال علي بن محمد المدائني وغيره : خرج بسطام الشيباني ، وكان يرى رأي البيهسية ، ويقتل الأطفال ، وكان يقول : أقتلُ المخلوق فألحقه بالخالق .

وكان خروجه في شعبان سنة ست وعشرين ومائة بآذربيجان في ثلاثة عشر فارساً ، فقتل عاملاً لمروان ، ومضى إلى الموصل فقدم الموصل ومعه أربعون فارساً فقاتله يحيى ـ أو سلمة ـ بن الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ببلد فهزمهم بسطام وأقام ببلد أياماً ، ثم أتى باقردى فأقام بها ما شاء الله ، ثم سار إلى ألف فارس من أهل الشام كانوا بين نصيبين ورأس العين ، فبيّتهم فأصاب منهم طرفاً ، ثم أتى نصيبين وفيها المساور بن عقبة فأعطوه الرضا ، ثم أتى بازبدى[1] ثم أتى الموصل فأعطوه

١ ـ بازبدى وباقردى كورتان متقابلتان يفصل بينهما دجلة قرب جزيرة ابن عمر . معجم البلدان .

الرضا ، فنزل الربض الأعلى ، وأقام شهراً وأتته رسل مروان يدعونه إلى طاعته ونصرته فأبى عليهم ، وسار بسطام إل بلد فأقام بها شهراً ، فتركه ناس من أصحابه وأتوا مروان ، فأتى بسطام آذربيجان فلقي اليمان الحميري ، وهو من أصحاب الضحاك ، وقد اعتقد وأراد أن يأتي مروان فقتله بسطام فسرّح إليه عاصم بن يزيد الهلالي وهو على أرمينية وآذربيجان رجلاً يقال له عبد الملك في ستة آلاف، فقتل عبد الملك وهزم أصحابه وقتل منهم بشر، ثم سار بسطام فأتى الحناية من أرض الموصل في يوم سوق فقتل ثمانين رجلاً ، وأقام عشرين يوماً ، ثم أتى شهر زور فلقي عاملاً لمروان يقال له جدار بن قيس فلم يقاتله ، وسار فلقي أكراداً فقتلهم ، ثم سار إلى العراق وأتى المدائن فلقي بالمدائن عاملها غزير بن المتوكل وهو في ألفين فهزمه ، وسرح إليه شجرة بن زهير أحد بني تيم بن شيبان فهزمه بسطام ، فوجه إليه مروان الخيبري فبيّته فقتل بسطام وعامة أصحابه وتفرق بقيتهم . فقال الشاعر :

حَيّا الإله الخيبريّ الذي ... ألحق روح الفاسق المارق
بالنار يصلاها كما أنه ... قد يلحق المخلوق بالخالق

أمر الضحاك بن قيس بن حصين بن عبدالله بن ثعلبة الشيباني

من بني ذهل بن شيبان .

قالوا : بويع الضحاك بن قيس بعد سعيد بن بهدل ، فأراد حين بايعوه أن يأتي الشام فأبى عليه أصحابه ، فوجّه حَبناء بن عصمة الشيباني إلى تكريت فغلب عليها ، ووجّه أبا الدبس أحد بني تيم الله بن شيبان إلى حولايا وأرضها ، ورجلاً آخر إلى الدَّسْكرة فلقي أبو الدبس جُمَيْع بن مقرن وحُرَيث بن أبي الجهم الكلبيين ، فقُتل جميع بن مقرن ، وانهزم حريث حتى أتى المدائن ، ولقي الرجل الآخر الذي وجهه إلى الدسكرة سعيد التنوخي فقتل وانهزم أصحابه ، فوجه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الأصبغ بن ذؤاله ، ويقال ابنه حمزة بن الأصبغ إلى المدائن فقاتل أبا الدبس ، وارتجز الأصبغ فقال :

أَعْدَدْتُ للدبس ورهط الدبس طعناً يُنَسِّيهم سؤال الحمس

وتحاجزوا وجاء حبناء بن عصمة إلى المدائن فلما قدمها حبناء عبر الأصبغ دجلة وقطع الجسر وصار إلى الكوفة .

وأقبل الضحاك من شهر زور في ثلاثة آلاف ويقال في أربعة آلاف

وعلى مقدمته عبيدة بن سوار في أربعمائة فانتهى عبيدة إلى جسر النهروان ، وعليه قائد لأهل الشام في ألفين ، وقد قطع القائد الجسر فشتموا عبيدة وأصحابه ، فقال عبيدة : إنا لم ندع الأموال والأهلين ونحن نبالي ما قلتم فاختاروا واحدة من ثلاث : إما أن تجيبونا إلى أمرنا وتجنحون إلينا ، وإما أن تعقدوا الجسر وتعبروا إلينا ونعطيكم موثقاً ألّا يعرض لأحد منكم حتى تتاموا قبَلنَا فنحاكمكم إلى الله ، أو تعطونا عهداً ـ وما أنتم بثقة ـ ألا تهيجوا أحداً منا حتى يعبر اليكم عشرة فيقاتلونكم ، فإن قتلتموهم عبر إليكم مثلهم حتى تأتوا على آخرنا أو نظفر . فأبوا .

وعقد الضحاك بن قيس الجسر وعبر أصحابه إلى المدائن ، فكتب إليه القعدُ الذين بالكوفة مع أُصْعَر بن عبد الرحمن ، وكتب إليه عاصم بن الحدَثان فسرّه ذلك ، وقال : قد آن لهم أن يكتبوا إليّ، وكان كتاب عاصم مع جميل العجلي :

«أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله الذي ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾[1] فإنه قال : ﴿ولقد وصّينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتّقوا الله﴾[2] . واعلم يا أمير المؤمنين أن لكل عمل عند الله جزاء : إنْ حسناً فحسنٌ ، وإن سيّئاً فعقوبة ، إلا ما عفا الله عنه ، واذكر نعمة الله عليك وعلى المسلمين إذ كثّر كم بعد القلّة وأعزكم بعد الذلّة ، كتبتُ إليك يا أمير المؤمنين وأنا ومن قِبَلي من المسلمين في نعم علينا من الله سابغة ، نسأل الله تمام ذلك بكمال الإسلام والعون والنصر ، وقد وجهت إليك مع حُميد

---

١ ـ سورة غافر ـ الآية : ١٩ .

٢ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٣١ .

عصابة من المسلمين نفروا رغبة في الجهاد ، واعلم يا أمير المؤمنين أنك مسؤول عما استُرعيت ومحاسَب بما كتبت ﴿يوم تجد كل نفس ما عملتْ من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً[1]﴾» .

فكتب إليه الضحاك :

«قد قدم علي حُميد العجلي بكتابك وفهمت ما أمرت به من طاعة الله فنسأل الله أن يجعلنا وإياك ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويسارع إلى الخيرات . وقد قدمتْ العصابة وهم على ما وصفتَ في الرغبة في الخير إن شاء الله ، فجزاهم الله عن أنفسهم وإخوانهم خيراً ما جزى الغازين في سبيله ، ونحن ومن قبلنا من المسلمين على أحسن حال ، نسأل الله أداء شكره والسلام . وكتب بسطام بن المثنى» .

وأقام الضحاك بالمدائن أياماً فكان رجل من أصحابه ينادي في كل صباح : يا خيل الله اركبي وابشري بالجنة ، وكان في أصحابه رجل مريض فإذا سمع النداء قام إلى فرسه فأسرجه . فلما كثر ذلك قال :

ألا ليت شِعري هل أَبيتنّ ليلة بعيداً من اسـم الله والبركاتِ

ثم سار الضحاك من المدائن وقدّم إلى الفرات مسكين بن الحسن المحلّمي ، فلقي على الفرات عبيد الله بن العباس بن يزيد بن الأسود بن سلمة بن حجر بن وهب بن ربيعة بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور ، وهو كندي ، فلما رآه عبيد الله قطع الجسر ورجع إلى الكوفة ، فأراد عبد الله بن عمران أن يوجه إليه الأصبغ بن ذؤالة ليمنعه من العبور ، فقال له

---

١ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ٣٠ .

عبيد الله بن العباس : عبوره أيسر علينا من طلبنا له فدعه فليعبر . فأخذ برأيه .

وسرّح مسكين الخارجي خيلاً فصعدت بالسفن فعقدوا الجسر وعبروا ، وقد خندق أهل الكوفة على أفواه السكك ، فاقتحم مسكين الخندق ثم رجع ، فسار الخوارج إلى النخيلة فنزلوها في سنة تسع وعشرين ومائة ، وابن عمر بن عبد العزيز يومئذ يقاتل النضر بن سعيد الحرشي قبل ذلك أربعة أشهر في العصبية بين أهل اليمن والقيسية : أهل اليمن مع ابن عمر ، والقيسية مع النضر بن سعيد ، فلما نزل الضحاك النخيلة أرسل ابن عمر إلى النضر : إن هذا المارق يريدني ويريدك فهلمّ فلتكن اليدان عليه جميعاً ثم ننظر .

وسفر بينهما العباس بن عبيدالله بن عبدالله بَبَّةَ بن الحارث بن عبدالمطلب ، فأصابه سهم فقتل ، ويقال إنه قتل قبل ذلك ، وكان السفير غيره ، فصاروا جميعاً يداً على الضحاك بن قيس .

قالوا : وأصبحوا غداة أربعاء فساروا إلى الخوارج ، فالتقوا فقتل من الخوارج يومئذ أربعة عشر رجلاً ونِسْوَة ، ثم التقوا من الغد فاشتد الأمر بينهم وجعل رجل من الخوارج يرتجز ويقول :

يا نفسُ مِن طول الحياة ملّي وعيشك المقطّع المولّي
عَلّيَ ألقى عاصماً لعلّي في جنة عالية وظِلٍّ
وبيهسٍ وكهمسِ المصلّي

فحمل عليه عبيدالله بن العباس بن يزيد فحاد عنه الخارجي فقال له عبيدالله : تتمنى الجنة وتحيد ؟ فقال : أحيد لما هو شرٌّ لك يا عدو الله .

وأبلى يومئذ عاصم بن عمر بن عبدالعزيز فلم يعرض له فارس إلا قتله ، فحمل عليه البرذون بن مؤرّق الشيباني فضربه عاصم على رأسه ، وحمل رجل من الخوارج على عاصم فاختلفا ضربتين فقتل عاصم الخارجي ووقعت ضربة الخارجي في رأس عاصم فأثقلته ، وبقي ثابتاً على فرسه ، ونظر اليه البرذون بن مؤرق الشيباني فرماه بنفسه فطعنه فأرداه عن فرسه فسقط ميتاً ، وتناول البرذون عموداً كان على سرجه فإذا عليه مكتوب عاصم بن عمر .

واشتد عليهم الحرّ وهم يقاتلون ، فوضع جعفر أخو عبيدالله بن العباس بن يزيد بيضته عن رأسه يتنفس ويتروّح وهو على شرطة عبدالله بن عمر ، فقال عبدالملك بن علقمة العبدي : إني لأحسب هذا من فراعنتهم ، وحمل عليه فطعنه جعفر في فمه فكسر ثنيته وجرحه في طرف لسانه ، فوحش ابن علقمة برمحه وانتضى سيفه وحمل عليه فضربه على هامته فاعتنق فرسه ، ودعا ابن أخيه وابن عمه : يا هيثم . فأقبل نحوه فعرضه رجل من الخوارج فضربه فَفَلَقَ جبين هيثم ، ثم برأ بعدُ فكان يقال له ذا الوجهين .

واتبع عبدالملك جعفراً فلحقه فعانقه فسقطا الى الأرض فقتله ، وانهزم ابن عمر وأهل الشام ، فانتهى أهل الشام إلى خصّ قد أضجعته الريح فاقتحمه النضر بن سعيد في فوارس فلم يروا منفذاً فقالوا : هلكنا سيحرقونه علينا ، ثم وجدوا منفذاً فخرجوا منه .

ولحق الخوارج هبيرة بن عبدالرحمن بن حسان بن المنذر بن حسان الضبيّ ، وابناً لأبي سماك فقتلوهما ، وجاء الخوارج الخندق فوقفوا ملياً ثم رجعوا الى معسكرهم وحمل الناس قتلاهم ودفن آل الأشعث عاصم بن عمر بن عبدالعزيز في دورهم .

ثم التقوا يوم الجمعة ، ولقيهم الأصبغ بن ذؤالة في عشرة آلاف فهزمهم الخوارج حتى دخلوا حيطان الكوفة ، فلما أمسوا خرج قواد من قواد ابن عمر من اليمانية : منصور بن جمهور ، والأصبغ بن ذوالة ، وخرجت القيسية مع النضر بن سعيد إلى واسط ، وهو يريد أن يغلب عليها ، فأصبح ابن عمر وقد تفرق الناس عنه فحمل الأموال وارتحل فسبقته القيسية إلى واسط ، فأرسل إلى النضر بن شبيب بن مالك الغساني ، وهو عامل ابن عمر على واسط فقال : افتح لنا باب المدينة لتكون أيدينا واحدة ، فأرسل اليه : يا بن السّقاء ، يا بن نسعة ، قد كنت أحسب أن لك عقلاً ، كيف أفتح لك باب المدينة وقد عرفت غدرك . الحق بطريق البريد مقعد أبيك فهو أشبه بك .

وقدم ابن عمر بأثقاله فدخل المدينة ، ومات عامله شبيب بن مالك يوم دخل ابن عمر المدينة فقالت القيسية : لا ندعكم تعبرون به ، فسفروا بينهم حتى أذنوا لهم أن يعبروا بالجنازة قوم لا سلاح عليهم

ودخل الضحاك الكوفة فوجد في دار المختار قوماً من أهل الشام فَمَنَّ عليهم ، ووجد قوماً في دار بلال بن أبي بردة فقاتلوه فقتلهم وأمن الناس .

وبعث أبا الرجال وحبناء بن عصمة وعكرمة فباعوا الغنيمة عند قصر الكوفة ، وذلك في أول يوم من شهر رمضان ، وكان من رأي أصحاب الضحاك أن يستعرضوا أهل الكوفة ، فمنعهم الضحاك ذلك ، فلما دخلوا الكوفة تلقّوهم بالأسوقة ، فقال الضحاك : ألم أخبركم بأن لكم بها إخواناً يكتمون إيمانهم في دار الكفر ، فمر رجل من الخوارج برجل على باب داره وكان عظيم البطن فقال له الخارجي : أصائم أنت ؟ قال : نعم . قال :

ما بطنك ببطن مؤمن ولولا أني أكره أن أفسد سناني بما في بطنك لأخرجته من ظهرك ، وجنح إلى الضحاك عبيدالله بن عباس الكندي .

وقال هشام ابن الكلبي : شهد عُبيدالله الخوارج بالكوفة وهم يقتتلون بين الحيرة والكوفة أيام الضحاك، مع جعفر بن العباس بن يزيد الكندي أخيه ، فقتل جعفر ، وجنح عبيدالله إلى الخوارج فقال أبو عطاء السندي :

ألا يا عبيد الله لو كان جعفر هو الحيّ لم يجنح وأنت قتيل
ولم يتبع المرّاق والثأر فيهم وفي كفّه عضب الذباب صقيل
جنحت وقد أردوا أخاك وأكفروا أباك فماذا بعد ذاك تقول
تركت أخا شيبان يسكب بزّه [1] ونجّاك خَوّار العنان رجيل
فلا وصلْتكَ الرحم من ذي قرابةٍ وطالبِ وتْرٍ والذليل ذليل

فلما أنشده قوله : فماذا بعد ذاك تقول ؟ قال : أقول أعضّك الله ببظر أمك .

وقال رجل من الخوارج :

نحن عبرنا الخندق المقعّرا يوم لقيناكم وجزنا العسكرا
حتى قتلنا عاصماً وجعفرا والفاسق الضبيّ لمّا أدبرا
واليمنيين ومن تنزّرا لا تحسبوا ضرب الشراة سكّرا

وقال عبدالله بن عمر يرثي أخاه عاصماً :

لعمري لقد نادى المنادي فأَسمعا بصوت رفيع حين نادى فأَوجعا
غداة نعى يوم النخيلة عاصماً فأبكى العيون الجامدات وأقطعا

في أبيات .

١ ـ يسكب بزه : يضع سلاحه . انظر القاموس .

وقال خلف بن خليفة يرثي عاصماً :

ألم يك عاصم ذخري فدلّتْ مَنِيَّتُهُ على ذخري المنونا
وكان من المودّة نُصب عيني فأمسىٰ غاب في المتغيّبينا
تقدمَ صابراً وثوىٰ شهيداً فلستُ أَعدُّه في الميّتينا

في أبيات .

وقال ابن الكلبي : كان ابن بيض الشاعر نديماً لعمر بن الغضبان بن القبعثرىٰ الشيباني ، وكان مع عبدالله بن عمر على شرطه ، ثم صار مع عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر حين خرج ، ثم أراد الجنوح إلى الضحاك فجاء حمزة بن بيض الحنفي يستشيره ، والخوارج يومئذٍ بالكوفة فأخبر ابن عمر أنه قد عزم على الخروج معهم ، فقال ابن بيض :

عمر الخير ما ترى يا بن غضبان في الشرا أترى لي نفسي فداؤك من نازل الردىٰ
ترك سردابك المبلّط في طيّب الثرىٰ وشراب مشعشع جيّد ليس يُشترىٰ
من فلان ولا فلان ولكن من القرىٰ وجَوَارٍ بيضُ الوجوه دجوجية الذرَا
أنت خير من أن ترىٰ ذاك يا بن القبعثرىٰ

قال عمر : فلم استشرتني يا فاسق إن كان رأيك هذا ؟

وقال ابن بيحان لابن بيض حين دخل الضحاك الكوفة : لو لقيتَه فأخبرته عن أهل بلدك وقومك فإن لك لساناً وبياناً ، فقال ابن بيض :

ألا لا تلمني يا بن بيحان إنني أخاف على فخّارتي أن تحطما
فلو أنني لو شئت ابتاع مثلها من السوق ما باليت أن أتقدما

قال أبو الكردي : لما غلب الضحاك على الكوفة ولاها ملحان بن معروف الشيباني ، فخرج ابن الحرشي يريد الشام ، فعارضه ملحان فقتله ابن الحرشي وهو النضر بن سعيد .

قالوا : وأقام الضحاك بالكوفة إلى شوال ، ثم استخلف عليها ملحان بن معروف التيمي وعداده في بني شيبان ، وسار إلى واسط ، فلما بلغ النضر بن سعيد الحرشي مسيره شخص يريد مروان بالشام في نحو من ألف من أهل الشام ، ومعه أبو أمية الثقفي ، وعطية البعلي ، وأقام نباته وجماعة من القيسية في الجانب الشرقي ، ووادعوا ابن عمر ، وأعابوه فعرض ملحان بالقادسية للنضر والقيسية فناشدوه الله وقالوا : إنا لا نريد القتال .

وكان مع ملحان قادم الذكواني فقاتلهم فقتل ملحان ، ورجع قادم إلى الكوفة فقال بعض الحرورية :

سقى الله ملحاناً وبيّض وجهه كما جاهد الأحزاب يوم القوادس

ورثاه حبيب بن جدرة ، ورثى عبدالملك بن علقمة فقال :

كابن ملحان فينا من أخي ثقة أو كابن علقمة المستشهد الشاري
من صادق كنت أصفيه مخالصتي فباع داراً بأغلى صفقة الدار
إخوان صدق أرجّيهم وأخذلهم أشكو إلى الله خذلاني لأنصاري

فلما قدم الضحاك حصر ابن عمر ، فقال ابن عمر لكاتبه الربيع بن سليمان : اعرض الناس فعرضهم فكانوا ثمانية آلاف فقال : ما هؤلاء بشيء فما الرأي ؟ قال : إن بواسط خلقاً لا يلقاك الضحاك بمثلهم . قال : فاعرض فعرض لعشرة آلاف .

وقاتل الضحاك فكان نباتة يوجه ابنه محمد بن نباتة في القيسية فيقاتلون الضحاك ومعهم اسماعيل بن عبدالله البجلي في قوم من اليمانية ، ثم يرجعون إلى المدينة الشرقية بواسط ، ثم تركهم اسماعيل وشخص إلى البصرة .

وكتب نباتة إلى مروان بذلك فكتب إليه مروان كتاباً لطيفاً أمره فيه

بالاستقامة على منهاجه ، والمداومة على أمره ، وندم اسماعيل على ما كان منه فقاتلهم الضحاك ستة أشهر ويقال سنة على باب المضمار ، وباب الزاب ، وكان يلي قتال الخوارج منصور بن جمهور ، ولم تكن القيسية بمناصحة لابن عمر فقتل منصور يوماً رجلاً من عُبَّاد الخوارج في المعركة يقال له عكرمة ، وجُرح منصور جراحة خفيفة ، فأمر له ابن عمر بثلاثين ألفاً .

ثم قاتلهم منصور على باب الزاب ، فاستعلىٰ الخوارج ، وأكثروا القتل في اليمانية ، وقتل من الخوارج عبدالملك بن علقمة العبدي ، طعنه منصور فقتله ، وحملت عليه أم العشنزر فأخذت بلجام دابته وضربته ضربة خفيفة ، وضربها منصور ضربة شديدة ، وقتل أبي جحشنة أخي الضحاك .

ودنا الخوارج من المدينة فأمر ابن عمر بدوابّ [1] مقاريف فأُلبستْ المشاقة [2] ، ثم أشعل فيها النار وأُرسلت في عسكر الخوارج فذعرتهم وأحرقت فساطيطهم وأخبيتهم ، ولم تمر بشيء إلا أحرقته ، فتركوا خيولهم وتركوا عسكرهم ، ونزلوا على أربعة فراسخ منه ، ثم تدانوا فصاروا من ابن عمر على فرسخ أو فرسخين ، وخرج منصور بن جمهور فقاتله الخيبري وأصحابه على باب البصريين أشد قتال حتى تعانقوا ، وقتل عبدالحميد الكلبي وهو ابن عم منصور ، وقاتل ابن عمر الضحاك من ناحية باب الزاب ، ثم تحاجزوا ، فقال منصور لابن عمر : ما قاتلت مثل هؤلاء القوم عرباً ولا عجماً . فقال ابن عمر : الرأي أن نعطيهم الرضا ونضرب بهم

١ ـ المقرف من الفرس وغيره : ما يداني الهجنة ، أي أمه عربية لا أبوه ، لأن الاقراف من قبل الفحل والهجنة من قبل الأم . القاموس .

٢ ـ المشاقة : ما سقط من الشعر أو الكتان عند المشط . القاموس .

مروان . فأجمع ابن عمر على مصالحتهم ، وبعث رسلاً إلى الضحاك فدخلوا إليه وهو يتعشى فدعاهم إلى العشاء فأبوا فقال : إنه عدس طيب وخلّ وزيت ، فكلّموه وسفروا بينه وبين ابن عمر فاصطلحا على أن يسير الضحاك إلى مروان فإن قُتل الضحاك فليس لأحد في عنق ابن عمر بيعة، وإن قُتل مروان صار ابن عمر مع الضحاك . فقال الضحاك : لا بدّ من أن ألتقي وابن عمر . فالتقيا مع هذا فوارس ، ومع هذا مثلهم ، وكان سليمان بن هشام خرج على مروان فلقيه فأوقع به وحوى عسكره ، وكانت وقعته بخُساف أو قربها فصار إلى العراق ومعه قوم من أهل بيته ، وكان سليمان خليفة ابراهيم بن الوليد على عسكره ، ثم صار مع مروان فأكرمه ثم خرج عليه وحاربه فبايع سليمان بن هشام ، وأبان بن معاوية بن هشام ، وداود بن سليمان بن عبدالملك الضحاك ، وكان الذي تولى أخذ البيعة للضحاك عبيدة بن سوار .

قالت أم العشنزر لمنصور : قطع الله يدك إذ لم تدخل النار على يدي ، وأُرزق الشهادة على يدك .

وبايع ابن عمر اليمانية وأبت القيسية أن تبايع ، ومضوا إلى الشام : ابن نباته وأصحابه ، واستعمل الضحاك على الكوفة المثنى بن عمران العائذي ، من عائذة قريش .

وقال شبيل بن عزرة :

ألم تــر أن الله أنــزل نصره وصلّت قريش خلف بكر بن وائل

ولم يكن شُبيل يرى رأي الخوارج ، ولكنه قال هذا بالتقيّة ، بلغ الضحاك عنه شيء فخافه . وقال شبيل بن عزرة :

حمدنا الله ذا النعماء أنا نُحكّم ظاهرين ولا نبالي
برغم الحاسدين لنا وكنّا نُسِرّ الدين في الحجج الخوالي
مخافة كل جبار عنيدٍ غشوم من جبابرة الرجال
ندين بدين ضحاك بن قيسٍ ومسكين ودين أبي بلال
ومروان الضعيف وخيبريٍ أولئك منتهى النفر النبال

قالوا : فأقام الضحاك بواسط إلى شهر ربيع الآخر ، ثم سار إلى المدائن ، فقدم عليه عذار بن بيهس السدوسي في وفد من خراسان ، فجمع لهم من أصحابه شيئاً وصلهم به .

قالوا : وكان مروان متشاغلاً بأهل حمص ، وكان معه رجال من البيهسية من أصحاب بسطام ، منهم عثعث التغلبي وابن عم له ، فقالا لمروان : اندب معنا قوماً إلى الضحاك ، فندب خمسة آلاف فيهم الدبّ القيسي ومروان بن البختري القرشي .

وبلغ الضحاك مسيرهم فوجّه الخيبري والحسن بن منصور في خيل ، وكان القطران بن أكيمة على الموصل ، فنهى البيهسية من أصحاب مروان عن قتال أصحاب الضحاك ، فلم يقبلوا وأوقعوا بالبيهسية وأسر الدب فمنّ عليه الضحاك .

وأتى الحسن بن منصور قطران ، فقاتله قطران ، ويقال بل قتل الحسن القطران ، وكتب مروان إلى ابنه عبدالله ، وهو على معونة الجزيرة يأمره بنزول نصيبين ، وكتب مروان إلى الضحاك كتاباً يقول فيه : «قد كان لك في نفسك شغل بإصلاح فسادها عن سفك الدماء» ، فأجابه الضحاك بكتاب يقول فيه : «إن أعظم الشغل وأولاه بالإيثار أداء ما فرض الله من جهاد الكفار والمنافقين» .

وتكاتبا مرات ، وسار الضحاك وعلى مقدمته مسكين اليشكري وأتى نصيبين فحصر عبد الله بن مروان ، وبث خيوله في أرض الجزيرة فضج أهل الجزيرة إلى مروان ، فقال إسحاق بن مسلم العقيلي لمروان : إن الخوارج قد انتشروا بأرض الجزيرة وأحرقوا واستعرضوا وأنا خائف أن يرفض من معك مراكزهم ويلحقوا بحرمهم وأنت مقيم على هؤلاء .

فقال مروان : لو أحاطت الأعداء كلها بي ما برحتُ أو أفتح حمص أو أُقتل .

وكتب مروان إلى ابنه عبد الله أن اكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فليأتك ، وابن هبيرة يومئذ بنهرسعيد[1] قد وقفه مروان هناك ، فكتب إليه : لا حاجة بنا إلى ابن هبيرة لأنا لا نأمن أن يكرّ الناس إلى ما قبلنا فيغلو السعر ، وفيمن قبلنا كفاية ولْيَسِرْ ابن هبيرة إلى العراق فإنها شاغرة وقد خرج عنها الضحاك .

فأعجب مروان ذلك من رأي ابنه عبد الله وقال: بأبي أنت وأمي . فكتب إلى ابن هبيرة أن يسير إلى العراق ، ونصب مروان المجانيق على حمص حتى طلبوا الأمان ، فأمن الناس غير سعيد بن هشام والسّمط بن ثابت ، ورجل من بني سليم ، ورجل يهودي ، وهدم حائط المدينة فقال بعض الحمصيين .

يا حمص ويحك لا تجزعي قصّصك الجعديّ سكنينه

وارتحل مروان يريد الضحاك ، فنزل بحران بباب التبن ، وكتب إلى معاوية بن يزيد بن حصين بن نمير السكوني بحمص ، وإلى زامل بن عمرو

١ ـ نهر سعيد نهر دون الرقة من ديار مضر . معجم البلدان .

بدمشق ، وإلى ثعلبة بن سلامة بالأردن ، وإلى الرّماحس بن عبد العزيز الكناني بفلسطين أن يوجهوا إليه فرسان أهل الشام .

ونزل مروان كفرتوثا وقال : ما صنع أحد ما صنع عبد الله بن عمر ، ضربني بعشرين ألف سيف واتكأ بواسط ، إنه لأدهى العرب .

وقال أصحاب الضحاك له : قد اجتمع لك ما لم يجتمع لرجل على رأيك منذ اختلف الناس ، فلا تباشر القتال بنفسك ، ووجّه الخيل وكن ردءاً للمسلمين تمدهم إن أرادوا المدد . فقال : مالي في الحياة أرب ، وقد أعطيت الله عهداً إن ضَمَّني وهذا الجبار معسكر لا أدع جهداً ، فقاتله ثلاثة أيام ، ومع الضحاك سليمان بن هشام في ذكوانيته ، ومن انضم إليه من أهل الشام ، ورفاعه بن ثابت ، وعصمة بن المقشعرّ الكلبي ، فالتقوا ووقف الخوارج على تل فأزالهم أهل الشام عنه ، ووقفوا عليه فقاتلهم الخيبري ، فأزال أهل الشام عن التل ووقف عليه سليمان بن هشام في الذكوانية ، فكره مروان موقفه وقال : يتعلم غلمان بني أمية على الطعان ، وانصرف إلى عسكره ، ورجع الخوارج مسرورين ، فلما أصبحوا قال الضحاك : أما منكم أحد يشتاق إلى الجنة ويحب لقاء ربه ؟ . وأنشدهم شعراً قيل فيمن مضى من الخوارج ، وبكى فاقتتلوا طويلاً والخيبري يقول :

أَيْهِنْ بني شيبان طعناً تَتْرَى طعناً يرى منه القنا مُحْمَرًّا
يترك ذا الضَّغْن به مزْوَرّا يـركب ردعـا للردى مقـرّا
فلعنة الله على من فَرَّا[1]

وباشر مروان القتال وهو يقول :

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٢٢ .

أربعة تحمل شيخاً رائعاً مجرّباً قد شاهد الوقائعا
قد صادفت شيبان مُلْكاً ضائعا

ويروى : سُمّاً ناقعا .

وأصابت الضحاك جراحة ، فقال : ليس كل من طلب الشهادة رُزقها .

وتحاجزوا وخرجوا في اليوم الثالث وخرج الضحاك وقال : لا أرجع اليوم إلا أن يأبى ربي ، ولستُ أملك إلاّ فرسي وسلاحي ، وعليّ سبعة دراهم منها ثلاثة في كميّ فاقضوها عني وقال : ليس أمير القوم بالخَبِّ الخَدِعْ ، ثم ترجل وقال : إن قُتلت فليصلّ بكم شيبان بن سلمة ، ويقاتل عدوكم الخيبري ، ولم يعهد إلى أحد .

والتقوا نصف النهار وصبروا وصبر أهل الشام فكثرت بينهم القتلى ، وهزمت الميمنة التي لمروان ميسرةالضحاك ، واقتتلوا حتى أمسوا ، وقتل من الخوارج خلق ، وقتل الضحاك عند المساء ولم يعلم مروان بقتله فلما كان في الليل جاء مروان رجل من عسكر الضحاك فأخبره بقتله ، فأرسل مروان من طلبه في القتلى فوجده وبوجهه ضربات فاحتزّ رأسه وأتى به مروان .

قالوا : فقال الخيبري لشيبان : يا أبا الذلفاء ولّني قتال القوم ، فإذا قُتلت فالمسلمون على رأيهم . قال : نعم . فلم يقاتلهم ثلاثة أيام ، وخرج في اليوم الرابع فحضّ الناس ثم لقيهم وعلى ميمنة مروان ابنه عبد الله ، وعلى ميسرته إسحاق بن مسلم ، فانهزم يومئذ مروان وضربه رجل ضربة قطعت حمائل سيفه ، وضربه مروان فقطع يده .

ويقال إنه قاتله في صبيحة الليلة التي قتل فيها الضحاك وكان يرتجز :

إن تـكُ مروانُ فإني الخيبري أضرب بالسيف على حكْم النبيّ
سابغة درعي حصين مغفري[١]

وهاجت ضبابة شديدة فلم يبصر بعضهم بعضاً ، ودخل الخيبري عسكر مروان ، وانجلت الضبابة وليس مروان في العسكر ، وظن الخيبري أن مروان قد قتل ، واعترض العسكر جماعة من أصحابه فقاتل ومعه أبو كيلة وهو يقول :

قد فَرَّ مروان عن الرفـاقْ نجّاه منـا أعـوجـيّ بـاقْ
يظلّ يُمْرِيهِ بعظم الساقْ[٢]

ونادى سليمان بن مسروح البربري مولى محمد بن مروان ـ وكان في حرس مروان ـ: كل عبد جاءنا فهو حرّ . فاجتمع إليه من العبيد والموالي وغيرهم خلق ، فقتل الخيبري ، دخلوا عليه وهو على فرش مروان فضربوه بالعمد .

وبُشّر مروان بمقتله ، وخرج مروان إلى الناس . وبايعت الخوارج يعقوب التغلبي فقتل ، فبايعوا مسكين اليشكري فقتل ، فبايعوا شيبان ، ويقال إنهم بايعوا شيبان حين قتل الضحاك فكان شيبان الذي ولّى الخيبري القتال .

وقال الشاعر في قتل الضحاك والخيبري ويعقوب :

هُـم ضربوا الجنود بِكَفْرِ تُوثا وهُمْ نزلوا وقد كُرِهَ الزُّحامُ
سقى بلداً تَضَمَّنَ خيـبريـاً ومسكينـاً ويعقـوب الغمـامُ

١ ديوان شعر الخوارج ص ٢٢٣ .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٢٣ .

هُمُ ضَربوا على فرع المنايا ولم يُفزِعْهُمُ الجيشُ اللهامُ[١]

وكان عبد الله بن عمر وجّه أبا الرمح بن عمر ، فأخبره الخبر . وقالت امرأة من الخوارج ترثي أخاها :

مَنْ لِعَينٍ رَيًّا مِن الدمع عَبْرَى ولنفس من المصائب حَرَّى
أفسدتْ عيشنا صروف الليالي ووقاع من الكتائب تَتْرَى
كلما سُكِّنَتْ حرارةُ وَجْدٍ مِن فقيدٍ منا شُجِينا بأُخرى

في أبيات . وقالت أيضاً :

يا عين جودي بالدموع وابكي بجهد المستطيع
يا موتُ ويحكَ ما تَزَا لُ مفرقاً بين الجميع[٢]
أبكي وما يُغْني التلهـ ـفُ والبكاءُ عن الجَزُوع

وقال حبيب بن خَدْرَة مولى بني هلال وقد صار بعد منهم .

إبكي الذين تبوأوا الغُرَفَ الـ ـعُلَى فَجَرَتْ لهم مِن تحتها الأنهارُ
أبكي لنفسي لالَهُمْ أبكيـ ـهُمَ لاصَبْرَ حيث تَعارفُ الأبرارَ[٣]

في أبيات وقد قيل فيهم شعر كثير .

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٣٦ ، وكفرتوثا قرية كبيرة من أعمال الجزيرة بين دارا ورأس عين .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٢٥ .
٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٣٠ .

أمر شيبان بن سَلَمَةَ الأكبر الشيباني

قال أبو الحسن المدائني وغيره : لما قُتل الخيبري غادىٰ شيبان أهل الشام فقاتلهم حتى انتصف النهار ، ثم رجع بعضهم عن بعض فافترق الخوارج ، فأتتْ فرقة منهم الجزيرة ، وفرقة العراق ، وأقام الباقون مع شيبان فقاتلهم مروان فانتصفوا ، ثم تحاجزوا ، فارتحل شيبان إلى الزابين ، وسليمان بن هشام معه ، فخندق شيبان وأتاهم مروان فخندق فقاتلهم عشرة أشهر ، ويقال تسعة أشهر ، ومروان في ثلاثين ألفاً ، وشيبان في خمسة آلاف فأوسعهم شراً وهزموا مروان في تلك الأشهر نيفاً وسبعين مرة ، وظفر يزيد بن عمر بن هبيرة بالجون بن كلاب بواسط لما توجه من نهر سعيد والياً على العراق ، وكان الجون بن كلاب الشيباني ـ وهو الثبت ، بعضهم يقول ابن النعمان ـ نازلاً بالسن[1] رتبه الضحَّاك بها ليمده بالطعام والعلف ، فكتب مروان إلى ابن هبيرة يستمده وهو بواسط فأمده بعبيدالله بن العباس بن يزيد الكندي في أربعة آلاف ، ثم بعامر بن ضبارة في ستة آلاف ، فأخذ عبيدالله بن العباس في شرقي دجلة فوجه إليه شيبان ابن السحاج الأزدي

١ ـ السن مدينة على دجلة فوق تكريت . معجم البلدان .

فواقعه فانهزم عبيدالله ورجع إلى ابن هبيرة ، فضم أصحابه إلى عامر بن ضبارة فأتى ضبارة السن فقاتله الجون بن كلاب الشيباني ، وخندق ابن ضبارة وقاتل الجون شهراً وجعل الخوارج يرتجزون :

نحن الشراة لا شراة غزّة ولا شراة الكوفة المبتزّة

غزة بعين التمر . ويقولون :

نحن بنو شيبان أهل الجنّة نقتلكم على هدىً لا ظِنّه

وأمد مروان ابن ضبارة بمصعب بن الصحصح في ألفين ، فقتل الجون ، وقدم فَلّه على شيبان ، وقوي مروان ، وقطع ابن ضبارة عن شيبان المادة من العراق ، وقطع مروان عنهم مادة الشام فضاق الخوارج حتى صار الرغيف في عسكرهم بدرهم .

وخاف شيبان أن يأتيه ابن ضبارة من خلفه فحضّ مروان أصحابه وخرج إليهم في يوم أربعاء فواقعهم ، ثم أجمع على أن يغاديهم في يوم الخميس ، وكان مع مروان رجل يرىٰ رأي الخوارج ، فكتب إلى شيبان إن القوم مصبحوك فاحذر واستعد ، ففعل .

وزحف إليهم مروان في كراديس فشدوا على الحسن بن منصور اليشكري ، وهو في ميمنة شيبان ، أو في ميسرته فأزالوه ، وقوّاه شيبان بمدد فرجع إلى موقعه ، وكشفت الخوارج خيل مروان وداست رجالته ، وأكثر الخوارج فيهم القتل وصاروا إلى قصر مروان الذي في خندقه ، فقال حبيب بن خدرة :

فلَمْ أُنْسَهُمْ يوم الخميس وكَرَّهُمْ عليه ويوم القصر إذ حُرِسَ القَصْرُ

ودفعُهُمُ الجعديّ إذ يطردونه وأدركه التحكيم والقضبُ السُّمْرُ

في أبيات .

وقال سليمان بن هشام ، ويقال بل نُحِلَهَا :

وسرتُ مع الضحاك لما تخاذلتْ معاشر أهل الشام شر المعاشر
جزىٰ الله عنا الحيّ بكر بن وائل وتغلب خيراً من محام وناصر
هم صبروا يوم الخميس وقد شفوا غليل النفوس من سليم وعامر
غداة غدا مروان في عارض له تحرد علينا حَرد أبلج قادر
سمونا له منا بجمع معاودٍ قراع الأعادي واقتصاص العساكر
وفـرَّ وفرَّتْ خيله مُبـذعـرَّةً وطار به قلب له غير صابر

وقال كهمس بن عثمان الرفاعي من بني يشكر لشيبان :

وليت المسلمـين بكَفْر تـوثا علىٰ حالٍ يزلّ به القيام[1]

في أبيات . وقال رجل من الخوارج :

قد علمتْ خيلُك يا بن الصحصحْ بـالـزابيـينِ والعيـون تلمَـحْ
إنا إذا صيح بنا لا نبرحْ إن الحديد بـالحديـد يُفلحْ
لن نبرح الموصل حتى تُفتحْ[2]

وقتل الحباب بن عمير بن الحباب ، وقتل شقيق الغنوي فقال بعض الخوارج :

قد علمتْ خيلك يا شقيق أنك من سُكرك لا تُفيق[3]

وقتل على لواء مروان سبعة عشر رجلاً ، وقال شيبان : قد ترون

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٤١ .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٤٣ .
٣ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٤٤ .

ما نحن فيه من الضيق وقد رأيت أن نأتي بلداً يتسع لكم به المعاش ، فمن أراد الجهاد فليمض معي ، فصبر معه قوم وتفرقت جماعة من الأعراب فلحقوا بأهاليهم ، فأتى آذربيجان في أهل البصائر ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك ، والمعَمَّر بن شعبة ، وكان ذا بصيرة فيهم ، وانصرف مروان عن الموصل وولاها عثمان بن عبد الأعلىٰ بن سراقة الأزدي ، وهو الثبت ، ويقال زهير بن الأصم .

وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يعلمه خبر الخوارج ، وأن طريقهم عليه ، ويأمره بطلبهم وتوجيه الجنود إليهم .

قالوا : ووجّه مروان لطلب شيبان أبو سلمة مصعب بن الصحصح الأسدي في ألف ، وشقيقاً السلمي في ألف ، وصالح بن حبيب في ألف ، وعطيف بن بشر السلمي في ألف ، وعليهم جميعاً عبدالله بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ، ووجه ابن هبيرة إليهم خيلاً .

وأتى شيبان العراق منصرفاًمن آذربيجان فنزل المدائن ، فقال له المعمّر بن شعبة : حتى متى هذا الروغان ؟ فقال شيبان : إن في مطاولتهم غيظاً لهم ووهَناً عليهم ، وخالف المعمر في بعض الأحكام ففارقه وصار مع المعمر عامة أصحاب شيبان . وقال المعمر :

رأيتُ اليشكري بنا فَروراً فرار العَوْدِ لَجَّ به النداد[1]

وأتى شيبان الأهواز ومعه سليمان بن هشام ومنصور بن جمهور ، ثم أتى فارس ومنصور معه فكانا مع عبدالله بن معاوية ، وندم المعمّر على فراق شيبان ، وقال لأصحابه : قد وليته فتولوه فقد صدق ما كان قال .

١ ـ العود : الجمل المسن ، والنداد : الهرب . ديوان شعر الخوارج ص ٢٤٢ .

ولقي المعمر عامر بن ضبارة فقاتله ، فأصابت معمراً جراحات مات منها ، وتفرق أصحاب ابن معاوية عنه ، فمضى إلى هراة ، ومضى سليمان إلى عُمان، ومنصور بن جمهور إلى السند، وتوجه شيبان إلى جزيرة ابن كاوان[1] فأقام بها حتى قدم عليه المسيح بن الحواري من قبل أبي العباس فقاتله فانهزم أصحاب المسيح والمسيح ، وأتى شيبان عُمان فكره الجُلَنْدَي بن مسعود قدومه وقال : تركت مُهَاجر الضحاك وجئت إلينا ؟ فقال : يا أهل عُمان ما تكرهون مني ؟ أما والله لئن ركبتُ المزنوق وشددتُ عليكم لأكثرنّ فيكم القتل ، فنافره الجلندي فقاتلهم حتى قتل .

وكان يزيد بن سالم الجحدري قال له : هذا الليل فلا تقاتل . فأبىٰ وقاتل ورُمِيَ ، وأمسكوا عن القتال فوُجد ميتاً . وقيل طعنه رجل في عينه ، ثم جاءه سهم فمات في موضعه ، واحتزّ رأسه رجل فنظر إليه يزيد بن سالم فقال : ثكلتك أمك ، أتدري أيّ رأس تحتزّ ؟

وكان سليمان بن هشام قد تزوج ابنة شيبان فلما قتل شيبان رجع سليمان إلى البصرة ، ثم تزوج امرأة بالكوفة واستؤمن له أبو العباس فأمنه ، ثم أنه قتل بعد ذلك .

المدائني قال : قال بشر بن محدوج : قد متُ من عُمان وشيبان بجزيرة ابن كاوان ، فأُخذت فأُتي بي شيبان فإذا رجل أهتم طويل على رأسه رجل يُظِلّه ، ثم قال : ما فعل الشيخ الأزدي ؟ - يعني الجُلَنْدى بن مسعود - قلت : على ما تحبّ في سمعه وطاعته . فتبسّم ثم قال : لئن بقيت له لأُلْقِيَنَّهُ بفتيةٍ يقولون اللهم لا ترجعنا إلى أهلينا .

---

١ - ويقال لها جزيرة بني كان ، وجزيرة لافت ، بين عُمان والبحرين . معجم البلدان .

خبر يزيد بن عمر بن هبيرة والخوارج حين قدم العراق

قال أبو الحسن المدائني وغيره : كان الضحاك ولى الكوفة سَعْدَاً الخصي ، وإنما قيل له الخصي لأنه كان أَثَطّ[1] وهو من الأزد ثم عزله وولىٰ الكوفة المثنىٰ بن عمران العائذي من قريش وكان خارجياً .

ووجه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة في ستين ألفاً وأمره أن ينزل نهر سعيد ، ثم إنه أمره بإتيان العراق وولاه إياه .

وبلغ الضحاك ذلك فوجه الضحاك عبيدة بن سوار إلى الكوفة والياً عليها ومعه منصور بن جمهور وغيره ، وقال قوم : وجهه إلى العراق بعد قتل الضحاك ، فبلغ عبيدة مسيره إلى العراق فسرح إليه المثنى بن عمران ومنصور بن جمهور ومطاعن بن مطيع الأزدي وجحشنة العجلي ، فقاتلوه بالأنبار وعليهم منصور بن جمهور ، فهزمهم ابن هبيرة ، وقتل المثنىٰ بن عمران ، وقال قوم : لم يقاتلهم بالأنبار ولكنه نزل الأنبار ، ثم مضى إلى عين التمر فعارضه منصور ، فالتقوا فقتل المثنىٰ وانهزم منصور وأصحابه فدخلوا

١ـ الأثط : القليل شعر اللحية والحاجبين . القاموس .

الكوفة ، فجمع منصور جمعاً من اليمانية ، ثم خرج إلى ابن هبيرة فالتقوا بالروحاء فقتل البرذون من مورق وانهزم منصور فدخل الكوفة ، ثم خرج من ليلته فأتى عبيدة بن سوار وهو بالبصرة وأقام ابن هبيرة أياماً ثم أقبل يريد الكوفة ، فلقيه نصر بن فراس عامل عبيدة فقُتل نصر ، قتله أبو عثمان صاحب ابن هبيرة وانهزم أصحاب نصر ، وظهر ابن هبيرة على الكوفة وأقام بالنخيلة أياماً فبلغه أن عبيدة يريد أن يسير إليه ، فشخص من النخيلة وولى الكوفة رجلاً ومضى يريد عبيدة ، ووجه عبيدة مطاعن بن مطيع ، فوجه إليه يزيد بن عمر بن هبيرة عطية التغلبي فالتقوا على قناطر السيب ، فقتل مطاعن وابنه مجاهد ، وقام بأمر عسكر مطاعن رجل يقال له شيبان بن عبد العزيز الصغير ، فقاتل عطية شهراً وأتاهم عبيدة ، واحتفر ابن هبيرة خندقاً بين عسكر عبيدة وشيبان هذا ، وأظهر أنه يتحول إليه فغلبه عبيدة وشيبان على ذلك الخندق فنزلاه ، وعقدا جسراً على الصراة .

وعزم ابن هبيرة على تبييتهم فلما صار إليهم وجدهم نياماً ، فكبّر أهل الشام فثار الخوارج إليهم وهم يحكّمون ، وجعل أهل الشام يحكّمون أيضاً . وقتل بعض الناس بعضاً ثم اقتتلوا أياماً فقال عبيدة لأصحابه : حتى متى نحن كذا قبّح الله العيش بعد مطاعن ، فقال له منصور : أذكرك الله في نفسك . فلم ينته وخرج هو وأصحابه ، وعقر أصحاب عبيدة دوابهم ولم يعقر عبيدة فرسه ثم اقتتلوا وعلى ميمنة ابن هبيرة ابنه داود بن يزيد ، على الميسرة نباتة بن حنظلة ، فلقي أهل الشام منهم شراً حتى كادوا يستعلون ، وعبيدة على تل قد وقف على فرس له .

وقال داود بن يزيد لنباتة : يا أبا المقدام تأخر لي قليلاً أحمل عليهم .

فقال له : يا بن أخي أن الرجوع بعد التقدم قبيح بمثلي ، فتقدم داود فحملوا عليه فولّىٰ ، فأرسل ابن هبيرة إلى خالد بن الغزيل : إضرب داود ثلاثة أسواط فقنعه ، ودنا نباتة من التل فانحدر عبيدة عن التل ونزل عن فرسه فغار الفرس ، فلما رأوا الفرس غائراً اضطرب الناس فقاتلوا قليلاً ثم جالوا فقتل عبيدة وقتل جحشنة العجلي ، وانهزم فَلّ الخوارج نحو الكوفة ، وهرب أبو طالب الحنفي نحو البصرة ، وقدم ابن هبيرة وهرب منصور بن جمهور فأتى المدائن فنزل على عون بن عتاب الجرمي ، فأودعه جارية له ، وأودع حميداً الأزرق مالاً ، وأقام بالمدائن حتى قدم شيبان الأصغر المدائن ، ثم رجع معه إلى فارس ، ثم أتى منصور السند فغلب عليها ، ثم هلك بها .

وقال غيلان :

لقد جلبتَ الخيل من مغارها ... من غُوطة الشام وأقصىٰ دارها
في لجب أرعن من جرارها ... لا يعرف البلق من اعتكارها
كـأنها الرايـات في أقمارهـا ... عقبانُ دَجْن الظل في أقطارها
حتى بعثت الخيل من مغارها ... إلى الصراة وإلىٰ أنبـارهـا
لشيخ شيبان وأصـل دارها ... ولصّها الداعي إلى بـوارها

في أبيات . وقال أيضاً :

يـا صاحبي ابشر بمـا مُنِّيتا ... مـن ملك لخـيره دُعـيتـا
تريد يـابن الأربعين صيتـا ... في بيت مجد تجمع الشّتيتا
سُمّيْتَ بـالزائـد إذ سُمّيتـا ... رآك مـروان إذ انتضـيتـا
أهـلاً لمـا وُلّيت إذ وُلّيتـا ... نقـاوة كنت لمـا انتقيتـا
أبليت إحسـانـا فـما نسيتـا ... إذ جئت بـالصراة مستميتا

جند ابن جمهور بهم أُغريتا إذا خَبَتْ نارهم حُميتا
حتى ثُنوا قسراً وما ثُنيتا يقول من مَرَّ به خُزيتا
إن كنت عطشاناً فقد رُويْتَا

وكان منصور وقع في الماء ثم أخرج وقال غيلان :

لما رأيت الملحدين أسرفوا وقادهم للحين دين أحنف
رميتهم بذي دهاء تزحف قواعد الأرض له وترجف
عَمْراً أصابوا والمثنى أتلفوا وأم كردوس نساها ينطف[1]
ويوم روحاء العذيب ذفَّفوا[2] على ابن موروق فأضحى ينزف
وهرب المجدول ركضاً يزحف

يعني منصور بن جمهور . وأم كردوس امرأة عبيدة .

وقال مسلم حاجب ابن هبيرة .

ألا هل أتى قيساً وخندف وقعنا بأكناف عين التمر في حمير الحربِ
قتلنا بها عمرو النفاق بكفره وأُبْنَا بأسرى من تنوخ ومن كلبِ
وبالجسر أردينا المثنى وجمعه على حنقٍ والخيل تجري على لجبِ
أَذَقْنَا ابنَ سوّارٍ عبيدة حتفه وألحقنَ منصوراً بمنقطع التُّرْبِ

وقال رجل من غَطَفان :

إذا لواء أبي عثمان صَبَّحَهُمْ ظنوا بأنّ المنايا تسبق القَدَرَا
لاقوا لدى الحرب آجالاً مُعَجَّلَةً وبالنخيلة ضرباً يجتلي القَصَرا[3]

١ ـ النسا : عرق من الورك إلى الكعب . ونطف الماء : سال . القاموس .
٢ ـ أي أجهزوا .
٣ ـ أي يزيل الأعناق .

أمر شيبان الصغير بن عبد العزيز

ومضى شيبان إلى فارس فسار إليه عامر بن ضبارة لكتاب يزيد بن عمر بن هبيرة إليه في محاربته ومواقعته بأقاصي فارس ، ثم صار شيبان إلى جيرفت من كرمان ففضّ عسكره ، فهرب شيبان إلى سجستان ، ثم صار من سجستان إلى خراسان ، فكتب إليه جُديع بن علي ـ ويقال ابن سعيد ـ الأزدي وسعيد أثبت ، وهو المعروف بابن الكرماني ، وقد خالف على نصر بن سيار وخلع مروان · «إنك ونحن خالعون لمروان ، فسر إليّ لنجتمع على محاربة أوليائه أولياء الشياطين» . فصار إليه فكانا يحاربان نصر بن سيار ، وأظهر أبو مسلم الميل إلى ابن الكرماني ، وبعث إلى نصر بن سيار وإلى ابن الكرماني وشيبان : «إني رجل أدعو إلى الرضا من آل محمد ، ولست أعرض لكم ، ولا أعين منكم أحداً على صاحبه» .

وقوي أمر أبي مسلم ، فوجه إلى ابن الكرماني ـ وقد كان آنسه حتى اغترّ به ـ من أتاه به فحبسه . وكان أبو مسلم قد وادع شيبان إلى مدة ، فوجّه إليه جيشاً فواقعوه فكشفوه ، فصار إلى ناحية أبيورد وأهلها أول من سَوَّد ،

فكتب أبو مسلم إليه أن بايع للرضا من آل محمد حتى لا أعرض لك ، فبعث إليه : بل بايعني أنت . فكتب أبو مسلم إلى بسام بن ابراهيم مولى بني ليث من كنانة وهو بأبيورد يأمره بمناهضته فناهضه وقتله وأصحابه إلّا عدّة يسيرة تفرقوا في البلاد ، ويقال : بل صاروا إلى نصر قبل هربه ثم تقطعوا .

أمر عمر بن سالم الشيباني

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني وغيره : اعتقد عمر بن سالم بمسكن السواد وخرج إلى العامل بقطربلّ ، وهو الحجاج بن عمارة ، فهرب فاتبعه فأخذه فقتله رجل من أصحاب عمر يقال له شنْطيز ، ورجع عمر إلى مسكن فأقام شهرين ، فأتاه أهل الأنبار يشكون عاملهم علي بن عمر الأسدي ، وكان ابن هبيرة استعمله عليها فسار إليه ، فلما عاينه العامل رمى بنفسه وفرسه في الفرات فهرب .

ثم أتى عمر بن سالم كَرْخَ با دُوريا ، وعليها رجل يقال له مروان ، فقاتله فانهزم وتفرق أصحابه وقد قتل عمر منهم عشرين ، وأصاب عمر بالكرخ متاعاً فقسمه ، وأقام بالكرخ في مائة ، فبعث إليه ابن هبيرة أبا بكر الكلاعي في ألف فقاتله عمر بن سالم فقُطعت يد عمر ، فلم يزل ينزف حتى مات ، وقتل من أصحابه ثلاثون وانهزم الآخرون ، واحتُز رأس عمر وحُمل إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأنفذه إلى مروان .

خبر عبدالله بن يحيى بن عمرو بن شرحبيل بن عمرو بن الأسود الكندي وعبدالله بن يحيى هو طالب الحق

أبو الحسن المدائني وغيره عن رجالهم قالوا : كان عبدالله بن يحيى الكندي ، أحد بني عمرو بن معاوية بحضرموت ، وكان مجتهداً عابداً ، وكان أعور ورأيه رأي الإباضية يقول : قومنا كفار نعمة وليسوا بكفار بالله ، نقاتلهم على بغيهم ولا نغنم لهم مالاً ، فرأى باليمن جوراً وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة ، فقال لأصحابه : لا يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا احتماله والصبر عليه ، فكتب إلى أبي عبيدة مسلم كورين مولى بني تميم وإلى غيره من إباضية البصرة يشاورهم في الخروج فكتبوا إليه : إن استطعتَ ألا تقيم يوماً واحداً فافعل ، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل فإنك لا تدري متى يبلغ أجلك ، ولله خيرة من عباده يبتعثهم إذا شاء لنصر دينه ، ويخصّهم بالشهادة إكراماً لهم بها .

وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف بن عبدالله بن مازن بن مجاشر أحد بني سَليمة ، وبلج بن عقبة ، وكان قبل ذلك في الشُّرط بالبصرة وهو حُذّاني في رجال من الإباضية وهم أصحاب عبدالله بن إباض التميمي ، فقدموا عليه حضرموت فحثّوه على الخروج ، وأتوه بكتب أصحابه فقال : إذا خرجتم فلا تَغُلّوا ولا تغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين ، وسيروا

سيرتهم ، فقد علمتم أنه إنما أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم .

فدعا أصحابه فبايعوه ، فأتى دار الإمارة بحضرموت ، وعلى حضرموت إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، فأخذوه فحبسوه يوماً ، ثم أطلقوه فأتى صنعاء .

وأقام عبدالله بن يحيى بحضرموت ، وكثر جمعه ، وسمّوه طالب الحق ، ويقال بل هو سمّى نفسه . وكتب إلى من بصنعاء من أصحابه : إني قادم عليكم ، ثم استخلف على حضرموت عبدالله بن سعيد الحضرمي ، وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين .

وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر الثقفي ، وهو عامل مروان على صنعاء مسير عبد الله بن يحيى ، فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل السَّكْسَكِي ، وخرج يريد ابن يحيى والإباضية ، فلقوه بلحج ، وهي قرية ، وكان القاسم في عدد كثير ، وعُدّة ظاهرة ، وسلاح شاك ، فقتل من أصحاب القاسم بشر كثير ، ومضى هو إلى صنعاء ، ثم خرج منها واستخلف عليها ابن زمل ، وأقبل عبدالله بن يحيى فنزل على ميلين من عسكر القاسم ، فوجه إليه القاسم يزيد بن الفيض الثقفي في ثلاثة آلاف من أهل الشام واليمن فكانت بينهم مشاولة ثم تحاجزوا ، ثم قاتلهم الصَّلْت بن يوسف فقتل في المعركة ، ثم قاتلهم يزيد بن الفيض ثم انهزم أهل صنعاء ، فأراد أبرهة بن شرحبيل بن الصباح اتباعهم فمنعه عبدالله بن يحيى ، ولحق يزيد بن الفيض بالقاسم فأخبره بقتل الصَّلْت فقال القاسم :

ألا ليت شعري هل أذودنَّ بالقنا ... وبالهندوانيات قبل مماتي

وهل أُصْبِحَنّ الحارثين كلاهما ... بطعن وضرب يقطع اللهواتِ

ودخل عبدالله بن يحيى صنعاء ، فأخذ الضحاك بن زمل ، وابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي فحبسهما ، ثم جمع الخزائن والأموال فأحرزها ، وأرسل إلى الضحاك وإبراهيم فأطلقهما ، وقال : إنما حبستكما مخافة عليكما من العامة ، وليس عليكما مكروه ، فأقيما أو اشخصا ، فخرجا .

ولما استولى عبدالله بن يحيى على بلاد اليمن خطب فقال : «الحمدلله المتحمّد بالآلاء ، المنّان بالنعماء ، ذي الأمر الغالب ، والدين الواصب ، أحمده في الضّراء ، وأشكره في السرّاء ، واستعينه على احتجاجه علينا ، وأستهديه لما يرضيه ، وأؤمن به إسلاماً وإيماناً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى ونبيّه المرتضى ، أرسله بالحق على حين فترة من الرسل وكفر من الملل ، واختلاف من الدول ، والتباس من الحقّ ، وانسحاق من الصدق ، وظهور من الأعداء ، وبُعْدٍ من الألفة ، وأنزلَ عليه الكتاب ، وشرع له الشرائع ، وفرض له الفرائض ، فقام بأمر الله صادعاً بالحق ناطقاً به ، زاجراً عن الشبهات ، داعياً إلى النجاة ، مجاهداً للمعاندين ، رؤوفاً بالمؤمنين ، عزيزاً عليه عَنَتَهُم ، حبيباً إليه صلاحهم ، حتى كمل الإيمان ، وأُخسيء الشيطان ، وظهر النور ، وزهق الباطل ، وذل الكفر ، وانقطعت الأحقاد ، وسلمت الصدور ، فجمعهم بعد التفرق ، وأمنهم بعد الخوف ، فأصبحوا على نعمٍ مذكورة ، وكرامة مشهورة ، ودين مقبول ، وعلم محمول . ثم قبضه الله إليه فقيداً ، واختار له ما عنده حميداً ، صلى الله عليه وعلى ذكره السلام ، ورحمة الله وبركاته .

أيها الناس إنكم حُذِّرتم عظيماً ، وخُوِّفتم جسيماً ، لا تبلغه الصفات ، ولا تحيط به الأوهام ، العذاب الأليم جهنم ، وسعير ولظى والهاوية والحامية ، وسقر التي لا تبقي ولا تذر ، نسأل الله مولانا وليَّ الإحسان أن يجيرنا من عذابه الذي خوفنا، أيها الناس إنا نخيّركم بين ثلاث خصال أيّها شئتم فخذوا لأنفسكم ، رحم الله امرأً أخذ الخيار لنفسه : إما قال امرؤٌ بقولنا ، ودان بالدين الذي دِنَّا فحملته نيّته على أن يجاهد معنا بنفسه ، فيكون له من الأجر ما لأفضلنا ، ومن قَسْم الفيء مالبعضنا ، أو قال هذا القول ثم أقام في داره ، فدعا الناس إليه بقلبه ولسانه فَعَلَهُ ، إلّا يكون ذلك أخسّ منازله ، أو كرهَنَا فليخرج بأمان إلى ماله وأهله ، ويكُفّ عنا يده ولسانه ، فإن ظفرنا لم يكن عَرَضَ لنا نفسه ، ولم يحملنا على سفك دمه ، وإن قُتِلْنا كان قد كُفِيَ مؤونتنا ، وعسى ألا يُعَمّر بعدنا إلا قليلاً .

ندعو : إلى الله ، وإلى كتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، ونجيب من دعا إليها ، الإسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا ، رضينا بالحلال حلالاً لا نبغي به بدلاً ، ولا نشتري به ثمناً ، ولا قوة إلا بالله ، وإلى الله المشتكى وعليه المعَوّل .

ندعو : إلى فرائض بيّنات محكمات ، وآثارٍ مقتدى بها ، ونشهد أن الله صادق فيما وعد ، عدلٌ فيما حكم .

ندعو : الى توحيد الرب ، واليقين بالوعيد ، وأداء الفرائض ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والولاية لأهل ولاية الله ، وإن من رحمة الله أنْ جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى ويصبرون على الألم في حب الله ، يُقتلون في سالف الدهر فما نسيهم ربّهم

﴿وما كان ربك نَسِيًّا[1]﴾ ، أوصيكم بتقوى الله وحُسْن القيام على ما وكلكم بالقيام به ، قابلوا الله حسناً في أمره وزجْره» .

وأقام عبدالله بن يحيىٰ بصنعاء أشهراً حسنَ السّيرة ، لينّ الجانب كافّاً عن الناس ، فكثر جمعه ، وأتوه من كل وجه ، فلما كان في وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف السّلَمي ، وبَلْج بن عقبة الأزدي ، وأبرهة بن الصباح الحميري إلى مكة في تسعمائة ، ويقال في ألف ومائة وأمره إذا صدر الناس أن يقيم بمكة ، ويوجه بلجاً إلىٰ الشام . فأقبل المختار إلى مكة فقدمها يوم التروية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأمه ابنة عبدالله بن خالد بن أسيد ، فكره قتالهم ، فقال لعبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب : إني لا آمن أن تفسد هذه العصابة علىٰ الناس أمرهم ، فلا يتم للناس في عامهم هذا حج فلو لقيتهم فسألتهم أن يكفّوا حتى ينقضي الموسم وأخرج لهم عن مكة ، فأتاهم عبدالله بن الحسن في رهط معه ، فقال لأبي حمزة : أيها الرجل إنك أتيت بلداً حراماً في يومٍ عظيمة حرمته فأُمَّ أصحابك ، ويَؤُمُّ الوالي أصحابه ، فإذا أفاض الناس وقضوا مناسكهم رأيت رأيك في الحرب وخرج عنك . فأجابه إلى ذلك ، فصلىٰ عبد الواحد ووقف بالجماعة ، وصلىٰ أبو حمزة بأصحابه ووقف بهم ، ولم يعرض لأحد حتى صدر الناس ، وخرج عبد الواحد بن سليمان إلىٰ المدينة فقال مولى لعثمان بن عفان ـ ويقال قاله موسىٰ شهوات ـ يعيب عبد الواحد لتركه البلاد وخروجه عنها :

جاء الذين يخالفون بدينهم ... دين الإله ففر عبد الواحد

---

١ ـ سورة مريم ـ الآية : ٦٤ .

ترك القتال وما به من علة   إلّا الوهون وعرقه من خالد

وكان النبي ﷺ دعا على آل خالد بن أسيد أن يُلْزَمَهم العجز ويحرمهم النصر.

لو أن والده تخيّر أمه   لَصَفَتْ مضاربُه لعرقٍ صاعد

وقال بعضهم أن هذا الشعر لابنة عمر بن عبد العزيز.

وقال عبد الحميد بن يحيى بن فالح بن عباس بن مرداس السُّلَمي :

طوىٰ الخيل طي العصب حتى إذا انطوت   أياطل منها وهي وارٍ فصيدها

فشدَّ على أهل الحِصاب وكاثروا   ببطن منىً والبُدْنُ صرعى خدودها

في أبيات.

وأقام أبو حمزة بمكة، ووجه رجلاً إلى الطائف، فخرج أهل الطائف عن القرية والحصن، فقال عامل الطائف : يا أهل الطائف أين رجالكم ؟ فقال له أبو وهية مولى بني علاج : أصلحك الله رجالنا غَيَب ونحن مغيبات فاحفظنا فيهم، فأمنهم وقال : هم آمنون. فرجعوا إلى الطائف.

ونادىٰ منادي أبي حمزة أربعة أيام، في كل يوم : الناس آمنون إلا من حاربنا. ولم يزل مقيماً حتى خرج إلى قُديد.

ولما أخذ أبو حمزة مكة صعد المنبر متوكئاً على قوس عربية فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : «أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان لا يُقْدم ولا يُحجم إلا بأمر الله ووحيه، أنزل عليه كتابه وبيّن له ما يأتي وما يتّقي فيه، فلم يكن في شيء من دينه شبهةً حتى قبضه الله إليه، وقد علّم المسلمين معالم دينه، وولىٰ أبا بكر صلاتهم وهي عماد دينهم، فولاه المسلمون أمر دنياهم فقاتل أهل الردّة، وعمل بالكتاب والسنة حاسراً عن ذراعيه حتى قبضه الله إليه رحمة الله عليه.

وولي عمر بعده ، فسار سيرة من كان قبله ، وجبىٰ الفيء ، وأعطىٰ الأعطية ، ومصّر الأمصار ، ودوّن الدواوين ، وجمع الناس على قيام شهر رمضان ، وجلد في الخمر ثمانين ، وغزا العدو في ديارهم ، ثم مضى لسبيله على منهاج صاحبه ، وقد جعلها شورى ، فرحمة الله عليه .

ثم ولي عثمان فسار دون سيرة صاحبيه ست سنين ، ثم أحبط فيما مضى له ومضى لسبيله .

ثم ولي علي بن أبي طالب ، فكان على سداد ، حتى حكّم في كتاب الله ، وشكّ في دينه فلم يبلغ من الحق قصداً ، ولم يرفع له مناراً .

ثم ولي معاوية لعين رسول الله ﷺ وابن لعينه[1] ، فاتخذ عباد الله خَوَلاً ، ومال الله دُوَلاً ، ودينه دَغَلاً ، ثم مضى لسبيله ناكباً عن الحق ، مداهناً في الدين .

ثم ولي يزيد ابنه فصيص لعنة رسول الله ﷺ ، وفاسق في بطنه وفرجه ، فمضى على منهج أبيه ، لا يعرف معروفاً ولا يُنكر منكراً .

ثم ولي مروان وبنو مروان ، فسفكوا الدم الحرام ، وأكلوا المال الحرام ، فأما عبد الملك فجعل الحجاج له إماماً وإلى النار قائداً . وأما الوليد فسفيه أحمق منهوك في الضلال يخبطها عشواء مظلمة . وسليمان وما سليمان همه بطنه وفرجه فالعنوهم لعنهم الله ، إلا أنه قد كان منهم عمر بن عبد العزيز هَمّ فلم يفعل وقصرّ عما همّ به .

ثم ولي بعده يزيد بن عبد الملك فاسق لم يؤنس منه رشد ، وقال الله في

---

١ ـ بهامش الأصل : استغفر الله من سب الصحابة ، بل رضي الله عنهم .

اليتامىٰ : ﴿فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾[١] فأمر أمة محمد أعظم من مال اليتيم ، مأبون في بطنه وفرجه ، حيك له بردان فارتدىٰ بأحدهما واتزر بالآخر ، ثم أقعد حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره ، وقال : يا حبابة غنيني ، ويا سلامة اسقيني حتى ثمل سكراً ، وأخذت الخمر مأخذها منه شق ثوبيه ، وقد اتخذا بألف دينار بعد أن ضُربت فيهما الأبشار ، وحُلقت الأشعار ، وهُتكت الأستار ، وأُخذ ما أنفق عليهما من غير حِلّه ، ووُضع في غير حقه ، ثم التفت إلى إحداهما فقال : ألا أطير . بلىٰ ، فَطِرْ إلى النار ، أفكهذا صفة خلفاء الله ؟!

وقد حضرت كتاباً كتبه إليكم هشام في حَطْمَةٍ[٢] كانت ، أرضاكم به وأسخط ربه ذكر فيه أنه قد ترك لكم صدقاتكم فزادت الغنيّ غنىً والفقير فقراً ، فقلتم جزاه الله خيراً ، بل لا جزاه الله إلا شراً ، فلقد كان بخيلاً بماله سخياً بدينه ، فهؤلاء بنو أمية ، فرق الضلالة ، بطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنّ ، ويحكمون بالهوىٰ ، ويقتلون علىٰ الغضب ، ويقضون بالشفاعة ، ويأخذون الصدقة من غير موضعها . ويجعلونها في غير أهلها ، وقد بيّن الله أصنافها الثمانية[٣] ، فجاء صنف تاسع ليس له منها شيء ، فأخذها كلها ، فهي الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله ، وأما هذه الشيع فشيع جهلت كتاب الله ، وأعظمت الفريّة على الله ، لم يقاربوا الناس بعمل بالغ

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٦ .

٢ ـ الحطمة : السنة الشديدة . القاموس .

٣ ـ انظر قوله تعالى في سورة التوبة ـ الآية : ٦ : ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ .

في الدين ، ولا ببصر نافذ في القرآن ، ينكرون المعصية على من عملها ، ويرتكبون أعظم منها ، يبصرون الفتنة ولا يعرفون المخرج منها ، يؤملون الدُول فيما بعد الموت ، ويؤمنون ببعث إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، جُفاة عن الدين أتباع كهان ، قلدوا دينهم من لم ينظر لهم ﴿قاتلهم الله أنّى يؤفكون﴾(١) .

يا أهل مكة إنكم تعيّروني بأصحابي وتزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً ، أما إني عالم بتتابعكم فيما يضركم في معادكم ، ولولا اشتغالي بغيركم ما تركت الأخذ فوق أيديكم ، نعم شباب متكهلون في شبابهم ، غيبة عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم ، قد نظر الله إليهم في حنادس الليل منثنية أصلابهم بمثاني القرآن ، إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقاً ، وإذا مرّ بآية فيها ذكر النار شهق شهقة حتى كأن زفير جهنم في أذنيه ، قد وصلوا كلالهم بكلالهم كلال ليلهم بكلال نهارهم ، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم ، مصفّرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم ، أنضاء عبادة مستقلّون لذلك في الله ، موفون بعهده ومتنجزون لوعده ، إذا رأوا سهام العدو وقد فُوِّقَتْ ورماحهم قد أُشرعت وسيوفهم وقد انتُضيتْ ، وبَرَقتْ الكتيبة ، ورعدت بصواعق الموت ، استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، فمضىٰ الشاب منهم قدماً حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، وقد زملت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرىٰ ، وأسرعت إليه سباع الأرض ، فكم من عينٍ في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من كف بائنة طالما اعتمد عليها

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٣٠ .

صاحبها في سجوده في جوف الليل لله ، وكم من خدّ رقيق وجبين عتيق قد فُلق بعُمُد الحديد ، رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها الجنان» .

ـ وقعة قديد :

قالوا : وكتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان يعتذر من خروجه عن مكة ويخبر أن الناس خذلوه ، ويقال بل خرج إلى مروان بن محمد فشافهه بهذا ، فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة يأمره أن يوجه جيشاً إلى مكة ، فوجه ثمانية آلاف من قريش والأنصار وغيرهم من التجار ، واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وامه ابنة عبدالله بن خالد بن أسيد ، فخرجوا في المصبّغات ومعهم الملاهي لا يكترثون بالخوارج ، ولا يرون إلا أنهم في أكفهم .

وسقط لواء عبد العزيز حين خرج من المدينة فتطير الناس وغمَّهم ذلك فقال رجل من قريش : لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هذه المارقة ، أما والله لئن ظفرنا لنَسْبِيَنَّ أهل الطائف . من يشتري مني سَبْيَ أهل الطائف ؟

فلما التقوا بقديد ، حين التقوا ، وانهزم أهل المدينة قال لخادمته : غاق باق ـ يريد أغلقي الباب دهشاً وذلك بعد أربعة أيام يرى أنهم خلفه ـ فلما كان أهل المدينة بذي الحليفة عرضهم عبد العزيز ، فمر به أمية بن عنبسة بن سعيد بن العاص فرحّب به وضحك في وجهه ، ومَرَّ به حمزة بن مصعب بن الزبير فلم يكلمه ولم يلتفت إليه ، فقال له عمران بن عبدالله بن مطيع : سبحان الله ، مَرّ بك شيخ من شيوخ قريش فلم تلتفت إليه ، ومَرَّ بك غلام

من بني أمية فضحكت إليه وألطفته ؟ أما والله لئن التقى الجمعان لتعلمنّ أيهما أصبر .

فلما التقوا وانهزم الناس قال أمية بن عنبسة لغلامه : يا مُجنِب أُدْنِ مني فرسي فلعمري لئن أجررتُ نفسي بسبب هؤلاء الأكلب إني لعاجز ، وركب فرسه فمضىٰ ، وصبر حمزة حتى قتل .

قال الهيثم : وشد رجل من الخوارج فجعل يقاتل وهو يقول :

وخارج أخرجه حب الطمعْ فرّ من الموت وفي الموت وقعْ

من كان ينوي أهله فلا رجع

قالوا : وبلغ أبا حمزة المختار بن عوف إقبال أهل المدينة إليه ، فاستخلف على مكة أبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميري ، وسار إليهم وعلى مقدمته بلج بن عقبة ، وصار بإزائهم ، وهو بقديد ، فقال لأصحابه : إنكم لاقون قوماً أميرهم عثمان بن عفان أول من خالف سيرة الخلفاء ، وبدّل السنّة ، قد بين الصبح لذي عينين ، فأكثروا ذكر الله وتلاوة القرآن .

وصَبَّحَهم غداة الخميس لسبع - أو تسع - بقين من صفر سنة ثلاثين ومائة ، فقال عبد العزيز لغلامه : ابغنا علفاً . قال : هو غالٍ . قال : ويحكَ البواكي علينا غداً أغلى .

وأرسل المختار إليهم بلج بن عقبة ليدعوهم ، فأتاهم في ثلاثين راكباً ، فذكّرهم الله ، وسألهم أن يكفوا أيديهم عنهم حتى يسيروا إلى مروان وقال : خلّو سربنا لنلقىٰ مَنْ ظلمكم وجار في الحكم عليكم ولا تجعلوا حدَّنا بكم ، فإنا لا نريد قتالكم ، فشتمهم أهل المدينة وقالوا : نخليكم وندعكم تفسدون في الأرض ، فقالت الخوارج : يا أعداء الله ، ونحن نفسد في الأرض ؟ وإنما خرجنا لنكفّ الفساد ، ونقاتل من استأثر بالفيء عليكم

فانظروا لأنفسكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة ، فإنه لا طاعة لمن عصىٰ الله ، وادخلوا في السلم وعاونوا أهل الحق .

فقال عبد الرزاق[1] : ما تقول في عثمان ؟ قال : قد بريء المسلمون منه قبلي وأنا متّبع آثارهم ومقتدٍ بهم وبهديهم ، فقال عبد العزيز : فارجع إلى أصحابك فليس بيننا إلا السيف فرجع إلى أبي حمزة فأخبره فقال : كفّوا عنهم حتىٰ يبدأوكم بالقتال .

ورمى رجل بسهم في عسكر أبي حمزة فأصاب رجلًا ، فقال أبو حمزة : شأنكم فقد حلّ قتالهم ، فحملوا عليهم ولافّ بعضهم بعضاً ساعة ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم ، فكرّوا فاقتتلوا قليلًا ثم هزمهم أبو حمزة .

وقال رجل من الأنصار من بني زريق : الحمدلله الذي أذلّ قريشاً . وإلىٰ جنبه عمارة بن حمزة بن مصعب ، فضربه عمارة فقتله .

وكانت راية قريش مع ابراهيم بن عبدالله بن مطيع ، وقتل من أهل المدينة من الأنصار ثمانون ، ومن قريش ثلاثمائة ويقال أربعمائة وخمسون ، ومن القبائل والموالي ألف وسبعمائة . ويقال كان القتلىٰ أربعة آلاف .

وعرض أبو حمزة من أُسر في المعركة فمن كان قرشياً قتله ، ومن كان أنصارياً خلّوا سبيله ، وأتوه بمحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وهو أخو عبد العزيز ، فقال : أنا أنصاري ، وشهد له قوم من الأنصار ، فقال رجل من اليمانية : والله ما هذا بَدَنُ أنصاري ، وما هو إلّا بدن قرشي .

وقتل من آل الزبير جماعة ، وهرب أمية بن عبد الله بن عمرو بن

١ ـ كذا بالأصل وأرجح أنها تصحيف «عبد العزيز» .

عثمان ، وهرب عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أمير القوم ، ومضى بلج إلى المدينة ، فدخلوا جميعاً في طاعته وبايعوه ، فكف عنهم ورجع أبو حمزة إلى مكة .

وخاصم بنو زُريق آل الزبير في صاحبهم الذي قتله عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير فقال لهم آل الزبير : إن حمزة قد قتل في المعركة ففيم الكلام ، ولم يبق بيت في المدينة إلا وفيه مصيبة ، فكانوا يقولون : لعن الله السراقي ولعن بلجاً العراقي فإنهما أهل شقاق، وضلال ونفاق. والسراقي أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمرو ، من آل سراقة بن المعتمر بن أنس بن أذاه بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب من بني عدي بن كعب ، كان مع بلج بن عقبة ، وكان السراقي على شرطة حمزة .

وقال ابن الكلبي : كان مع طالب الحق أبو بكر الأشل بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مؤمل بن حبيب بن تميم بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، وإنما قيل السراقي لأن سراقة كان شريراً . قال النبي ﷺ فيه : «أشد الناس عذاباً كل جعّار نَعّار صخّاب في الأسواق مثل سراقة بن المعتمر»[1] ، ويقال إن اسم السراقي أيوب بن محمد ويكنى أبا بكر ، ويقال إنه أيوب بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن سراقة بن المعتمر .

وقالت نائحة تبكيهم :

ما للزمان وماليَهْ ... أفنى قديد رجاليَهْ
فلأبكينّ سريرةً ... ولأبكينّ علانيهْ

١ ـ ترجم له ابن حجر بالاصابة ورُوي هذا الحديث عن البلاذري .

و لأبكيـــنّ إذا خـــلـــو ت مـع الكــلاب العـاويــــهْ
و لأثنيـــنّ عـلـى قـــد يــد بســـوء ما أبـلانيـــهْ

وقال بعضهم :

أصابوا على وادي قديدٍ مناسراً أتتها مناياها فَخَفَّتْ وفودها
جنائز صدْق لم تُصَبْ بجريرةٍ ولم تَنْتَقض بعد الرسول عهودها

وقال عمرو بن الحسن مولى من أهل الكوفة كان إباضياً :

وما بال همّك ليس عنك بعازب يمري سوابق دمعك المتساكبِ
وتبيت تكتلىء الهموم بمقلة عبرى تُسَرّ بكل نجم آيبِ
أخشى معاجلة المنون بداهةً لم أَقْضِ من دمع الشراة مآربي
فأقود فيهم للعدى شنج النَّسا مَحْضُ الشَّوى أشرانَ ضَمّ الحالب[١]
متجدداً كالسّيد أخلص لونَه ماء الحشيك من الجلال اللاتب[٢]
أرمي به من جَمْع قومي معشراً بـوراً أُلي جـبريـة ومعـايب
فتجول نحن وهم وفيها بيننا كأس المنون تقول هل من شارب
فنظل نسقيهم ونشربُ من قَنَا سُمْرٍ ومرهفة الشفار قواضبِ
بينا كذلك نحن جالَتْ طعنةٌ نجلاء بين رهائبي وترائبي[٣]
جوفاء منهرة مَرَى تامورها[٤] ظُبَتا سنانٍ كالشهاب الثاقب

١ ـ شنج النسا: متقبض العرق ، يعني فرساً غير مترهل . عبل الشوى : ممتلىء الأطراف . أشران : شديد المراح .
٢ ـ السيد : الذئب . الحشيك : الحسيك . والجلال : الجل الذي يغطي به ظهر الفرس ، واللاتب : اللاصق .
٣ ـ الرهائب : عظام مشرفة على البطن ، والترائب : أعالي الصدر .
٤ ـ مري : استدر واستخرج . التامور : الدم .

يـــا رب أوجبهـا ولا تتعلّقَنْ نفسي المنون لدى أكُفّ قرائبي
في فتيـة صـبر أَلَّفُهُمُ بهم لفّ القداح يد المفيض الضارب[1]

في أبيات :

وقعة وادى القُرى :

قالوا : وسار أبو حمزة إلى المدينة ، وولى مكة أبرهة بن شرحبيل بن الصباح ، وبلغ مروان خبر قديد فوجه عبد الملك بن محمد بن عطية ، أحد بني سعد بن بكر في أربعة آلاف وفيهم فرسان أهل الشام، منهم رومي بن ماعز القيسي ، ومنهم من أهل الجزيرة ألف اشترطوا على مروان فقالوا : إذا قتلنا الأعور قفلنا إلى الجزيرة ، فقال الشاعر :

فلما أتى مروان بالصدق عنهم رصينٌ من الأخبار لا يستزيدها
دعا أين من يحمي المساجد فاعترت مصاليت من قيس كرام جدودها
يداوون داءً أو يفيئون مغنمـاً ومجداً عليها حين تَنْدَى لُبُودها

وسار عبد الملك وأصحابه مسرعين فَحَدَا حاديهم :

حَـرَّمَ مروانُ عليهنّ النـوم إلا قليــلًا وعليـهنّ الـقــوم
حتى تَبين أو يقلن بالدَّوم[2]

وهاب الناس عبد الملك وأصحابه فتفرقوا في المياه، فلما أتى بلاد خثعم هربوا ومعهم غلام من كنانة ، فلما أمنوا قالوا : من يغنّينا ويسوق بنا ؟. قال الكناني : أنا . فنزل فساق وهو يقول :

١ - القداح : السهام والمفيض : الذي يدفع السهام ويرمي بها . ديوان شعر الخوارج ص ٢٥١ - ٢٥٢ مع فوارق .

٢ - الدوم : الظل الدائم . معجم البلدان .

ألا إنني بالٍ على جمل بال يقود بنا بال ويحدو بنا بال

فتغيروا وقالوا : قبحك الله ويحك ما تريد بنا ؟ .

وقال أبو صخر الهذلي حين بلغهم قدوم عبد الملك بن محمد وسرهم قدومه :

قل للذين استضعفوا لا تعجلوا أتاكم النصر وجيش جحفلُ
عشرون ألفاً كلّهم مسربل يقدمهم جلْد القوى مستبسلُ
دونكُمُ ذا أيمنٌ فأقْبلوا وواجهوا القوم ولا تستعجلوا
عبد المليك القُلّبيُّ الحُوَّلُ أقسم لا يُفْلِي ولا يُرَجَّلُ
حتى يبيدَ الأعور المضلل ويقتل الصباح والمفضّل

الأعور : عبد الله بن يحيى طالب الحق .

وقال أبو وجزة :

قل لأبي وجزة هيْد هيْد[1] أتاك بالغادية الصنديد
فارجع كما قد جئت من بعيد

فبعث أبو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة ليقاتل عبد الملك ، فلقيه بوادي القرى في جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة ، وتواقفوا ودعاهم بلج إلى السنة والعمل بكتاب الله ، وذكروا ظلم عبد الملك وحكمه بالهوى فشتمهم أهل الشام ، وقالوا : أنتم أولى بما ذكرتم .

ثم حمل عليهم بلج وأصحابه فانكشف أهل الشام ، وصبر عبد الملك في عُصَيْبَةٍ ونادى: يا أهل الشام وأهل الحفاظ ناضلوا عن دينكم وأميركم ، فكرّوا وصبروا وقُتل بلج وأكثر أصحابه ، واعتصم رجل من همدان يقال له

١ ـ هيد هيد : زجر للابل . القاموس .

الصباح في مائة من الإباضية فجعل يقاتلهم عبد الملك ثلاثة أيام فقتل منهم سبعون ، ورجع إلى المدينة ثلاثون ، ونصب عبد الملك رأس بلج على رمح فقال أبو وجزة أحد بني ظفر :

ورأس بلج مجتلىً محزوز　　في عَمَدٍ من خشبٍ مرزوزُ

وقالوا : قدم الذين فروا من وادي القرى إلى أبي حمزة وقالوا : فررنا من الزحف ، فقال أبو حمزة : أنا لكم فيئة ، وخرج أبو حمزة عن المدينة إلى مكة واستخلف عليها رجلاً يقال له المفضل ، فقاتلهم العبيد وأهل السوق ، فقُتل المفضل وعامة أصحابه ، وهرب الباقون فلم يبق من الإباضية بالمدينة أحد ، فقال أبو البيضاءشميل مولى زينب ، من ولد الحكم بن أبي العاص :

ليت مروان دنا　　يوم الاثنين عشيَّهْ
إذ غسلنا العار عنا　　وانتضينا المشرفيّهْ

ثم إن عبد الملك بن محمد بن عطية قدم المدينة فأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مكة والمختار بن عوف بها فقال : يا أهل مكة ، هؤلاء الذين سألناكم عنهم فقلتم يجورون ويظلمون فلا تعينوهم علينا .

ولقي عبد الملك الخوارج من وجهين وقد جعل أصحابه فرقتين فصيّر طائفة بالأبطح ، وصار هو والطائفة الأخرى بأسفل مكة ، فاقتتلوا وهزم أهل الشام حتى انتهوا إلى عقبة منى ، ثم كرّوا فقاتلوهم وصبروا فقتل أبرهة ، كمن له ابن هَبَّار القرشي عند بئر ميمون فقتله ، ويقال قتله بالأبطح ، وتفرق الخوارج .

ولقي أبو حمزة عبد الملك بن محمد بأسفل مكة فاقتتلا فقتل المختار بن عوف أبا حمزة على فم الشعب ، وقتلت معه امرأته وهي تقول :

أنا ابنة الشيخ الكريم الأعلمِ من سال عن اسمي فاسمي مريمِ
بِعْتُ سواريَّ بسيف مخذمِ[1]

وتفرق الخوارج ، وأسر أهل الشام منهم أربعمائة فدعاهم عبد الملك فقال : مادعاكم إلى الخروج ؟ فقالوا : ضمن لنا أبو حمزة الكنّة ـ يريدون الجنة ـ. فقتلهم ، وصلب المختار ، وأبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميري على فم شعب الخيف .

ودخل علي بن الحصين داراً من دور قريش فأحاط أهل الشام بها فأحرقوها فلما رأى ذلك رمى بنفسه من الدار ، فقاتلهم فأُسر فقُتل وصُلب مع المختار ، فلم يزل مصلوباً حتى استخلف أبو العباس أمير المؤمنين فحج المهلهل الهُجيمي فاستنزله ليلاً فدفنه .

وقال أبو وجزة :

الله أخـزى أبـرهـاً وبلجـا ومن طغى في دينه واعوجّا

وتوارى السراقي فلم يظهر حتى قام أمير المؤمنين أبو العباس ، وقال بعضهم : قتل مع أبي حمزة .

وكان بمكة مخنثان : يقال لأحدهما أُسَيْلِتٌ ، وللآخر صَعْتَرَة ، فكان أُسيلت يرجف بالأباضية فقتلوه ، وكان صعترة يرجف بأهل الشام فأُخبروا بخبره فقتلوه ، وقال قبل أن يُقتل : يا ويلي إنما كنا نعبث ونتكاذب .

وطار دم صعتره من الفزع فكان يقال : أصفىٰ دماً من صعتره ، لأن دمه كان صافياً من الفزع .

وقال المدائني : قاتل أبو حمزة ، وهو عليل وقد غسل رأسه ، واعتمّ

---

١ ـ المخذم : القاطع . ديوان شعر الخوارج ص ٢٤٥ .

وهو يقول :

أحمل رأساً قد مللت حملهْ وقـد مللت دهنـه وغسـلهْ

ألا متى يطرح عني ثقلهْ

فأجابه أبو محمد بن عطية :

أصبتَ من يطرح عنك ثقلهُ يكفيك بالسيف الصقيل حَمْلَهُ

ويقال إن الذي قال هذا طالب الحق نفسه .

ومضى فَلُّ الإباضية إلى اليمن ، وبعث عبد الملك عروة بن عطية بالفتح إلى مروان ، وأقبل عبد الله بن يحيى الإباضي ، وهو طالب الحق من صنعاء ، وشخص إليه عبد الملك وقد استخلف بمكة والطائف خلفاء ، فالتقيا بكثبة[1] ، فأكثر أهل الشام في الخوارج القتل ، وتشاغل أهل الشام بالغنيمة والنهب ، وركبهم الإباضية ، فذمَّرهم عبد الملك فكرّوا وقاتلوا أشد قتال ، ثم تحاجزوا وباكروا للقتال فترجل عبد الله بن يحيى وترجل معه ألف رجل وقاتلوا ، وجعل عبد الله بن يحيى يقاتل وهو يقول :

أضرِبُ قوماً حَبِطتْ أعمالهم الله مـولانا ولا مـولى لهم

فقُتل عبد الله بن يحيى ، وكان أعور ، وانهزم أصحابه ، وقتلوا في كل وجه ، ولحق فَلُّهم بصنعاء فقال أبو صخر الهذلي :

قتلنا دغيشاً والذي يكتني الكُنىٰ أبا حمزة الغاوي المضل اليمانيا
وأبرهة الكندي أُرْدَتْ رماحنا وبَلْجَاً صَبَحْنَاه الحتوف القواضيا
وما تركتْ أسيافنا يوم جُرِّدَتْ لمروان جباراً من الناس عاديا

---

١ ـ الكثبة : المطمئنة من الأرض بين الجبال . القاموس .

خبر صنعاء وأمر يحيىٰ بن عبدالله بن عمرو بن السَيّاق الحميري :

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني : بعث عبد الملك ابنه يزيد بن عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي بقتل عبدالله بن يحيىٰ إلى مروان ، ورجع عبد الملك إلى مكة ، فكتب مروان إلى عبد الملك يأمره بالمصير إلى صنعاء ، فلما كان يزيد بن عبد الملك بن محمد بالبلقاء منصرفاً إلى أبيه هلك ، وقدم أصحابه بكتاب مروان إلى عبد الملك ، فاستخلف ابنه محمد بن عبد الملك بن عطية على مكة وعزل رومي بن ماعز الغطفاني أحد بني مرة ، وبعضهم يقول هو كلابي ، وأُقرّ على المدينة الوليد بن عروة بن عطية ، وأمر محمد بن عبد الملك ابنه أن يقيم للناس الحج سنة ثلاثين ومائة .

وأقفل أهل الجزيرة إلى الجزيرة ، ووفىٰ لهم بما اشترطوا إذا قُتل الأعور ، وهو عبدالله بن يحيىٰ طالب الحق ، فلما شارف عبد الملك بلاد صنعاء خرج عاملها الذي كان عبدالله بن يحيىٰ ولاه إياها يريد حضرموت ، واتبعه جمهور بن شهاب الخولاني في جماعة من أهل صنعاء فقاتلهم وأصاب حملين من مال وأثقالاً لهم ، فقدم بما أصاب إلى صنعاء .

وقدم عبد الملك بن محمد صنعاء ، فتبع الخوارج يقتلهم فقتل ثلاثمائة منهم بصنعاء ، وبعث عماله وفَرَّقَهم في المخاليف ، ودَرَّ له الخراج أشهراً ، ثم خرج عليه يحيىٰ بن عبدالله بن عمرو بن السيّاق الحميري من آل ذي الكلاع بالجَنَد[1] في جمع كثير ، فبعث إليه عبد الملك عبد الرحمن بن يزيد بن عطية ، فلقيه بالجَنَد فهزمه وقتل عامة أصحابه ، ورجع عبد الرحمن إلى

١ ـ بهامش الأصل : «الجند بفتح الجيم والنون مدينة» . انظرها في معجم البلدان» .

صنعاء ، ولحق يحيى بن عبدالله بِعَدَنْ واجتمع اليه ألفان ، فسار إليه عبد الملك فواقعه فقتله وقتل عامة أصحابه ، وتفرق الباقون ، ورجع عبد الملك إلى صنعاء .

ـ أمر يحيى بن كَرب وعبدالله بن مَعْبَد :

وخرج يحيىٰ بن كرب الحميري ـ ويقال هو مذحجي ـ بساحل البحر ، وانضم إليه جمع من الإباضية ، فبعث إليه عبد الملك أبا أمية الكندي ، فالتقوا بالساحل ، فقتل من الإباضية ، وتحاجزوا عند المساء ، فمضت الإباضية إلى حضرموت وعليها عبدالله بن مَعْبَد الحضرمي ، عامل عبدالله بن يحيىٰ بن عمير الحميري ، فصار يحيىٰ بن كرب معه ، ورجع أبو أمية إلى عبد الملك بن محمد ، فاستخلف عبد الملك على صنعاء عبد الرحمن بن يزيد بن عطية وشخص إلى حضرموت .

وبلغ عبدالله بن معبد مسير عبد الملك إليهم ، فجمعوا الطعام وما يحتاجون إليه في مدينة شبام ، وفي حضرموت مخافة الحصار ، ثم رأوا أن يلقوا عبد الملك في الفلاة ، فخرجوا فنزلوا على أربع مراحل من حضرموت في عدد كثير في فلاة من الأرض ، ووافاهم عبد الملك فقاتلهم يومه كله ، فلما أمسىٰ بلغه ما تجمعوا من الطعام بشبام ، فحدّر عسكراً في بطن حضرموت إلى شبام ليلاً فلما أصبح قاتلهم حتى انتصف النهار، ثم تحاجزوا فلما أمسىٰ عبد الملك اتبع العسكر الذي وجهه إلى شبام ، وأصبح عبدالله بن معبد والإباضية فلم يروا من الشاميين أحداً فاتبعوهم وقد سبقوهم فأخذوا ما كانوا جمعوا من الميرة، وأخذ عليهم عبد الملك الطرق بالمسالح وقطع عنهم المادة فلم يقدروا على الميرة ، ثم جعل يقتل من قدر عليه ويسبي ، ويأخذ الأموال .

فلما كان في شوال سنة إحدى وثلاثين ومائة كتب مروان إلى عبد الملك يأمره أن يستخلف رجلاً ويحضر الموسم فيقيم للناس الحج ، فصالح عبد الملك أهل حضرموت على أن يستعمل عليهم رجلاً منهم ، فولىٰ على حضرموت رجلاً من أهلها تراضوا به ، وردّ عليهم ما عرفوا من متاعهم ، وكتب عليهم كتاباً ، وكتب إلى الوليد بن عروة يأمره أن يوافي مكة من المدينة، فإن أبطأ قدومه أن يقيم أمر الموسم ويصلي بالناس، ووجه بكتابه إليه رجلاً ، وأمر بإغذاذ السير وإجذامه وترك الفتور فيه ، فخرج الرجل يركض إلىٰ الوليد بالمدينة .

وخلف عبد الملك عبد الرحمن بن زيد بن عطية على صنعاء ، وخرج عبد الملك في اثني عشر فلما كان بأرض مراد ـ وكان قد أصاب منهم قوماً مع طالب الحق ـ عرض له قوم منهم فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين إليّ في حضور الموسم ، فكذبوه وقاتلوه فقتلوه وفتشوا ما معه فوجدوا كتاب مروان إليه في توليته الموسم ، فجاء قوم من همدان فدفنوه .

ويقال إنه خرج في أربعين فاتبعه قوم من همدان ومراد وظنوه منهزماً فقتلوه، وكانوا خوارج وقالوا له : قتلت عبدالله بن يحيى ، والمختار وبلجاً ، وأبرهة بن الصباح . وقتلوا أصحابه أيضاً ، وبعثوا برأس عبد الملك إلى حضرموت .

وبلغ عبد الرحمن بن زيد بن عطية خبره وهو بصنعاء ، فأرسل شعيباً البارقي في الخيل فقتل الرجال والصبيان ، وبقر بطون النساء ، وأخذ الأموال ، وأخرب القرى ، وأقام الحج للناس أبو الوليد عروة ، واستعمل مروان على مكة والمدينة والطائف يوسف بن عروة بن عطية .

وبعث الوليد بن عروة بن عطية إلى اليمن فقتل البريّ والنطف[1]، ووجه إلى يحيى بن كرب وعبدالله بن معبد من حاربهما فقتلهما ، ويقال إنه واقعها بنفسه فقتلهما ، ولم يزل الوليد باليمن حتى استخلف أمير المؤمنين أبو العباس .

قالوا : وكان مروان لما بعث رسوله إلى عبد الملك بن محمد ذكره بعد أيام فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أحسبني قد قتلت عبد الملك ، يأتيه كتابي فيخاف أن يفوته ما ندبته له فيخرج مخفّاً في قلّةٍ التماساً للسرعة ، وهو في بلاد قوم قد وترهم فيقتل ، ثم قال :

إن تنفري فقد وجدت نفراً ... أمُّ عُـوَيْفٍ وشِيَـاهَـاً عُقْـرا

١ ـ النطف : الرجل المريب . القاموس .

أمر يزيد بن عمر بن هبيرة عامل مروان على العراق

قالوا : ولما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة العراق والياً من قبل مروان ، أشخص إليه وفداً من أهل البصرة منهم داود بن أبي هند، وسعيد بن أبي عروبة فقال : انظروا ما نقمتم علي فيه من أمرٍ فَعَرِّفُوْنِيْهِ أَدَعُهُ ، وأيّ عامل رأيتم عزله فأشيروا علي بذلك أعزله .

وكان عفيفاً متوقيّاً سخياً شجاعاً ، وكان يعشّي الناس في كل يوم : إذا صلى العصر توضع الكراسي ، فأذا أخذ الناس مجالسهم أُتي بعساس اللبن والأشربة ، ثم أُتي بالأطعمة فيأكلون إلى وقت المغرب . ثم يدعو بالمناديل فيتفرقون للصلاة .

وكان سُمّاره قوماً من الفقهاء منهم داود بن أبي هند ، وابن شبرمه ، وابن أبي ليلى . فقال ابن شبرمه :

إذا نحن أَعتَمْنَا ومادَ بنا الكَرى أتانا بإحدى الراحتين عياض

- يعني حاجبه - وكان يقضي في كل ليلة عشر حوائج ، فإذا أصبح أنفذها .

حدثني عمر بن شبه عن خلاد الأرقط عن سلم بن قتيبة قال : كان

يزيد بن عمر بن هبيرة ربما لَحَنَ في كلامه وذلك قليل ، فقلت له يوماً : إنك ربما لحنتَ فلو تعهدت أيها الأمير نفسك . قال فتحفَّظ من ذلك وقال : يا سلم ، أَكُلُّ العلم علمت ؟ قلت : ما منه شيء إلا وقد أخذت منه ما يكفيني . قال : فما تقول في ابنتين وأبوين ؟. قلت : للابنتين الثلثان وللأبوين السدسان ، قال : فإنْ إحدى الابنتين ماتت ؟. قلت : فللأم الثلث وما بقي فللأب . قال : يا سلم أهذا ما يكفيك من العلم ؟

قالوا : وأخذ يزيد بن هبيرة الأصغر عمر بن النجم بن بسطام بن ضرار بن القعقاع ورجلاً من بكر بن وائل بسبب رأي الخوارج ، فأطلق البكري وحبس التميمي . فلما كان يوم الفطر قام أبو نخيلة فأنشده :

أطلقتَ بالأمس أسير بكـرِ فهل إلى حلّ القيود السُّمْرِ
عن التميمي القليل العذر من سببٍ أو سُلَّمٍ أو جسرِ
من كان لا يدري فإني أدري ما زال مجنوناً على است الدَّهْرِ
في حَسَبٍ يَنْمى وعقلٍ يجري

وكان يزيد متعصباً على صاحب خراسان ، وهو نصر بن سيار ، كان يكتب إليه مستغيثاً به لما ظهر أمر أبي مسلم ودُعاة بني العباس فلا يغيثه ، حتى قال :

أبلغ يزيد وخير القول أَصْدَقُهُ وقد تبيّنتُ ألاّ خير في الكذبِ
إنّ خراسان أرض قد رأيتُ بها بيضاً لَوْ افْرَخَ قد حُدْثت بالعجب

في أبيات قد ذكرناها .

وكتب إلى مروان بأبيات يقول فيها :

فقلتُ من التعجُّبِ ليت شعري أأيقـاظٌ أميـةُ أَمْ نيـامُ

قالوا : وقال أبو عطاء السندي مولى بني أسد في ابن هبيرة :

أقام على الفرات يزيد حولاً فقال الناس أيهما الفرات
فيا عجباً لبحر بات يسقي جميع الناس لم يبلل لَهاتي
قصائد حكتُهنَّ لقرم قيسٍ رجعنَ إليَّ صِفْراً خائباتِ
رجعنَ إليّ لم يُوْرِيْنَ زنداً سوى أني وُعِدْتُ التُّرَّهَاتِ

فقال ابن هبيرة : يا أبا عطاء كم يُبُلُّ لهاتَك ؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فَأمَرَ له بها .

وقال أيضاً :

قصائد حكتهنّ لقرم قيسٍ رجوتُ بها المودّة والإخاءَ
رجعنَ على حواجبهنّ صوفٌ فعند الله ألتمس الرجاءَ

وقال بشار الأعمى في قصيدة طويلة :

إلى أمير الناس وجَّهْتُهَا تجري على عارٍ من الطّحلبِ
إلى فتىً تَسقي يداه الندى حيناً وأحياناً دمُ المذنبِ[1]

فوصله وكساه .

وقال يزيد بن عمر لأبي عطاء السندي وكان أبو عطاء ألثغ .

فما صفراء تكنى أمُّ عوفٍ كأن رُجَيلَتَيْها منجلانِ

فقال : أيها الأمير .

أردتَ زرادةً وأردتَ أيضاً بما عَايَبْتَ مِن هذا لِسَاني

ويروى : أجريتَ من هذا . وقد ذكرنا أخبار يزيد بن هبيرة في حروبه ومقتله فيما تقدم من كتابنا هذا ، وبعد هذا الموضع .

١- ديوان بشار ص ٥٠ .

وقتل مروان ببوصير في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو ابن اثنتين وستين سنة ، وورد خبر مقتله على أبي العباس بالكوفة .

وكان أول ولاته[1] على البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب، ثم عُزل وولى حفص بن عمر بن عثمان بن قبيصة بن أبي صُفرة ، وقصد ابن هبيرة فقتل بواسط .

١ ـ أي ولاة أبي العباس السفاح ، فقد كان سفيان بن معاوية أول من سود بالبصرة . تاريخ خليفة بن خياط ص ٦١٥ .

مقتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

قالوا : قوي أمر أبي مسلم بخراسان وعلا شأنه وضعف أمر نصر بن سيار والي خراسان فيها ، فكتب إلى مروان بشعر وهو :

أرى خلل الرماد وميض جمر خليقاً أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب يَقْدُمُها الكلام
فقلتُ من التعجّب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام

فكتب إليه مروان : الشاهد يرى ما لايرى الغائب فاحسم الثؤلول قبلك . فلما قرأ نص الكتاب قال : أَمّا هو فقد أعلمنا أنه لا نصر عنده . وكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ، عامل مروان على العراق : أنشدك الله أن تضيع خراسان وكان يزيد حسوداً فَكَرِه أن يذهب نصر بسمعتها ولم يُبَلْ كيف وقع الأمر .

وكتب إليه نصر : أمدني بألف عمامة شامية ، ووجه إلي في كل يوم رجلاً أو رجلين ليرى أهل خراسان أن لي مدداً ، فلم يفعل ، وكان يستخف بكتبه إذا كتب ، فقال نصر : والله إني لأَهُمُّ أن أكتب إليه : من نصر بن سيار الكناني إلى يزيد بن عمر الفزاري . وكتب إليه :

أبلغ يزيد وخير القول أَصْدَقُهُ وقد تبينَّ ألاّ خير في الكذبِ
إن خراسان أرض قد رأيت بها بيضاً لوافرخ قد حدثت بالعَجَبِ
فراخ عامين إلا أنها كبرت ولم تَطِرْ ولقد سُرْبِلْنَ بالزّغَبِ
وإن يطرْنَ ولم يُحْتَلْ لهنّ بها يُلهبن نيران حرب شأنها عجب

فكتب إليه ابن هبيرة : «لاًّ تكثرنّ ، فما عندي رجل واحد» .

وكتب مروان الى الوليد بن معاوية بن عبدالملك بن مروان عامله بدمشق يأمره بحمل ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس إلى ما قبله ، وكتب إلى نصر ألاّ يدع بخراسان متكلماً بالعربية إلا قتله ، فقال نصر : هذا أحمق . وفَسَدَتِ الأمور على نصر وهرب ، وقد كتبنا هذا الخبر فيما تقدم من كتابنا هذا عند ذكر أمر الدعوة .

وقالوا : استحكمت لأبي مسلم الأمور ، فوجه قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن أكلب بن سعد بن عمرو بن عمرو بن الصامت ، واسمه أيضاً عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء بن أدد إلى العراق ، ومعه أبو غانم عبدالحميد بن ربعي بن خالد بن معدان وغيره من وجوه أهل خراسان ، وحمل قحطبة معه مالاً عظيماً .

وكان مقدمة قحطبة ابنه الحسن ، فلقي قحطبة نباتة بن حنظلة بجرجان فقتل نباتة ، وانهزم أهل الشام .

ووجه ابن هبيرة أيضاً عامر بن ضبارة ومعه داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، فلقيهم قحطبة بأصبهان فقتل ابن ضبارة .

ووجه قحطبة أبا عون عبدالملك بن يزيد الأزدي من نهاوند إلى

شهرزور فقتل عثمان بن سفيان ، وكان مروان بعثه مقدمة له ، فلما بلغه خبر مقتله أقبل مروان فنزل رأس العين ، ثم أتى الموصل فنزل على الزابي وحفر خندقاً .

ووجه أبو سلمة الداعية إلى أبي عون عيينة بن موسى بن كعب مدداً لأبي عون ، وظهر أمير المؤمنين أبو العباس ، فولّى عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس حرب مروان ، فلما ورد على أبي عون تحوّل له عن سرادقه بما فيه وخلاه له .

وصيّر عبدالله بن علي على شرطه حبّاش بن حبيب الطائي صاحب الجوبة ببغداد ، في ظهر ربض حميد بن قحطبة ، فلما كان لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة سأل ابن علي عن مخاضةً بالزابي فَدُلَّ عليها ، فوجه عيينة بن موسى بن كعب في خمسة آلاف فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم ، ورُفعت النيران ثم تحاجزوا ، ورجع عيينة إلى عسكر عبدالله بن علي ، وخاض أصحابه تلك المخاضة .

وأصبح مروان فعقد جسراً وسرح عليه ابنه عبيدالله بن مروان فحفر خندقاً أسفل من عسكر ابن علي ، فبعث عبدالله بن علي المخارق بن عفّان في أربعة آلاف ، فسرح اليه عبيدالله بن مروان الوليد بن معاوية فبيَّت المخارق وانهزم أصحابه وأُخذ أسيراً فبعث به إلى مروان مع رؤوس من قُتل فقال مروان : أنت المخارق ؟ قال : لا ولكني عبد من عبيد أهل العسكر ـ وكان المخارق نحيفاً دميماً ـ فقال له مروان : أفتعرف المخارق ؟ قال : نعم . قال : فانظر رأسه في هذه الرؤوس ، فأومأ الى رأس منها فقال : هو هذا . فخلى سبيله .

وقال رجل من أصحاب مروان ـ ورأى المخارق ـ : لعن الله العبد أبا مسلم جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم .

وقال العُماني وهو من بني فقيم :

صَبَّحَهُمْ مروان بالدّهارس قبل الصباح والصقيع الجامس[1]

دَوْسَ الجراجير الحصاد اليابس

وبلغ ابن علي خبر المخارق فدعا عبدالله بن علي بن محمد بن صولٍ فاستخلفه على العسكر ، وسار على ميمنته أبو عون ، وعلى ميسرته موسى بن كعب ، ويقال عيينة ابنه .

---

١ ـ الدهارس : الدواهي والجامس : الجامد . القاموس .

يوم الزابي من أرض الموصل

قالوا: لقي عبدالله بن علي مروان وعلى ميمنة مروان عبيدالله ابنه ، وعلى ميسرته الوليد بن معاوية بن مروان بن عبدالملك بن مروان ، وهو صهر مروان على ابنته . وقال مروان : إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم ، وإن قاتلونا قبل الزوال فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأرسل مروان إلى ابن علي يسأله الموادعة الى بعد صلاة الظهر ، فقال : كذبت يا بن زربي ، لا تزول الشمس حتى أوطئك الخيل إن شاء الله . فقال مروان : قفوا وادفعوهم ، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان بن عبدالملك فغضب مروان وشتمه .

ونشبت الحرب ، ونزل الناس وأشرعوا الرماح ، وجثوا على الركب، وقاتلوهم ، وجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يُدفعون .

ومشى عبدالله بن علي قدماً وهو يقول : حتى متى نُقتل فيك يا رب . ونادى أهل خراسان : «يا لثارات إبراهيم الإمام ، يا محمد يا منصور ، يا لثارات الحسين وزيد ويحيى ، يا منصور أَمِتْ» . واشتد بينهم القتال .

وروى قومٌ أن عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز كان مع مروان ، وذلك باطل ، ولكنه كان معه غيره من ولد عمر وهو عبدالعزيز .

وقال مروان لليمانية : انزلوا فقالوا : قل لقيس فلينزلوا ـ وذلك أنهم حقدوا عليه تقديمه قيساً وقتله ثابت بن نعيم الجذامي والسمط الكندي ـ فقال لصاحب شُرطه الكوثر الغنوي : انزل . فقال : والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً . قال : أما والله لأقتلنّك ولأسوءنّك إن لم تنزل . فقال : وددت والله أنك تقدر على ذلك .

ثم انهزم مروان وقطع الجسر فغرق ممن معه أكثر ممن قتل .

وقال بعضهم : عرض لمروان وجع في بطنه فحركه للخلاء فرآه الناس مولّياً فقالوا : منهزم ، وانهزموا فلم يقدر على ردّهم . فلما رأى ذلك عبر الجسر الذي للزابي ، وأمر بقطعه لئلا يتبع ، فغرق ستة عشر رجلاً من ولد مروان بن الحكم وفيهم ابراهيم بن الوليد المخلوع ، ويقال ان ابراهيم بقي حتي قتله ابن علي مع من قتل ، ويقال انه قتل بعد موت أخيه يزيد الناقص حين ظفر به مروان . والله أعلم . وأثبت ذلك أن عبدالله بن علي قتله .

وكان عبدالله بن علي في اثني عشر ألفاً ، وأمر عبدالله بن علي بإخراج الغرقى فأخرجوا فقرأ : ﴿وإذ فَرّقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ (1) .

وأقام في معسكره سبعة أيام فقال رجل من ولد سعيد بن العاص يعيب مروان :

لَـجَّ الفرار بمـروان فقلت له عاد الظلوم ظليماً هَمُّهُ الهربُ

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٥٠ .

وليْ طريداً ولم تُحمد عزيمته لدى القتال فلا دِيْنٌ ولا حَسَبُ

وكتب ابن علي الى أبي العباس بالفتح وبهرب مروان ، وأنه قد حوى عسكره فسجد أبو العباس ، ثم صلى ركعتين وقرأ : ﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر﴾ (١) الآية .

وكتب إلى ابن علي يأمره بأن يصوم سبعة أيام ، وصامها أبو العباس ، وأمر أبو العباس لمن شهد الوقعة بخمسمائة خمسمائة ، ووهب ابن علي لعيينة بن موسى بن كعب جارية كانت لمروان .

وقال اسماعيل بن عبدالله القسري : قال لي مروان بحرّان حين هرب بعد يوم الزابي : أبا هاشم إني قد أجمعتُ على حمل عيالي وقطع الدرب حتى آتي مدينة من مدائن الروم أنزلها وأكاتب صاحب الروم ، ولا يزال يأتيني الخائف والهارب ، ويتلاحق بي الناس حتى يكثر جمعنا ، وكان ذلك رأياً فكرهته لسوء صنيعه إلى أهل اليمن ، وقتله من قتل منهم وتقديمه قيساً ، فقلت : أعيذك بالله أن يحكم فيك أهل الشرك وتملكهم أمرك ، وأمر أهلك وحرمك ولكن استنفر الشام وكوره حتى تصير إلى مصر ، فإن رجالها كثير ، وتكون بين الشام وإفريقية . فقال : سبحان الله ، ومضى ومعه الكوثر الغنوي ومعه الحربة يسير بها بين يديه ، فمر بقنسرين فوثبت به تنوخ وطيء فاقتطعوا مؤخر عسكره ، ومر بحمص فصنعوا مثل ذلك ، ولم يدعوه يدخل مدينتهم ، ثم مر بدمشق فروى قوم أنهم منعوا عامله عليها من دخولها ، وهو الوليد بن معاوية بن مروان بن عبدالملك وكان معه . والثبت أن أهل دمشق لم يمنعوا عامله الوليد منها ، فدخلها وأقام بها حتى قتله عبدالله بن علي ،

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٤٩ .

ويقال بل أسره وبعث به إلى أبي العباس فقتله وصلبه .

ومر مروان بالأردن ، فوثب عليه هشام بن عمرو القيني ، ومر بفلسطين فوثب به الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع ، ثم مضى الى مصر واتبعه الحجاج بن زمل السكسكي فصار معه ، والرماحس بن عبدالعزيز الكناني وكان عامله على الأردن ، واتبعه ثعلبة بن سلامة وكان من عماله على ناحية قريبة من الأردن . فلما صار إلى فلسطين قال : يا رماحس انفرج الناس عنا انفراج الرأس ولا سيما قيس التي وضعنا معروفنا عندهم في غير موضعه ، وأخرجناه من قوم كانت دولتنا تقوم بهم ، فما رأينا لقيس وفاءً ولا شكراً .

وصار عبدالله بن علي إلى نهر أبي فطرس [1] بعد أن غلب على دمشق ، ووجه صالح بن علي بن عبدالله لمحاربة مروان ، وعلى مقدمته عامر بن اسماعيل بن عامر بن نافع أحد بني مسْلية بن عامر بن عمرو بن عُلة بن خلد ، فحارب عامر بن اسماعيل مروان ببوصير فقتله .

وقال الهيثم بن عدي : كان الذي قتل مروان مزاحم بن حسان الحارثي ، وكان الكوثر الغنوي قد كاتب عامر بن اسماعيل فبلغ مروان ذلك ، وهو في أول حد مصر فقتله .

ويقال إن قوماً من أصحاب مروان تيقنوا ذلك من فعل الكوثر فقتلوه وأتوا مروان برأسه ، فقال : أبعده الله . وحمد القوم وقال فيهم خيراً . وقال قوم : إن عبد الله بن علي أتى مصر وذلك غير ثبت .

وقال المدائني عن بعض أشياخه : نزل عبد الله بن علي بباب دمشق

١ ـ خارج الرملة في فلسطين .

وبها الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان وكان مع مروان بالزابي ، فلما صار مروان إلى دمشق خلّف بها الوليد ، وسار إلى مصر لأن أهل دمشق لم يخالفوه . فحصرهم عبد الله بن علي ، وقد أغلقوا أبوابها ، ثم وقعت بينهم العصبية فسوَّدت اليمانية ، وفتحت الأبواب ، فدخلها ابن علي والخراسانية فقتلوا كل مبيض ، وأخذوا الوليد ، فبعث به عبد الله إلى أبي العباس ، فقتله وصلبه .

ويقال بل وثبت به اليمانية فقتلوه ، فبعث إلى أبي العباس برأسه ، ويقال بل قتله ابن علي وبعث برأسه ، والله أعلم .

وقدم عبد الصمد بن علي من قبل أبي العباس في أربعة آلاف مدداً لعبد الله بن علي ، فوافاه بدمشق ، وهدم عبد الله حائط دمشق ، وصار إلى نهر أبي فطرس فسار صالح بن علي على نهر أبي فطرس إلى مصر في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومعه عامر بن اسماعيل المسْلي ، وأبو عون عبد الملك بن يزيد الأزدي ، فيقال إن عبد الله وجّه صالحاً ، ويقال بل ولاه أبو العباس مصر وأمر ابن علي أن يقلده محاربة مروان ويتشاغل هو بأمور الشام حتى يحكمها ، فَعَدَلَ صالح من الرملة ، فنزل ساحل البحر وجمع السفن وتجهز للقاء مروان وهو بالفرما من مصر ، فجعل صالح يسير على الساحل والسفن بحياله حتى نزل العريش . وبلغ ذلك مروان فأحرق ما حوله من الأعلاف ، وأخذ صالح بعض أصحابه ممن يحرق تلك الأعلاف فقتلهم بالفسطاط .

ولما وافى صالح الفسطاط عبر مروان النيل وقطع الجسر ، وقدَّم صالح أبا عون وعامر بن اسماعيل فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا بعضهم

فسألوهم عن مروان فأخبروهم أنه في كنيسة ببوصير وقد جمع من بقي معه وضمّهم إليه فهم مطيفون به .

وقال عامر بن اسماعيل: لقينا مروان ببوصير في السَّحَر، ونحن في عدةيسيرة لم يكن أصحابنا تلاحقوا بنا ولا تتامّوا إلينا ، فشد أصحاب مروان إلينا فلجأنا إلى شجر ونخل هناك ولو يعلمون بقلّتنا لهلكنا ، وذكرت أن بكير بن ماهان قال لي : أنت والله تقتل مروان ، فكأني أسمعك تقول : دَهَادَ ياجونكان[1] دَهاد ياأهل خراسان. فاشتد قلبي فكررنا عليهم فانهزموا وحمل رجل على مروان فطعنه بسيفه وكان من أهل البصرة فقتله .

وقال أبو الحسن : قتله محمد بن شهاب المازني من بني كابية بن حرقوص ، واحتز رأسه فحمله إلى صالح بن علي ، وكتب إلى عبد الله بن علي ، ويقال إلى أمير المؤمنين أبي العباس بالفتح ، وكان في كتابه : «إنا اتبعنا عدو الله الجعدي حتى ألجأناه إلى أرض عدو الله فرعون شبيهه في كفره ، فقتله الله ببوصير» . ثم رجع صالح إلى الفسطاط .

وقال المدائني : يقال إنه طعن مروان رجل نحيف يكنى أبا العود ، وهو لا يعرفه فصرعه ، وصاح صائح : أمير المؤمنين . فابتدروه ، فسبق إليه رجل كوفي كان يبيع الرمان فاحتز رأسه .

ويقال أيضاً إنه قتله مزاحم بن حسان الحارثي ، ويقال بل قتله محمد بن شهاب بن عقبة بن شهاب المازني ، وأخذ رأسه ، فبعث به عامر إلى أبي عون ، وبعث به أبو عون إلى صالح بن علي ، وبعث به صالح إلى الخليفة ، وهذا قول من قال أن صالحاً كان من قبل أبي العباس .

١ ـ تقدموا يا شباب : تقدموا يا أهل خراسان .

قال الهيثم : وكان يقال : إذا حملت مسلية الألوية دَهَت بني أمية الدويهية .

قالوا : ولما نفض رأس مروان ونُقب ليخرج دماغه قطع لسانه فأخذه هر ، فقال صالح : لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلاّ لسان مروان في فم هر ، لكان في ذلك عبرة وموعظة ، ثم بعث برأسه وخاتمه مع يزيد بن هانىء الكندي إلى أبي العباس ، وهو بالحيرة ، فنصبه ، وبعث به إلى خراسان .

ولم يزل صالح على مصر حتى مات أبو العباس ، وعصى عبد الله بن علي، وكان الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع من قبل عبد الله بن علي على فلسطين ، فسرح إليه صالح : أبا عون ، ومحمد بن الأشعث الخزاعي فهرب الحكم إلى بعلبك ، فدل عليه بعد فأخذ وذلك في ولاية عبد الوهاب بن ابراهيم الإمام ، ولم يخالف صالح المنصور حين هرب عبد الله بن علي، وكان متمسكاً بطاعته غير متابع لعبد الله بن علي معصيته وخلافه، فلما انقضى أمره قدم فلسطين ومعه ليث بن سعد وابن لهيعة .

وروي أن بنات مروان كنّ في كنيسة عليهن خادم يقوم بأمرهن ، فخرج الخادم شاهراً سيفه وقال : إن مروان أمرني بقتل نسائه وبناته فمنع من ذلك ، وأرادوا قتل الخصي فقال : إن قتلتموني ذهب ميراث النبي ﷺ ، قيل : وماذاك ؟. فدلهم على القضيب والبرد والقعب المخضّب ، وكان مروان دفن ذلك أجمع في رمل في بعض المواضع لئلا يصير إلى بني العباس ، وهذا خلاف قول من ذكر أن البرد اشتُري من بعض النصارى . والله أعلم .

أمر بني مروان بن محمد

قالوا : لما التقى مروان وعامر بن اسماعيل ببوصير من أرض مصر ، فاقتتلوا ليلاً ، وقف عبد الله وعبيد الله ابنا مروان في ناحية ، في جمع من أهل الشام ، فحمل عليهم أهل خراسان فأزالوهم عن موقعهم ، ثم كروا عليهم فهزموهم حتى ردوهم إلى عسكرهم ، وتفرق الناس عن عبد الله وعبيد الله حين قيل قد قتل مروان ، وجعل أهل خراسان يقتلون من لحقوه من الفَلّ فلم يكن لهما همة إلا الخلاص ، فمضيا على وجوههما وذلك في السحر ، وتفرق الشاميون في الرمال ، فرجع أهل خراسان عنهم ، فصار ابنا مروان إلى بلاد النوبة في عدة من أحشام أبيهما ومواليه وغيرهم ، فأكرمهما صاحب النوبة وأجرى عليهما ما يصلحهما فأقاما بأرض النوبة شهرين ، ثم أجمعا على إتيان اليمن فيمن معهما فنهاهما صاحب النوبة عن ذلك وقال : إني لا آمن عليكما الهلكة ، فشكروه وساروا في بلاد العدو فدخلوا بلاد جاوة فلم يُهِجْهُم صاحبها وكان يبيعهم ملء القربة من الماء بخمسين درهماً حتى أخذ منهم مالاً كثيراً ، ثم شخصوا عن بلاده فلقيهم بعض العدو فقاتلوه ونجوا فساروا فعرض لهم جبل بين طريقين ، فسلك عبد الله ـ وقد باين أخاه لتنازع وقع

بينهما - إحدى الطريقين ، وسلك عبيد الله الطريق الأخرى فلم يلتقوا .

وعرض لعبيد الله بعض العدو فقاتلهم بمن معه فسلبوهم ثم قتلوهم إلا جُميعةً لا يبلغ عددها الثلاثين ، وقتل عبيد الله وأُخذت ابنته أم الحكم وهي صبيّة ، وبقي ممن معه قوم فكانوا يتنكبون العمران فهلكوا وهلكت دوابهم ، وبلغ منهم العطش حتى شربوا أبوال دوابهم وأبوال أنفسهم إلى أن وصلوا إلى البحر ، ووافاهم عبد الله بن مروان فكانوا خمسة وأربعين فيهم الحجاج بن قتيبة بن مسلم ، فركبوا البحر وصاروا إلى مكة ، فيقال إن العامل علم بهم فلم يعرض لهم ، ويقال إنه لم يعلم بهم .

وخرجوا مع الحُجاج وعليهم عمائم غلاظ وجباب الأكرياء حتى مروا بقوم فرقّوا لهم فحملوهم . وفارق الحجاج بن قتيبة عبد الله بجدة ، ثم أتى عبد الله بن مروان ومن معه تبالة بعد أن حج .

قالوا : وأتى عبد الله بن مروان اليمن مستتراً فأقام بها ما شاء الله ، فدلّ عليه نصر بن محمد بن الأشعث الخزاعي ، وكان والياً عليها من قبل أمير المؤمنين المنصور في آخر خلافته فأخذه وبعث به إلى المنصور فحبسه في القصر ، فلما استخلف أمير المؤمنين المهدي أراد إخراجه إلى الشام ليخلع نفسه على منابر الشام لأن أباه كان ولاه عهده ، وكان أبو العباس الطوسي على المدينة والمطبق والحبوس فبلغه ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين من أشار عليك بهذا الرأي ؟ أأبو عبيد الله أم ابن رغبان أم أبو سُمير ؟ . هذا رأي لا تؤمن عواقبه ، أيدخل ابن مروان مدن الشام وله في أعناق أهلها بيعة ؟ فيقال إن المهدي أراد تخلية عبد الله بن مروان ، فقال له عيسى بن علي : يا أمير المؤمنين إن له في أعناقنا بيعة . فأمر به المهدي فثقل بالحديد وحوّل إلى المطبق ، فلم يلبث أن مات .

وكان أبو عبيد الله من أهل الشام وكذلك أبو سمير ، وكان ابن رغبان مولى حبيب بن مسلمة الفهري شامياً ، وهو صاحب المسجد ببغداد .

حدثني حماد بن يَعْسَل الوراق عن سلمويه أبي صالح قال : لما أقيم عبد الله بن مروان بين يدي المهدي ـ وكان عامل اليمن وجهه إلى أبي جعفر ـ فوافى فقال أبو جعفر : أيكم يعرف هذا ؟ فتأمله عبد العزيز بن مسلم العقيلي فقال : آه أبا الحكم كيف كنت بعدي ؟ نعم يا أمير المؤمنين هذا عبد الله بن مروان ، فأمر به إلى المطبق فمات فيه .

قالوا : وكان على عبد الله فصّ ياقوت أحمر يساوي ألف دينار ، فكان يقول وهو يمشي : ليت لي به دابة أركبها .

وقال بعض من كان مع عبد الله بن مروان : ما رأينا مثله ، قاتل فكان أشد الناس ، ومشى فكان أقواهم على المشي ، وجاعوا فكان أصبرهم على الجوع .

قالوا : وبلغ مروان وهو بمصر قَتْلَ من قُتل بنهر أبي فطرس فبكى حتى كاد يموت .

وقال بعض آل مروان : ما كان شيء أنفع لنا في هربنا من الجوهر الخفيف الثمن ما يساوي خمسة دنانير فما دون ، كان يخرجه الصبي والخادم والامرأة فنبيعه ، وكنا لا نستطيع إظهار الجوهر الثمين .

وقال الحجاج بن قتيبة : كنت مع نصر بن سيار ، فلحقت بمروان ، فصرت معه فقال وهو هارب : لقد عزبتْ عنا عقولنا حين لم نزوج نساءنا الأكفاء من قريش فنكفى مؤونتهم في هذه الحال ، وأخذ لي سلم بن قتيبة أخي الأمان فقال لي أمير المؤمنين : أكنت مع مروان ؟. فقلت : كنت مع

قوم خلطوني بأنفسهم فلم تحسن لي مفارقتهم ، فقال : هذا الوفاء .

وقيل إن المنصور - أو المهدي - دعا بعبد الله بن مروان فقال له : حدثني حديثك . فَحَدَّثَهُ فَهَمَّ بتخليته ، حتى قال عيسى بن علي فيه ما قال .

ذكر من قتل من بني أمية وأتباعهم

المدائني وغيره قالوا : جلس عبد الله بن علي للناس في خضراء دمشق ، فدخلت عليه قريش وغيرها فتكلم يزيد بن هشام ، وهو الأفقم فأطرى بني هاشم وذكر فضلهم وقال : أهل السؤدد والأمانة ، وأطنب . ثم تكلم بنو أمية فأثنوا عليه ودعوا ومَتُّوا بالقرابة ، فقال ابن علي : صدقتم وبررتم ، إن قرابتكم لقريبة ، وإن حقكم لواجب ، أنتم أكفاؤنا وبنو عمنا ونحن أهل وراثتكم ، وأنتم أهل وراثتنا لو كان الثاني متلائماً .

ثم قال: مالي لا أرى عتيق بن عبد العزيز بن الوليد فقيل له : ليس عنده ما تكرهه . فقال : إن أتاني ما بينه وبين ثالثة وإلا فلا أمان له عندي . فأتاه ثم إنه قتله بعد .

ودعا عبد الله بالغداء ، فتقدم من حضر إلا محمد بن عبد الملك فقال له : اقترب يا محمد . فقال : لست أطعم اليوم شيئاً ، فجعل عبد الله ينظر إليه ، فلما فرغوا من الغداء وخرج الناس فقيل له : دعاك إلى الغداء فلم تفعل ، وتكلم أصحابك ولم تتكلم ، وقد نظر إليك نظراً شزراً ، وقتله بعد .

ودخل عليه حمزة بن الأصبغ بن ذؤالة الكلبي ، وكان حمزة ممن شهد قتل زيد بن علي . فلما رآه تمثّل عبد الله :

بسيف ابن عباس وسيف ابن زامل بَدَتْ مقلتاها والبنانُ المخضَّبُ

ثم قتل حمزة بعد أن خرج مع السفياني ، وأخذ ابن علي سليمان بن سليم بن كيسان فحبسه ، وقدم قوم من كلب برأس الفياض بن عنبسة بن عبد الملك من البادية ، قتل بها .

وقتل عبد الله بن علي سليمان بن سليم وأخوته : كلثوماً ، ومسلماً ، ونصراً ، وبشراً ، وحماداً ، وصدقة ، ويونس بني سليم ، وأخذ ابن علي بدمشق يزيد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك ، وعبد الله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك فبعث بهما إلى أبي العباس فقتلهما بالحيرة ، أو بعث برؤوسهما أو حمل ابن عبد الجبار فقط .

وقتل عبد الله بن علي صالح بن عجلان الأفطس ، مولى محمد بن مروان بن الحكم سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان ينزل حران ، وسالم الأفطس الذي يحدث عن ابن حبيب .

وأمر عبد الله بن علي الضحاك بن زمل السكسكي بقتل بعض ولد نوح بن الوليد بن عبد الملك ، وكان حين دعاه بلغه أنه يريده لذلك فكسر يد نفسه فلم يزل الضحاك أثيراً عند أبي العباس حتى مات ببغداد ، فحضر المنصور دفنه وقام على قبره .

وولى أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله بن علي الصائفة سنة خمس وثلاثين ومائة ، فتجهز وشخص ، وأقبل أبان بن معاوية بن هشام يريده ليعترضه فوجه إليه حميد بن قحطبة فالتقوا ، فانهزم أبان وأصحابه وانكشفوا

وتحصنوا في حصن كيسوم[١] ، فحصرهم حميد فطلبوا الأمان فأمنهم ، وهرب أبان فدُلَّ عليه فأُخذ في غار فقطع عبد الله يديه ورجليه وقتله ، ومضى لوجهه .

ويقال إنه كان في الغار أمه واخته وامرأته ، فَدُلَّ عبدالله عليه ، فوجّه إليه أربعين رجلاً فلما نُذر بهم أراد قتالهم فمنعته أخته وأمه فاستسلم ، فقطع عبدالله يديه ورجليه وحشمه وأطافه بالشام ثم حبسه فحلّ يديه حتى نزف ومات .

وتحصن عبد الصمد بن محمد بن الحجاج بن يوسف في حصن ، فبعث عبدالله من أخذه وأربعة عشر رجلاً من آل أبي عقيل ، ومع عبد الصمد سيف الحجاج فضرب به عنقه وأعناقهم . ويقال إن صالح بن علي أخذهم .

وقتل ابن علي ذيخ[٢] قريش وهو أبو بكر بن عبد الملك ، وقتل أبا القاسم بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

المدائني عن أبي عاصم الزيادي قال : قال عبدالله بن علي بنهر أبي فطرس ومعه بنو أمية ، خرجوا معه من دمشق ، فأمر ألا يدخلوا عليه وعلى أحد منهم سيف ، فانتزعوا سيوفهم ، وأمر بالخيل فرتّبت حول الحُجَر ، فلما دخلوا من باب المضرب عزلوا ناحِيَة ونودي رجل رجل باسمه فدخل اثنان وسبعون رجلاً ، ويقال كانوا نيّفاً وثمانين .

وجاء حباش بن حبيب الطائي صاحب شرطة عبدالله بن علي ، فأمر

١ ـ من حصون الثغور بينه وبين الحدث سبعة فراسخ . بغية الطلب ج ١ ص ٢٦٥ .
٢ ـ الذيخ : الذئب الجرىء ، والفرس الحصان ، وكوكب أحمر ، وذكر الضباع . القاموس .

بهم فنزعت ثيابهم وكُتّفوا فجعل أهل خراسان يشقّون أطراف اقبيتهم ويكتفونهم ، فقال محمد بن عبد الملك : يا بني أمية اصبروا فهذا يومكم الذي كنتم توعدون ، ولم تأخذوا له أهبته . فضربوا بالخشب والعمد والأيدي والأرجل حتى رُضّوا جميعاً .

قالوا : ورأىٰ خُفاف بن منصور فرساً لسليمان بن داود بن عبدالله بن مروان فأعجبه فقال : لمن هذا الفرس ؟ فأخبر مولىٰ لسليمان سليمان بذلك ، فبعث إليه بالفرس فقال : ما كنت لأقبله ولكن قل لصاحبك إحذر أصحابنا ، فحضر يومئذ فقُتل . وقُتل الغمر بن يزيد وقد ذكرنا خبره ، وقُتل ابراهيم بن مسلمة بن عبد الملك .

وبعث عبدالله بن علي إلى البلقاء من قتل سليمان بن يزيد بن عبد الملك أخا الوليد المقتول ، وبعث عبدالله بالرؤوس إلى أبي العباس مع سلمة بن محمد الطائي ، والوُثَيْق بن زُفَر .

وكتب إلى عثمان بن عبد الأعلى بن سُراقة وهو بدمشق : إذا ورد عليك الوثيق فاقتله واجعل رأسه مع الرؤوس ، وانفذ بها سلمة بن محمد وجماعة معه يحفظونها ، فإن بني أمية أرادوا نقض ما جعل الله لنا في أعناقهم فألحقتهم بأمهم الهاوية ، والنار الحامية .

وحدثني هشام بن عمار عن أبيه قال : لم يوجه عبدالله بن علي الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان حين أخذه بدمشق إلى أبي العباس ، ولكنه بعث بأخيه زيد بن معاوية ، فقتله أبو العباس وصلبه بالكوفة .

وقتل ابن علي الوليد وبعث برأسه إلى امرأته ، وهي ابنة مروان بن

محمد ، فقالت : والذي ابتلاني بقتله ما تبينت صورة وجهه قط ، وقال المدائني : كان يقال إنه من فتيان قريش .

وأما عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك فقتله صالح بن علي ، دخل عليه وصالح يقرأ ، ورجل يأخذ عليه في مصحف ، فقال له : ما منعك من إتيان أمير المؤمنين ؟ قال : كتاب أمير المؤمنين . فقال للذي كان يأخذ عليه : أطبق المصحف . وأمر به فضربت عنقه .

وقتل أبو العباس سليمان بن هشام وقد كتبنا قصته وسبب قتله .

وقتل أبو العباس زيد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان وصلبه بالحيرة .

وقال هشام ابن الكلبي : قتل ابن علي بنهر أبي فطرس ثمانين أو نيفاً وثمانين من بني أمية ، فقال حفص بن أبي النعمان مولى عبيدالله بن زياد :

أَيْنَ رَوْقاً عبد شمسٍ أين هُمْ أينَ أهلُ الباعِ منهم والحسبْ
قُـل لمن يسأل عنهم إنهم جثثٌ تَلمع من فوق الخَشِبْ
احلبوا ما شئتم في صحنكم فَستَلْقَونِ صَرَىً[1] ذاك الحَلَبْ

قال : ويقال لبني حرب بن أمية ، وبني أبي العاص بن أمية : الرَوْقَان . والرَوْق : القرن .

وقال ابن الكلبي : صلب عبدالله بن علي عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان الذي كتبنا خبره بالبصرة .

قال : ولما افتتح ابن علي دمشق أسر زيد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك بن مروان ، وعبدالله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك ، فبعث بهما

١ ـ لبن صرى : متغير الطعم ، والصرى : البقية . القاموس .

إلى أبي العباس فصلبهما بالحيرة .

وقتل أبو العباس سليمان بن هشام وابنه وصلبهما .

قال : وقال أبو عدي العَبْلي من بني أمية :

تقـول أُمـامـة لمـا رأت سهادي لدى هجعة النُّعَّسِ
أبي ما عَرَاك فقلت الهموم طَـرَقْنَ أباكِ فـلا تُبْلِسي
لفقـد العشيرة إذ نـالها سهامٌ من الحَدَثِ المُوئِسِ
رَمَتها المنونُ بـلا نُصَّلٍ ولا طـائشاتٍ ولا نُكَّسِ
أفاضَ المدامعَ قتلىٰ كـرىٰ وقَتـلىٰ بلوثـة لم تُـرْمَسِ
وقتـلىٰ بـوَجٍّ وبـالـلَّابَتَيْـ ـنِ مِنْ يثربَ خير ما أَنْفُسِ
وبـالـزابيـين نفوسٌ ثَـوَتْ وقتـلىٰ بنهـر أبي فـطرسِ
أولئـك قـومي أَذَاعَتْ بهم نـوائب من زمـنٍ مُتْعِسِ
أَذَلَّتْ جبـاليْ لمـن رامهـا وأنـزلتِ الرُّغْم بـالمِعْطَسِ
فـما أنسَ لا أَنْسَ قتلاهُمُ ولا عاش بَعْدَهُمُ مَنْ نُسي

فقتله داود بن علي .

وقال بعض الشعراء :

تَعْساً أميةُ قد زَلَّتْ بكم قَدَمٌ فأصبح المُلْك من أيديكمُ نُزِعَا
ونالها من بني العباس مضطلع بالحِمْلِ لو حُمِّلُوها غيره ظَلَعَا
ميراث أحمد كانوا يلعبون به يا رُبَّ مُحتصدٍ غير الذي زَرعا

المدائني عن عبدالله بن المبارك عن الأوزاعي قال : قال لي عبدالله بن علي : ما ترىٰ فيمن قتلتُه من هؤلاء ؟ قلت : أمنتهم ولم يكن ينبغي أن تقتلهم ، قال : فما تقول فيمن قتلت ولم اؤمنه ؟ قلت : لو لم تقتلهم كان

أحبُّ إليّ لكَ . قال : والله لو كان معنا ثالث من الناس ما رأيتَ الأحبّة .

قالوا : وقتل داود بن علي بالمدينة عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عبدالله بن عامر بن كريز .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي وغيره قالوا: كان اسماعيل بن عمرو بن العاص من عُبّاد الناس وخيارهم وهو صاحب الأعوص[1] فقال عمر بن عبد العزيز: لو أن الأمر إليّ لوليتها القاسم بن محمد أو إسماعيل صاحب الأعوص ، وعرض له داود بن علي فقيل ليست بك حاجة أن تُفِزع اسماعيل للدعاء عليك فتركه ولم يعرض له ، وعرض لاسماعيل بن أمية بن عمرو بن العاص ، ولأيوب بن موسىٰ بن عمرو بن سعيد فحبسهما بالمدينة .

وروىٰ ابن أبي سبرة وسليمان بن بلال عن اسماعيل صاحب الأعوص ، وقيل لصاحب الأعوص ليالي قدم داود : لو تغيَّبتَ . فقال : ولا طرفة عين . ولم يتغيب .

---

١ ـ بهامش الأصل : «الأعوص موضع» على أميال من المدينة . معجم البلدان .

أمر حَبيب بن مُرَّةَ المُريّ

قالوا : وخرج حبيب بن مرة المري بحوران ، فكتب ابن علي إلىٰ أبي غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي ، وعثمان بن سراقة البارقي ، وهما بدمشق يأمرهما بالمسير إلى حبيب ، فتوجها إليه فغدر أصحاب عبد الحميد به وتفرقوا عنه ، وذلك لأنهم كانوا يمانية فقالوا : لم نكن لنقاتل إخواننا ، فكسر ذلك سائر الجند فرجعوا إلى دمشق منهزمين ، فلما رأى ذلك أهل دمشق بَيَّضوا وخلعوا ، فأتاهم حبيب بن مرة فأحاط بالمدينة ، فبعث أبو غانم سلمة بن محمد إلى باب الشرقي ومعه عبدالله الطائي فقاتلا أصحاب حبيب ، وخرج أبو غانم من باب الفراديس فمضىٰ ، فقال سلمة : غدر أبو غانم ، وقاتل سلمة حتى قُتل وناس من أصحابه ، وطلب أصحاب حبيب أبا غانم ففاتهم بنفسه وما معه من الأموال والأثقال . وأتىٰ بيروت فنزلها ، وكتب إلى عبدالله بن علي يخبره ، فكتب ابن علي الى أشراف ربيعة واليمن يَعِدُهُم ويُمَنّيهم ويقول : إنكم أنصارنا مذ كانت هذه الدعوة . فاعْتَزِلُوا ورجعوا وخلّوا بينه وبين مضر .

وخرج أهل دمشق ، وهم زهاء ثمانين ألفاً ، فعسكروا يريدون قتال عبدالله بن علي ، فلما نَزَعَتِ اليمانية والربعية عن الحرب رجعوا وانكسروا .

وأتى عبدالله بن علي دمشق فكُلِّم فيهم . وقيل إنه لم يكن لهم ذنب فأمنهم ، ثم ارتحل في المحرم سنة ثلاث وثلاثين إلى حبيب بن مرة بحوران ، فالتقوا فهرب حبيب إلى البادية ويقال بل هرب حين شارف ابن علي .

وفتح عبدالله حوران ، ودخلها لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وقدم علىٰ عبدالله بن علي محمد بن خالد القسري ، ومعن بن زائدة بفتح واسط ، وقتْل يزيد بن عمر بن هبيرة ، ورجع أبو غانم بما حمل إلى دمشق ، ودَسَّ لحبيب فقُتل .

وكان قتل مروان بن محمد في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وله تسع وستون سنة ، فكانت ولايته خمس سنين .

تَمَّ أمر آل أبي العاص

ولد أبي عمرو بن أمية

ولد أبو عمرو بن أمية :

أبا مُعيط ، واسمه أبان ، وأمه آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة .

ومسافر بن أبي عمرو .

وكُمَيْم بن أبي عمرو . ولا عقب لكميم .

وأبا وَجزة واسمه تميم .

وزينب ، وصَفِيّة ، أمهم ريطة بنت الحُويرث . ثَقَفِيّة .

وقال أبو اليقظان : يزعمون أنه عبد كان يسمىٰ ذكوان ، فاستخلفه أمية فكناه أبا عمرو فخلف على آمنة بعد أمية ، وقال : بمكة دار نُسبت إلى كميم ولا عقب له .

فأما أبو وجزة فله عقب ولهم أموال بالبصرة .

وأُسر الحارث بن أبي وجزة يوم بدر ، وسمعه عمر بن الخطاب بعد ذلك يمدح خالد بن الوليد فقال له : يا بن أبي وجزة لا يسمعنّ هذا خالد منك فإنه يحب الفخر ، وحُبّ الفخر مفسدة في الدين .

وأما مسافر بن أبي عمرو فكان من فتيان قريش جمالاً وسخاء وشعراً ، وكان نديماً لأبي طالب بن عبد المطلب ، وكان أتى الحيرة حين اتُّهم بامرأة

يقال لها هند هارباً فأصابته الدُّبَيْلة[1] من شربه الخمر صِرفاً ، ويقال لما ناله من الأسف إذ لم ينلها ، فكواه رجل فضرط الكاوي فقال مسافر : قد يضرط العير والمكواة في النار .

ثم خرج متوجهاً إلى مكة فمات بهبالة[2] ، فقال أبو طالب حين جاءهم نعيه :

لَيتَ شعري مُسَافِرُ بن أبـ ـي عمروٍ وليتَ يقولها المحزونُ
رجع الركب سالمين جميعاً وخليلي في مَرْمَسٍ مدفونُ
بورك الميت الغريب كما بو رك صنو الريحان والزيتونُ
مَيْتُ صِدْقٍ على هَبَالَةَ قَدْحا لَتْ فَيَافٍ من دُونِهِ وَحُزُونُ
مدره[3] يدفع الخصوم بأيدٍ وبوجهٍ يَزينه العِرْنِينْ
رُبَّ خالٍ رُزِئْتُهُ وابنُ عمٍّ وخليل أَتتْ عليه المنونُ
فتعزَّيت بالجَلادة والصَّبْـ ـرِ وإني بصاحبي لضَنِينْ

ويقال إن هذا الشعر لضرار بن عبد المطلب ، والثبت أنه لأبي طالب .

وزعم قوم أنه كان قد زُوِّج هذه المرأة فلم تُهْدَ إليه ، وكان بينهما شيء فهرب إلى الحيرة .

وقال مسافر حين زُوِّجَتْ :

---

١ ـ الدبيلة : داء في الجوف . القاموس .
٢ ـ هبالة : من مياه بني نمير . معجم البلدان .
٣ ـ دره : هجم وطلع ، ولهم وعنهم دفع ، والمدره : السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال . القاموس .

ألا إنّ هنداً أصبحتْ منك مَحْرماً وأصبحتَ شيخاً من حُمُوَّتِها حما
وأصبحتَ كالمسلوب جَفْنُ سلاحه يُقلّب بالكفّين قوساً وأَسْهُمَا

ولما مات مسافر نادم أبو طالب عمرو بن عبد ودّ ، فلما بارزه علي عليه السلام قال له : إن أباك كان لي صديقاً .

وقال مسافر :

غشيتَ الدار موحشةً فَلَمْ تُؤنس بها أحدا
عَفَتْ آياتها إلا أَوَاريًّا[1] ومُنْتَضَدا
وأشعث ماثلاً خَلِقاً وسعفاً حوله ركدا
لهند إنّ ذكراها يهيج لقلبك الكمدا
مَلكْتِ فاسْجِجي وَعِدِي ومَنِّيْنَا غداً فَغَدَا
فإنّا معشر أُنُفٌ نُقيم الدَّرْءَ والصَّيَدَا
ورثنا المجد عن آبائنـ ـنا فَسَمُوا بنا صُعدا

وقال مسافر لأبي أحيحة :

تَمُتُّ إلى الأقصىٰ بثديك كله وأنت علىٰ الأدنىٰ صروم مُجدّدُ
فإنك لو أصلحتَ من أنت مُفْسِدٌ تودّدك الأقصىٰ الذي تتودّدُ
أخوك الذي إن تَجْنِ يوماً عظيمةً يَبِتْ ساهراً إذ سائر الناس رُقدُ
وإنّ ابنُ عم المرء يحمي ذماره ويَمنعُهُ حين الفرائص تُرعِدُ

وقال عمارة بن عقبة :

خلق البيْضُ الحسان لنا وجياد الرِّيْطِ والأُزُرْ
كابراً كنا أحقُّ به حين صِيْغَ الشمس القَمَرْ

١ ـ الأوار : حر النار والشمس والعطش والدخان واللهب . القاموس .

فقال مسافر :

أعُمار بن الوليد وقد يـ ـذكر الشّعار مَن ذَكَرَهْ
هل أخو كاس مخفضها وَمُوَقٍّ صحبَه شُكْرَهْ
وَمُحيّيهُمُ إذا شربوا ومُقِلٌّ فيهُمُ هَذَرَهْ
خُلِقَ البيض الحسانُ لنا وجياد الرَّيط والحَبَرَهْ
كابراً كنا أحقّ به كلّ حيٍّ تابع كبرهْ

وقال مسافر يهجو سعيد بن العاص أبا أحيحة :

فنحن البيض أشبهنا قصياً وأنتم شبه أستاه[1] المزاد

نَسَبَهُ إلى السواد .

وقال أبو اليقظان : مات مسافر بالحيرة ، وموته بهبالة أثبت ، وكان عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية مطعاماً للطعام . قال الشاعر :

مَن سَرَّهُ شحم ولحم داهن فليأت جفنة عقبة بن أبان

وقال ضرار بن الخطاب :

عينُ بَكّي لعقبة بن أبان قِرْمُ فَهْرٍ وفارس الفرسان

وكان عقبة من أشد الكفار على رسول الله ﷺ ، وأُسر عقبة يوم بدر فأمر علياً فقتله صبراً بعرق الظبية ، وقد كتبنا خبره في أول كتابنا .

وكانت لأبي معيط ابنتان : حكيمة وصفية وأمهما سالمة بنت أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي .

فولد عقبة بن أبي معيط :

الوليد بن عقبة . وخالد بن عقبة . وهشام بن عقبة . وعُمارة . وأم

١ ـ أي سافلة المزاد ، واستي الثوب : سداه . القاموس .

كلثوم ، وأم حكيم ، أمهم أَرْوَىٰ بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس .

وأبان بن الوليد . ويَعْلىٰ بن الوليد . وعثمان .

فأما أم كلثوم فكان رسول الله ﷺ يخرجها معه في المغازي فتداوي الجرحىٰ ويضرب لها سهماً ، وصافح رسول الله ﷺ يدها بيده وبين يدها ويده ثوب ، وخطبها إلى عثمان علىٰ زيد بن حارثة مولاه فَتَكَرَّهَ ذلك عثمان وأباها فأخبرها فقالت : لو أمرني رسول الله ﷺ أن أتزوج زنجياً عظيم المشافر محدَّد الأسنان لفعلتُ . فتزوجها زيد فقتل عنها ، فتزوجها عبد الرحمن بن عوف الزهري ، فهلك عنها ، فتزوجها الزبير بن العوام ، ثم طلقها الزبير فتزوجها عمرو بن العاص وكانت معه بمصر .

وحدثني مصعب بن عبدالله قال : هاجرت أم كلثوم بنت عقبة إلى المدينة في الهدنة بين رسول الله ﷺ وقريش ، فأراد أن يردها فقالت : أتردّني يا رسول الله إلى المشركين فيفتنوني عن ديني ؟ فأنزل الله عزوجلّ : ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾[1] الآية. فلم يدفعها وزوّجها زيد بن حارثة.

وولى عثمان الوليد الكوفة فشهد عليه بشرب الخمر فَحُدَّ ، وقد كتبنا خبره ، وكان يكنىٰ أبا وهب ، وكان النبي ﷺ بعثه إلى بني المصطلق مصدقاً فأتاه فقال : منعوني الصدقة كاذباً ، فأمر رسول الله ﷺ بغزوهم فنزلت : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[2] .

١ ـ سورة الممتحنة ـ الآية : ١٠ .
٢ ـ سورة الحجرات ـ الآية : ٦ .

ووقع بين الوليد وبين علي بن أبي طالب كلام في أمرِ هذه الدعوة التي ادّعاها على بني المصطلق أو غير ذلك فقال : لأنا بالكتيبة وأَضْرَبُ لهامة البطل المُشيح منك . فأنزل الله عزوجل : ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[١] .

وتوفي رسول الله ﷺ وهو والٍ علىٰ عمل كان ولّاه إياه ، ولما استخلف عمر بن الخطاب ولاه صدقة تغلب فقال وكان شاعراً :

إذا ما شددت الرأس مني بِمِشْوَذٍ[٢] فويلكِ مني تغلب ابنة وائل

فعزله . وكان جواداً سخياً . وفيه يقول أبو زيد الطائي :

بحمد الله ثم فتىٰ قريشٍ أبي وهب غدتْ غُلباً غرارا

وقال الحطيئة :

أبىٰ لابن أَروىٰ خلّتان اصطفاهما قتال إذا يلقىٰ العدو ونائله

فتىً يملأ الشيزي ويروي بكفه سنان الردينيّ الأصمّ وعامله[٣]

وغزا الوليد أيام ولايته الكوفة آذربيجان فصارت إليه جارية خزرية ، فقالت له يوماً ورأت فرساً جواداً : احملني على هذا الفرس . ففعل ، فركضت ومضت فلم تُلحق ، وكانت حاملاً فجاء فتىً إلى ولد الوليد فادعىٰ أنه ابن الوليد من الخزرية ، وذكر أنه نشأ بالباب والأبواب من أرمينية ، فأنكروه ونفوه فكان يسمّىٰ الدعيّ ، واسمه الحارث ، ويقال عقبة . فقال لعمرو بن الوليد المعروف بأبي قطيفة :

---

١ ـ سورة السجدة ـ الآية : ١٨ .

٢ ـ المشوذ : العمامة . القاموس .

٣ ـ ديوان الحطيئة ص ٧٨ ـ ٧٩ ، والشيزي : الجفان .

يا عمرو يا بن أبي تلافوا أمركم حتى متى ترمي بي الرجوان
يا ليت حظي من تراث أبيكم أن ترفعوا لي نسبتي ومكاني

وقال الحارث الدعيّ ليعلىٰ بن الوليد بن عقبة :

كأنّ على مفارق رأس يحيىٰ خنافس مُوِّتَتْ زَمَن البطاح

وللوليد أشعار كتبناها في مواضع من هذا الكتاب ، ولما احتُضر قال وهو بالبليخ : «اللهم إن كان أهل الكوفة صَدَقوا عليّ فلا تُلَقِّ روحي رَوْحاً ولا ريحاناً ، وإن كانوا كذبوا علي فلا تُرضهم بأمير ، ولا ترضَ عنهم أميراً ، وانتقم لي منهم ، واجعل قولهم كفّارة لما لا يعلمون من ذنوبي» .

وزار الوليد معاوية بالشام فقال له : يا أبا وهب ألستَ أكثر قريش مالاً ؟ قال : بلىٰ . قال : فخرج وأنشأ يقول :

أعفّ وأستغني كما قد أمرتني فأَعْطِ سِوائي ما بدا لك وابخل
سأصرف عنك الرّكز إن سجيتي إذا رابني ريبٌ كَسَلَّةِ منصل
وإنّي امرؤٌ في الدار مني تَطَرّبٌ وليس شبا قفل عليّ بمقفل

ثم أتى الرقة فمات بها ، وقال بعضهم : نزل الوليد بالرقة فلم يأت صفين .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : اعتزل الوليد علي بن أبي طالب ومعاوية ، وأقام بالرقة حتى مات بها أو بالبليخ .

وقال أبو اليقظان : أعجبته البليخ فقال : منك المحشر فمات بالبليخ .

وولد الوليد بن عقبة : عمرا ، كان يكنىٰ أبا قطيفة وكان شاعراً .

وقال مصعب : كني أبو قطيفة بهذه الكنية لأنه كان كثير شعر الرأس

والوجه والجسد(١) ، وسيّره ابن الزبير من المدينة إلى الشام مع بني أمية فقال :

ليت شعري وأينَ مني ليتٌ هل على العهد يلبن فبرام(٢)
أم كعهدي البقيع أم بَدَّلَتْهُ بَعْدَنا المعصفاتُ والأيام
خشيةً أن يصيبهم حدث الدهـ ـر وحرب يشيب منه الغُلام
وبقومي بَدَّلْتُ كلباً ولخماً وجذاماً وأين مني جذام

وقال أبو قطيفة :

بكىٰ أحدٌ إن فارق اليوم أهله فكيف بذي وَجْدٍ من القوم آلفُ
من اجل أبي بكر جَلَتْ عن بلادها أمية والأعلام عُوْجٌ عواطفُ

وذكره ابن القَلَمَّس الكناني فعابه عند عبد الملك فقال :

أنبئتُ أنّ ابن القَلَمَّس عابني ومن ذا من الناس البرىء المُسَلَّمُ
تَبَيَّنْ سبيل الرشد سيد قومه فقد يُبصر الرشد الرئيس المعَمَّمُ
فَمَنْ أنتُمُ إنّا نسينا مَنْ انتُمُ وقد جعلتْ أشياء تُنْسىَ وتكْتَمُ

فولد عمرو بن الوليد وهو أبو قطيفة : ذا الشامة ، وهو محمد ، وأمه ابنة أسماء بن خارجة ، وكان صاحب قرآن ، ومن قرآنه (إن الباقر تشابه علينا)(٣) وكان به شامة ، وولاه مسلمة بن عبد الملك الكوفة ، فرماه أهلها بالزندقة ، وقدم ذو الشامة على يوسف بن عمر ، فأمر له بألف دينار فردّها وقال :

قد قلت حين تَيَّممتْ وبدا لها قَصْدُ السبيل

---

١ ـ كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري ص ١٤٦ .
٢ ـ يلبن : جبل قرب المدينة وبرام جبل عند الحرة من ناحية النقيع . المغانم المطابة .
٣ ـ انظر سورة البقرة الآية : ٧٠ .

قَبَحَ الإلـه قـرابـةً تُـرجىٰ من آل أبي عقيل
قـومٌ إذا مـا جئـتـهـم بـالحقّ والنسب الأصيـل
لم يـرغـبـوا أو يـرهـبـوا يـوماً رجعـتُ بـلا فتيـل
وإذا أردت نَـوالهـم منهـم فيعـدل ألـف ميـل

وأما خالد بن عقبة :

فاستقضاه مروان بن الحكم على المدينة في أيام معاوية ، فوثب غلمان لسعيد بن عثمان عليه فقتلوا سعيداً ، فقال عبد الرحمن بن سيحان حليف بني أمية :

يلومونني في الدار إن غبت عنهم وقد فرَّ عنهم خالدٌ وهو دارع

وقال خالد :

لعمري لقد أبصرتهم فتركتهم بعينيك إذ ممشاك في الدار واسع

فولد خالدٌ : خالداً ولقّب أُجَيْح ، ويكنى أبا العباس ، وفيه يقول عبد الله بن الحجاج الغطفاني :

كأني إذ دخلتُ على أُجيحٍ دخلتُ على مُقَوْقِيَـةٍ تَبيضُ
إوزّة غيـطة لقحتْ كشافـاً لقحقحها إذا ربضتْ نقيض(١)
فإنْ يَعْرِضْ أبو العباس عني ويرمي بي عروضاً عن عروض
ويجعل ما لـه بخلاً لغـيري ويبغضني فـإني من بغيض
فإن بمصر عبد الله يـأسو ويجبر عظم ذي الكسر المهيض

عبد الله هو ابن عبد الملك بن مروان .

---

١ ـ القحقح : العظم المطيف بالدبر ، والنقيض : الصوت . القاموس .

ومن ولد خالد بن عقبة :

هشام . ولي الصائفة زمن الوليد بن عبد الملك وفي الجيش عمر بن عبد العزيز .

قالوا : ولما خرج مروان بن الحكم من المدينة قال خالد بن عقبة :

فـوالله مـا أدري وإني لسـائـل تعاجزتَ يا مروان أم أنت عاجزُ
فررتَ ولمّا تُغْنِ شيئاً وقد تَرى بأنْ سوف ينثو[1] الفعل حادٍ وراجزُ

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص فقال :

أخالد أكـثرت الملامـة والأذى لقومك لمـا هَزْهَـزَتْكَ الهـزاهزُ
أخالد إنّ الحرب عوصاء مُرَّةٌ لها كَفَلٌ نابٍ عن الكفْلِ ناشزُ
يُعجزّ مولاك الذي لستَ مثله وأنت بتعجيز امرىء الصدق عاجزُ
هو المرء يوم الدار لا أنتَ إذْ دعَا إلى الموت يمشي حاسراً من يبارزُ

وقال ابن الكلبي : نزل خالد الجزيرة ، فولده بها اليوم .

قال : وأبو قطيفة الذي يقول :

ألا ليت شعري هل تغير بَعدنا بقيع المصلّى أو كعهدي القرائن
أم الدور أكناف البلاط عوامرٌ كما كُن أم هل بالمدينة ساكن
لعل قريشاً أن تُريع حلومها ويُزجر بعد الشّؤم طير الأيامن

وأما عمارة بن عقبة بن أبي معيط ، فإنه كان مقيماً بالكوفة ، وبها ولده ، وله يقول أخوه الوليد بن عقبة :

فإن يَكُ ظنّي يا بن أميَ صادقاً عُمارة لا تطلب بذحل ولا وتر

وقد ذكرنا هذا الشعر في موضع آخر .

---

١ ـ ينث الخبر : يفشيه . القاموس .

ومن ولده :

أم أيوب ، وأم نافع ، أمهما ابنة هانىء بن قبيصة . فأما أم أيوب فكانت عند عبيد الله بن زياد ، وكانت أم نافع عند زياد بن أبي سفيان .

وقال ابن الكلبي : ولى عبد الملك أبان بن الوليد بن عقبة حمص وقنسرين ، وولى عثمان بن الوليد بن عقبة أرمينية .

وقال ابن الكلبي : كان الذي ذهب برأس يزيد بن المهلب إلى الشام خالد بن خالد بن الوليد بن عقبة . وقال ابن الكلبي :

ولد هشام بن الوليد :

معاوية .

فولد معاوية : هشام بن معاوية بن هشام بن الوليد ، وهو أبو يعيش . ولي الصوائف في زمن الوليد بن عبد الملك .

قال ابن الكلبي : قدم عقفان بن قيس بن عاصم ، أو متمم بن نويرة المدينة ، فنزل على أُروى بنت كريز فأكرمته فقال :

خَلِّفْ على أروى سلاماً فإنما جزاء الثواءِ أنْ تعِفّ وتُحمدا

سلاماً أتى من وامقٍ غير عاشقٍ أراد رحيلاً ما أُعفّ وأمجدا

وكان جساس المعيطي من ولد عمارة ، ويكنى أبا الوليد ، واسمه عمارة ، شيخاً ماجناً تملأ لحيته صدره ، وكان يخضب ، فمرّ ومعه صديق له بين منازل أبي معيط فقال لصديقه : ما أشد الحرّ يا أبا الوليد . قال : أو ما تعلم أنك بين منازل الصبية الذي أوجب لهم رسول الله ﷺ النار ؟ .

ورأى امرأة قد ضُربت الحدّ ، وقد حُملت على حمار ، وهي تنادي على نفسها : من رآني فلا يزني . فدنا منها ثم قال : أَيْ زانية ، إنك إذاً لمطاعة .

ومرّ بخمر قد صُبَّتْ ، وطنبور قد كُسر ، فقال : اللهم غَيِّرْ ما ترى .

وبات مع قوم من أهل الكوفة ، فلما ناموا قام إلى غلام له ملتح ليفسق به ، فلم يُخَلِّ بينه وبين ذلك ، وقال له : أما تستحي من الناس ، ثم صار إلى غلام له آخر فطاوعه على ما أراد ، فلما أصبح اشتري أثواباً فجعل يقطع لنفسه منها ثوباً ولغلامه الذي طاوعه ثوباً ، فقال له الغلام الذي التوى عليه : فأنا مالي ؟ قال : أنت يا بني تتكلم في النوم .

قال ابن الكلبي : وكان يقال للوليد بن عقبة : الأشعر بـركا ، وكان كثير شعر الصدر والجسد ، والبرك : الصدر .

وقال الكلبي : كان سعيد بن عبد العزيز بن خُدينة على خراسان من قبل مسلمة ، وكان مقيماً بهراة فيما ذكر بعضهم ، وكان عبد الملك بن بشر بن مروان من قبله على البصرة . وكان ذو الشامة محمد بن عمرو أبي قطيفة بن الوليد بن عقبة من قبله على الكوفة . فقال الفرزدق حين عزل مسلمة :

عزل ابن عمرو وابن بشر قبله وأخو هراة لمثلها متوقـع[1]

قال الحرمازي : قال هراة ولم يقل خراسان لضرورة الشعر .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص ٤٠٨ مع فوارق .

ومن بني سفيان بن أمية الأكبر بن عبد شمس

حكيم بن طليق بن سفيان بن أمية وكان من المؤلفة قلوبهم ، أعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مائة من الإبل . وكان لسفيان ابن يقال له : المهاجر ، فهلك .

وكان سفيان أحد من تعلم الخط العربي من بشير أخي أُكيدر السكوني في الجاهلية ، وعلّمه غيلان بن سَلمة الثقفي ، وله ابنة تزوجها المغيرة بن زياد بن سُمَيَّة ، ويقال زياد نفسه ، فَدَرج عقب سفيان .

وقال الكلبي : كان لسفيان من الولد لصلبه :

طليق ، والحارث ، وحمنه ، وهي أم سعد بن أبي وقاص .

- ومن بني أبي سفيان بن أمية :

سفيان بن أمية بن أبي سفيان بن أمية الذي ذهب بموت علي بن أبي طالب إلى الحجاز . ولا عقب له .

وأما عمرو بن أمية فولد :

يزيد . وأمه أم قتال بنت عبدالله بن الحارث بن زهرة . درج ولا عقب لعمرو بن أمية .

وأما أبو حرب بن أمية فلا عقب له .

ولد حبيب بن عبد شمس

وأما حبيب بن عبد شمس فولد :

ربيعة . وأمه فاطمة بنت الحارث بن شجنة .

وقال أبو اليقظان : أمه فاطمة بنت عِدّ بن أبي الحارث من عدوان .

وسمرة بن حبيب لأم ولد سوداء يقال لها زبيبة . وأخوه لأمه أبو جمعة جَدّ كثيّر بن عبدالرحمن بن أبي جمعة الشاعر .

وعَمْراً ، وأمه من بني سهم .

فأما **سمرة بن حبيب** فولد : عَمْراً . وأمه ريطة بنت عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .

وعبدالرحمن بن سمرة . وأمه كنانية .

فأما **عمرو بن سمرة** فقطعه النبي ﷺ في سرقة . وولده ينزلون البصرة ، منهم : معاوية بن معاوية السمري . أمه من ولد زياد بن سُمَيّة . وكان من وجوه قريش وذوي المروءة منهم ، وهلك بالبصرة وله عقب .

وأما **عبدالرحمن بن سمرة** فكان يسمى عبدكلال . فسماه رسول الله

ﷺ عبدالرحمن ، وقال له النبي ﷺ : «يا عبدالرحمن لا تطلب الإمارة فإنك إن أُتيتها من غير مسألة أُعنت عليها ، وإن أُتيتها عن مسألة وُكلت إلى نفسك فيها» .

وكانت له صحبة للنبي ﷺ ، وولاه عبدالله بن عامر سجستان فافتتحها . وكان متواضعاً فإذا كان اليوم المطير أخذ مسحاة وكسح الطريق .

وافتتح كابل ، ونزل البصرة ، وبنى بها منزلاً على بناء كابل ، وقد حُدِّث عنه ، ومات بالبصرة فحضر جنازته أبو بكرة ، فسمع قائلاً يقول : رويدكم بالجنازة فعلاه بسوطه وقال : لقد كنا نهرول بها على عهد رسول الله ﷺ هرولة .

ـ فولد عبدالرحمن :

عبيدالله بن عبدالله بن عبدالرحمن بن سمرة ، وكان أعور ، وكان من رجال قريش ، وكان مع عبدالملك بن مروان ، فلما خرج عبدالرحمن بن الأشعث خرج معه ابناه فقال لعبدالملك : ائذن لي حتى أخرج فأردّ ابنيّ ، فأذن له فلحق بابن الأشعث فولاه البصرة . وقال فيه الشاعر :

يا أعور العين فُديت العُورا لا تحسَبَنَّ الخندق المحفورا
يدفع عنك القَدَرَ المقدورا

ثم هرب فأتى خراسان فقال المثنى بن عبيد الأزدي :

وتثعلب الرَوّاض بعد مزاحه وانسلَّ بين غرارتين الأعورُ

الرواض : عبدالرحمن بن العباس الهاشمي ، من بني الحارث بن عبدالمطلب ، وكان يركب البغال فيروّضها .

ولما بلغ الحجاج أنه بخراسان تخوّف أن يؤمنه عبدالملك ، فبعث إلى قتيبة بخرقة وقطنة وتراب وزبيبة فقال قتيبة : يأمرني أن أقتل ابن زبيبة وهذا كفنه ولباسه في تربته . فأخذه فقتله . وزبيبة أم سمرة .

وقتل الحجاج ابنه عتبة بن عبيدالله بن عبدالرحمن بن سمرة بواسط ، وهو صاحب درب ابن سمرة بالبصرة .

وكان ولد عبيدالله : أبا بكر وهو عتبة ، وعثمان ، وكانا خرجا مع ابن الأشعث . ولأبي بكر عقب بالبصرة .

وأما ربيعة بن حبيب بن عبدشمس فولد : كريزاً وأمه خزاعية .

فولد **كريز** : عامر بن كريز . وآمنة ، وأروى . وأم طلحة وهي أرنب . أمهم البيضاء بنت عبدالمطلب ، وهي أم حكيم .

والحارث لأم ولد سوداء ، وشهل بن كريز ، وعُبَيس بن كريز ، أمهما من عبدالقيس ، ويقال أم ولد .

وفاختة . أمها هند بنت جُدعان أخت عبدالله بن جُدعان .

فأما **أروى** فتزوجها عَفّان بن أبي العاص بن أُمية ، فهي أم عثمان بن عفان . ثم خلف عليها عقبة بن أبي معيط .

وأما **أم طلحة** وهي أرنب فتزوجها عامر بن الحضرمي .

وأما **آمنة** فتزوجها الحكم بن كيسان حليف بني المغيرة ، ثم عبدالله بن أبي سعيد ، أو سعيد حليف بني أمية بن المغيرة .

وأما **فاختة** فتزوجها أبو العاص بن نوفل بن عبد شمس .

وأما **عامر بن كريز** فكان مضعوفاً ، وأتى عبدالمطلب فَمَسَّهُ فقال : وأعظُم هاشم ، ما ولد في بني عبدمناف مولود أحمق منه . وفيه تقول أم

حكيم :

إذا ذُكِّرتُ أمركَ عامَ عندي أبيتُ بليلةٍ وُصِلَتْ بشهرِ
فلم تُشْبه أباك ولا أبانا ولكنْ أنت هذرٌ غير صفرِ
فلم آتيه سائلةً لشيءٍ ولا أدعو له أبداً بغفرِ

فولد عامر : عبدالله . وأم رافع . أمهما : دجاجة بنت أسماء بن الصَّلْت بن حبيب بن حارثة بن سِماك السّلمي ، وأمها : أميمة بنت الأخنس سُلمية .

وأبا الصهباء . أمه رومية .

فأما **أم رافع** فتزوجها عبدالله بن الأسود بن عوف الزهري .

وأما **أبو الصهباء** فكانت عنده أم حبيب بنت زياد ، فولدت له ، وله عقب بالبصرة .

وأما عبدالله بن عامر [1] **بن كريز بن ربيعة** بن حبيب بن عبدشمس ، فإن أباه عامر أتى به النبي ﷺ فَحنّكَهُ ، وقال : هذا أشبه بنا منكم فتثاءب فتفل في فيه فازدرد ريقه ، فقال النبي ﷺ : إني لأرجو أن يكون مسقيّاً .

وكان يكنى أبا عبدالرحمن ، واستعمله عثمان بن عفان على البصرة وأعمالها ، فافتتح اصطخر ، وجور ، وكوراً من فارس ، وخراسان وسجستان ، وكابل ، واتخذ النباج [2] في طريق مكة ، وغرس بها نخلاً وحفر آباراً وعمر منازل واتخذ حياضاً ، واتخذ بعرفات حياضاً وسقايات ، واتخذ بالبصرة بالنجيب قصراً يعرف بقصر ابن عامر ، وحفر بالبصرة نهرين

---

١ ـ بهامش الأصل : عبد الله بن عامر .

٢ ـ النباج منزل لحجاج البصرة بين البصرة ومكة . معجم البلدان .

أحدهما في السوق والآخر الذي يعرف بأم عبدالله ، وغرس عليهما غراساً كثيراً .

وأمر ابن عامر زياداً ـ وقد استخلفه على البصرة ـ أن يحفر نهر الأُبُلَّة فحفره .

وكان ابن عامر مسقياً لَوْ مَسّ صخرة لأماهها ـ أي أخرج منها الماء ـ وقال ابن عامر : لو كنت تركت لخرجت المرأة في حُداجها على دابتها ، ترد كل يوم على ماء ، وسوق حتى ترد مكة .

وكان ابن عامر أجود العرب وأسخاهم وأكرمهم . أعطى في ولاية البصرة أربعة وثمانين ألف ألف درهم أجاز بها .

وسأل الوليد بن عقبة مروان وهو على المدينة فأعطاه عشرة آلاف درهم فلم يقبلها ، ومر بالمغيرة بن شعبة فأعطاه عشرين ألفاً على يد ابنه عروة ، وأما ابن عامر فشكا إليه دينه فقضاه عنه ، وكان دينه مائة ألف ، ووهب له مائة ألف أخرى . فقال :

ألا جعل الله المغيرة وابنه ومروان نعلي بذلة لابن عامرِ
لكي يقياه الحرّ والقرّ والأذى ولدغ الأفاعي واحتدام الهواجرِ
يفيض الفرات للذين يَلُوْنَهُ وسَيْبك مالي كل بادٍ وحاضرِ

وكان يقال : أفلح سائل ابن عامر . وقال الراجز لابنه عبدالأعلى :

يابن الذي أفلح عفواً سائله وأنجحتْ لما أتى وسائله

المدائني عن مسلمة عن الجارود بن أبي سبرة قال : أَحْرَمَ عبدالله بن عامر من نيسابور شكراً لله ، فأحدث السقايات بعرفات وعَمَّر النباج ، قال : فالنباج يعرف بنباج ابن عامر .

وقال أبو السنابل بن عبدالله :

أنا ابن مُصَدِّر الحُجاج ريّاً بمائهم وألبان اللقاح
وكان إذا أصاب الناس جهد يباري الريح من فضل السماح

فلما قتل عثمان أتى مكة فقدم مع طلحة والزبير وحضر يوم الجمل فقتل ابنه عبدالرحمن ، ثم لحق بدمشق فقال الشاعر :

أتاني من الأنباء أن ابن عامر أناخ وألقى في دمشق الرواسيا

فلما ولي معاوية الخلافة ، ولى عبدالله بن عامر البصرة وأعمالها ، وكان عقده عليها بالنخيلة بالكوفة ، وزوج معاوية ابن عامر هند ابنة معاوية ، وكانت ولايته لمعاوية خمس سنين ، ثم عزله معاوية واستعمل الحارث بن عبدالله الأزدي ، ثم استعمل زياداً فتحامل على ابن عامر .

ثم ولى عبيدالله بن زياد فأضرّ به في مواليه وأمواله ودوره وأنهاره ، ثم أتى مكة فمات بها ودفن بعرفات ، وأوصى الى ابن الزبير .

وقال الواقدي : لما فتح رسول الله ﷺ مكة أُتي بعبدالله بن عامر وهو ابن خمس أو ست فقال : «إن شبهنا لَفِيْهِ . وتَفَلَ في فمه وقال : لو أنه قدح حجراً أَمَاهَهُ» .

قالوا : قدم الأحنف البصرة من خراسان على فرسه الذي أبدى عليه وبغله الذي عليه ثقله إلا أن معه شيئاً سوى ذلك أتى به ابن عامر فقال : هذا شيء ذكر لي انه هدية النوروز ، فقال عبدالله بن عامر : هو لك . قال : لا حاجة لي فيه . قال : فلابنك . قال : ما كنت أرضى له إلاّ بما أرضى لنفسي . قال الحسن : فَضَمَّ ذلك إليه رجل مضَمّ . قالوا : وأراد معاوية أن يصطفي أموال ابن عامر ، فقال ابن عامر : قال رسول الله ﷺ :

«المقتول دون ماله شهيد» ، والله لأقاتلنّه حتى أُقتل دون مالي . فأعرضَ عنه معاوية .

وقال أبو الأسود في ابن عامر وعيب عليه :

ألم تر ما بيني وبين ابن عامر   من الودّ قد بالت عليه الثعالب
فأصبح باقي الود بيني وبينه   كما لم يكن والدهر جَمّ العجائب
فما أنا بالباكي عليه صبابة   ولا بالذي تأتيه عني المثالب
إذا المرء لم يحببك إلا تكرهاً   بدا لك من أخلاقه ما تجانب[1]

وقال المدائني : كانت هند بنت معاوية أبرّ الناس بابن عامر ، فجاءته يوماً بالمرآة والمشط وكانت تولِي خدمته نفسها . فنظر في المرآة فالتقى وجهه ووجهها في المرآة ، فرأى شبابها وجمالها ورأى الشيب في لحيته قد ألحقه بالشيوخ فرفع رأسه إليها وقال : الحقي بأهلك وأبيك ، فانطلقت حتى دخلت على أبيها فأخبرته فقال : وهل يُطلّق الحرّةَ حرٌّ ؟! فأرسل إليه : أكرمتك بابنتي فرددتها عليّ . فقال : إنّ الله مَنَّ عليّ بفضله وجعلني كريماً لا أحبُّ أن يتفضل أحد عليَّ ، وإنّ ابنتك من أكرم صاحبة وقد أعجزتني مكافأتها لحسن صحبتها ، ونظرت فإذا أنا شيخ وهي شابة لا أزيدها مالاً إلى مالها ولا شرفاً إلى شرفها ، فرددتُها عليك لتُزوّجها ، وكان رجلاً سخياً كريماً .

وقال النابغة :

فياليت من يأتي ابن هند بحاجتي   ومروان والأقباء تُهدى وتُجلبُ
يخبّر عني ما أقول ابنَ عامرٍ   فنعمَ الذي يأوي إليه المصعَّبُ

---

١ ـ ديوان أبي الأسود ص ١٥٨ مع فوارق .

كريم ينال الصالحين نـواله ويروى بكفيه السّنان المجرّبُ[1]

وقال أبو الأسود :

يـا خليلي مـا الذي غـيَّرَ لي ودَّهُ والنصـح حتى ودّعَـهْ
لا تَهنِي بعـد أن أكـرمتني فشـديدٌ عـادَه مُنْتَزِعَـهْ[2]

وقال ابن عامر لعبد الله بن عمر : اتخذتُ مصنعة كذا ، وحفرت بئر كذا ، وسقيت الناس الماء بمكان كذا ، فقال له ابن عمر : إذا طابت المكسبة زَكَتِ النفقة ، وسترد فَتَعْلَم .

وقال ابن الأعرابي : حدثني سعيد بن سلم عن أبيه قال : تخاصم رجلان من قريش إلى مروان بن الحكم بالمدينة في مال ، فقال لبعض حرسه : انطلق بهما إلى عبد الله بن عامر وقل له : انظر في أمر ابن عَمَّيْكَ ، فقال : ما قيمة ما تتنازعان فيه ؟ قالا : عشرة آلاف دينار . قال : أيعجز مروان أن يغرم عشرة آلاف دينار في إصلاح بينكما . فغرمها ، فقال مروان : أردنا أن نفضحه ففضحنا .

فولد عبد الله بن عامر :

عبد الرحمن الأكبر . وعبد الله الأعمى . وعبد الملك . أمهم كُبيشة بنت الحارث بن كُريز .

وعبد الحكيم . وعبد الواحد الأكبر . وأمهم أم حبيب بنت سفيان ، كنانية .

١ ـ ديوان النابغة الجعدي ـ ط . دمشق ١٩٦٤ ص ٧ ـ البيتان الأول والثاني دون الثالث مع فوارق .
٢ ـ ليسا في ديوان أبي الأسود المطبوع .

وعبد الحميدالأصغر . وعبد العزيز . أمهما من بني المطّلب بن عبد مناف .

وعبد العزيز . وعبد المجيد لأم ولد .

وأبا النضر واسمه عبد الرحمن لأم ولد .

وعبد الجبار لأم ولد . وعبد ربه . وأم كلثوم وأمها أمة الله من بني عدي بن كعب . وكانت أم كلثوم عند يزيد بن معاوية . وفيها يقول :

إذا ظللتُ على الأنماط متكئاً بدير مروان عندي أم كلثوم

وأم رافع . وزينب ـ وكان أبان بن عثمان بن عفان تزوجها ـ. وأمهما ثقفية . وأمة الحميد وأمها هند بنت سهيل بن عمرو . وأم عبد الملك ، أمها هند بنت أبي العاص بن نوفل بن عبد شمس ، تزوجها عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية .

وعبد الكريم . وعبد الرحمن أبا السنابل لأم ولد .

وعبد السلام أمه من بني عبد الدار .

فأما عبد الرحمن بن عبد الله فقتل يوم الجمل ولا عقب له .

وأما عبد الله الأعمى فولد : عبد الرحمن . وعبد الأعلى . وأمة الرحمن لأم ولد . وعبد القدير . وعبد الحميد . وعبد الواحد . وعبد الجبار . وحميدة . وأمهم خزاعية ، وعبد العزيز أمه ابنة الحارث بن نوفل ، وأمها هند بنت أبي سفيان بن حرب . وعبد الملك ، وأم عبد الله ، أمهما من بني عقيل . وعبد الغفار ، وأم عبد الملك أمهما من ولد قدامة بن مظعون .

وعبد الله وعبد القدوس أمهما كلبية .

فأما حميدة فكانت عند محمد بن يوسف أخي الحجاج .

وأما عبد الرحمن فكان ينزل المدينة وعقبه بها .

وأما عبد العزيز فكان راوية للشعر ، وكان يرمى بالكذب . على أنه كان له قَدْرٌ .

وأما عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر فكان يكنى أبا عبد الرحمن ، وكان من أفصح الناس وأسخاهم ، وكان شجاعاً ، وشهد يوم الزاوية مع الحجاج ، ويوم رستقاباذ ، وقال فيه رؤبة بن العجاج :

لأهـديَنَّ مـدحـة لاتبـلى إلى ابن عبد الله عبد الأعلى

قـد سُربـل المجـد فتـى وكهـلا[1]

ومات بالبصرة. وكان سخياً، وعقبه بالبصرة كثير.

وقال بلال بن أبي بردة لرجل: أتأتي صديقك اليوم ـ يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله ـ فقال: نعم نأتيه وهو متصبح، ثم ينتبه فيقعد فإن حدثناه أحسن الاستماع، وإن سكتنا ساقطنا أحسن الحديث، ثم يأتي طباخه فيخبره بما عنده مما أَعَدَّ له ثم يقدمه، ويؤتى من عند نسائه بألطافٍ فيأكل ويمعن ثم يأكل معنا .

قال: وقال الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: لكَرَمُ عبد الأعلى وسخاؤه أنصع وأفضل من كرم عبد الله بن عامر، وسعيد بن العاص وسخائيهما، لأن ذينك كانا يعتمدان في إنفاقهما على بيت المال، وهذا يعتمد على صلب ماله.

وولى الرشيد أمير المؤمنين عمر بن عبد الرحمن بن عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله البصرة، وكور دجلة.

١ ـ لم ترد هذه الأبيات في ديوان رؤبة المطبوع.

وأما عبد الملك بن عبد الله بن عامر، فكان يقال له قفيز، وولي بعض فارس للقباع وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أيام الزبير.

وقال ابن الكلبي: ولي البصرة أيام ابن الزبير وولده بالبصرة.

فولد عبد الملك: عبد الكبير. وأم عبد الغفار وأمهما حنفية، وكان البراء بن قبيصة الثقفي خطبها فقال:

أم عبد الغفار هاتي نَوَالا وصِلِي حبل عـاشق إرسالا

فتزوجها عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر، وولد عبد الملك بالبصرة.

وولد عبد الكريم بن عبد الله بن عامر: عبد الحميد، فولد عبد الحميد: عبيد الله بن عبد الحميد بن عبد الكريم بن عبد الله بن عامر ولقّب عبيد الله ترفل، قتله أبو مسلم، وقتل أخاه عبد العزيز بن عبد الحميد بن عبد الكريم، ولترفل يقول ثابت قطنة:

أيذهب هذا الدهر لم نَسْقِ ترفلاً وأشياعه الكأس التي صَبَّحوا جَهْمَا

وقد ذكرنا خبر ترفل الذي قيل هذا الشعر فيه مع خبر خدينة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وعبد الحميد بن عبد الكريم بن عبد الله بن عامر هو الذي قتل ابن ناشرة الحنظلي بسجستان، ويقال بل قتله ابنه عبد العزيز بن عبد الحميد.

وقال المدائني عن أبي اليقظان: قتل ابن ناشرة عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز، وكان سبب ذلك أن طلحة الطلحات الخزاعي لما احتضر استخلف رجلاً من بني يشكر على سجستان فأخرجته المضرية، وغلب كل امرىء منهم على ناحية، فكانوا كذلك حتى قدم هذا الكريزي،

فاتفقت عليه مضر وصالحوه، فدخل مدينة زرنج وقاتل رتبيل، وعاد المضريون إلى أماكنهم التي كانوا يأكلونها، وأرسل إليه عبد الله بن ناشرة أن خذ ما في بيت المال وانصرف.

وغلب ابن ناشرة على زرنج، وبلغ ذلك وكيع بن أبي سود التميمي فلحقه فردّه، وأخرج ابن ناشرة إلى مكانه، ودلف إليه عبد الحميد أو عبد العزيز ابنه ومعه وكيع فتحاربا، وعثر بابن ناشرة فرسه، فاندقّت رجله وهزم أصحابه، وقتل فقال أبو حزابة أو حنظلة بن عرادة:

لعمري لقد هدَّت قريش عروشنا بأبيض نفّاح العشيات أزهرا
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا بنا وبكم أو نُصدر الأمر مصدَرَا
ألا لافتىً بعد ابن ناشرة الفتى ولاشيء إلا قد تولّى وأَدبرا
فتى حنظليٌّ ماتزال يمينه تجود بمعروف وَتُنكِرُ مُنكرَا
أكانَ حصاداً للمنايا ازْدَرَعْنَهُ فهلا تركْنَ النَّبْتَ ما كان أخضرا

في أبيات:

ولم يزل هذا الكريزي على سجستان حتى قتل مصعب فولى عبد الملك مكانه رجلاً.

وقال الكلبي: هذا الكريزي عبد الحميد.

وقال المدائني: هو عبد العزيز ابنه أخو تُرفُل.

وقال ابن الكلبي: اسم ترفل عبد الله.

وقال غيره: اسمه عبد الحميد، وقول الكلبي أثبت.

وأما أبو السنابل وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر فولد: عبد المجيد، أمه سلمة من ولد أسيد بن عبد العزى. وعبد الله لأم

ولد. وأمة الواحد لأم ولد، ولأبي السنابل عقب، وحضر أبو السنابل ـ وكان شاعرا ـ سيل الجحاف.

وأما عبد الجبار بن عبد الله بن عامر فولد أولاداً. وكذلك عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر. وكذلك عبد الحميد بن عبد الله بن عامر.

وأما الحارث بن كريز، وأمه سوداء فولد:

عبد الله. وعثمان، أمهما من بني سامة بن لؤي. وكبشة، أمها عبدرية. فتزوج كبشة مسيلمة الكذاب، ثم تزوجها عبد الله بن عامر.

وأما عيسى بن كريز فولد:

مسلم بن عيسى، وكان له قدر بالبصرة، قتله الخوارج من الأزارقة وقد كتبنا خبره. وحدثني عباس بن هشام ابن الكلبي عن أبيه ـ وذكره المدائني ـ قالا: كان يقع بين ابن عامر وبين مروان الكلام فيظفر به ابن عامر، فقال معاوية لعبد الله بن عامر: إنه يكون بينك وبين مروان الشيء فتظفر به. فقال: إنه يجدني عضاً شديد الخصومة. فقال: لو لقيت رجلاً عَرَّفَك نفسك. فقال ابن عامر: فكن أنت ذلك الرجل ياأمير المؤمنين. قال: أنا ابن هند بنت عتبة. قال: وأنا ابن أم حكيم بنت عبد المطلب. قال: ارتفعت جداً. قال: وانخفضتَ ياأمير المؤمنين، فقال معاوية: اذكر دجاجة بنت الصَّلْت. قال: وأنت فاذكر حمامة ـ وحمامة امرأة من بني غفار نالت معاوية ولادتها وكان يقال فيها.

قالوا: وضعف أمر ابن عامر، فكتب إليه معاوية في القدوم عليه، وذلك في سنة أربع وأربعين فاستخلف على البصرة قيس بن الهيثم وقدم فردّه على عمله، فلما ودّعه قال له معاوية: إني سائلك ثلاثاً فقل هي لك. قال:

هي لك وأنا ابن أم حكيم. قال معاوية: تردّ علي عملي ولاتغضب. قال: قد فعلت. قال: وتَهَب لي مالك بعرفة. قال: قد فعلت. قال: وتَهَب لي دارك بمكة. قال: قد فعلت، قال: وصلتك رحم. فقال ابن عامر: ياأمير المؤمنين إني سائلك ثلاثاً. قال: هي لك وأنا ابن هند. قال: تردّ علي مالي بعرفة. قال: قد فعلت. قال: ولا تحاسب لي عاملاً، قال: قد فعلت. قال: وأنكحني هند ابنتك. قال: قد فعلت.

ويقال إن معاوية قال له: اختر بين أن أردك إلى عملك وأحاسبك فاتّبع عليك، وبين أن أسوّغك ماأصبتَ وأعزلك. فاختار أن يسوغه ذلك.

المدائني عن مسلمة وغيره قال: كان ابن عامر لينّ الولاية لايقطع في ولايته ولايعاقب، وكان أَتْوَه أحمق. وشكا ابن عامر إلى زياد فساد الناس، فقال: جَرِّدْ فيهم سيفك. فقال: أصلحهم بفساد نفسي.

بنو ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف

ولد لربيعة بن عبد شمس:
عُتَبَة. وشَيْبَة. ورَيْطَة. وعاتكة، أمهم خُنَاس من بني عامر بن لؤي.
وأبا عتبة. وصفية. وعاتكة الصغرى. وهالة، وأمهم من بني زهرة يقال لها ضيزنة. فأما هالة فكانت عند الأفقم بن أبي عمرو النصري.

وأما عتبة فكان سيد قريش في زمانه وكان من المطعمين يوم بدر، رُوي عن عبد الله بن عمر أنه قال: كان عتبة سيد قريش في الجاهلية، وقيل: ماساد قريشاً مملق غير عتبة، وأبي طالب.

وقتل عتبة عبيدة بن الحارث يوم بدر، ويقال إنه شرك في قتله علي بن أبي طالب، ويقال قتله حمزة. وقد كتبنا خبره فيما تقدم.

فولد عتبة: الوليد. قتل يوم بدر. وأبا هاشم بن عتبة وكان صالحاً فقيهاً ومات بالشام. وهاشماً. وآمنة. وأبا الحكم. والمغيرة. وعبد شمس. وهنداً. وفاطمة. وعاتكة. وفاختة، وأمهم من ولد الأوقص السُّلَمي.

وأبا حذيفة بن عتبة. وحفص بن عتبة، وأمهما أم حفص ويقال أم صفوان بنت صفوان كنانية.

ونعمان. وربيعة، أمهما بَرَّه دوسيَّة.

والفارعة.

وقد كتبنا خبر هند بنت عتبة ومن تزوجها،وهي أم معاوية.

وتزوج أم أبان بنت عتبة: يزيد بن أبي سفيان فهلك عنها، فخطبها عمر بن الخطاب فقالت: لاأتزوجه لأنه يدخل عابساً، ويخرج عابساً، يغلق أبوابه ويُقلّ خيره.

ثم خطبها الزبير بن العوام فقالت: يَدٌ لَهُ على قروني، ويَدٌ لَهُ في السوط.

ثم خطبها علي بن أبي طالب فقالت: ليس للمرأة منه حظ، إلا أن يقعد بين شعبها الأربع.

ثم خطبها طلحة بن عبيد الله فتزوجها فدخل عليها علي فقيل: رددت هذا وتزوجت ابن الحضرمية؟ فقالت: القضاء والقدر. فقال: أما لقد تزوجت أجملَنَا أمراً وأجودَنَا كفاً، وأكثَرَنا خيراً على أهله.

وأما عاتكة فتزوجها أبو أمية بن المغيرة المخزومي.

وأما فاطمة فتزوجها القاسم بن حبيب الثقفي.

وأما الفارعة فكانت عند جندب بن عمرو بن حممة الدوسي.

وأما صفية فكانت عند عبد شمس بن الشريد المخزومي.

وكان عتبة نديماً لمطعم بن عدي.

وأما أبو حذيفة[1] بن عتبة بن ربيعة فأسلم واسمه هُشيم، ويقال مهشم،وأم أبي حذيفة أم صفوان وهي فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محَرّث

١ ـ بهامش الأصل: أبو حذيفة.

الكناني، وبعضهم يقول أم حفص. والأول أثبت.

حدثني الوليد بن صالح، ومحمد بن سعد قالا: حدثنا محمد بن عمر الواقدي عن محمد بن صالح عن يزيد بن رومان قال: أسلم أبو حذيفة بن عتبة قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

وقال الواقدي: نزل أبو حذيفة وسالم مولى أبي حذيفة بالمدينة على عباد بن بشر، وآخى رسول الله ﷺ بين أبي حذيفة وعبّاد وقتلا جميعاً باليمامة.

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: شهد أبو حذيفة بدراً، فدعا أباه عتبة بن ربيعة إلى البراز فقالت هند أخته:

الأحولُ الأثعلُ الملعون طائِرهُ أبو حذيفة شر الناس في الدينِ
أما شكرتَ أباً ربّاك في صغرٍ حتى شَببتَ شباباً غير محجونِ

وكان عتبة قد حمل على الخروج مع قريش، فقال رسول الله ﷺ: «إنْ يَكُنْ عند أحدٍ منهم خير فعند صاحب الجمل الأحمر». فذكر غير الواقدي أن عتبة دعا للبراز فتعرّض أبو حذيفة للنبي ﷺ ليأمره بمبارزته فأعرض عنه، فلما قتل بكى أبو حذيفة، فقال النبي ﷺ: «ألم أركَ تعرضتَ لمبارزته فما بالك تبكي»؟. أو كما قال. فقال: لو أمرتني لفعلت فعلاً يعجب الناس. ولكن سمعتك تقول ماقلت فيه، وكان رجلاً عاقلاً، فلما قتل جزعتُ له من النار.

وكان له قول في أمر العباس قد ذكرناه في خبر العباس.

قال: وكان أبو حذيفة رجلاً طوالاً، حسن الوجه، مترادف الأسنان،

وهو الثُّعَل[١] وكان أحول، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها، وقتل يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة. وكان أبو حذيفة من مهاجرة الحبشة في المرتين جميعاً، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو من بني عامر بن لؤي.

فولد له بالحبشة : محمد بن أبي حذيفة وأمه سهلة . وعاصم بن أبي حذيفة وأمه بنت عمرو بن حرب بن أمية ، ولا عقب له ولا لمحمد أيضاً ، فلما قتل أبو حذيفة كفله عثمان بن عفان وأحسن إليه ومانه[٢] وأنفق عليه ، فلما خرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى مصر والياً عليها من قبل عثمان ، خرج محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة إلى مصر . فغزوا في البحر سنة أربع وثمانين ، فصلى عبد الله بن سعد فكبّر محمد بن أبي حذيفة خلفه تكبيراً أفزعه فنهاه وقال : لولا أنك حدث أحمق لقاربتُ بين خطاك .

وكان يعيبه ويعيب عثمان بتوليته إياه ، ويقول : ولي عثمان رجلاً أباح رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح ، ونزل القرآن بكفره . ثم أظهر الطعن على عثمان وذم سيرته ، فكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان : «إن محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن أبي حذيفة قد أنغلا عليك المغرب وأفسداه» . فقال عثمان : اللهم إني ربيته رحمة له وصلة لقرابته ، وكتب إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح : «أما محمد بن أبي بكر فإني أدعه لأبي بكر وعائشة ، وأما ابن أبي حذيفة فإنه ابني وابن أخي ، وأنا ربيته وهو فرخ قريش» .

فكتب عبدالله بن سعد: «إن هذا فرخ قد استوى ريشه، ولم يبق

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٨٤ ـ ٨٥ .

٢ ـ مانه : قام بكفايته . القاموس .

إلا أن يطير»، فبعث عثمان إلى محمد بن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم وبجمل عليه كسوة ، فأمر بذلك فوضع في المسجد ثم قال : يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه ، فازداد الناس طعناً على عثمان واجتمعوا على ابن أبي حذيفة فرأسوه عليهم .

وكتب إليه عثمان يذكّره برَّه به ويقول : «لقد كنت أنكث المخ على المائدة فأؤثرك به ، فقد عاد ذلك بالمكروه عليّ أحوَج ما كنتُ إلى شكرك» .

فلم يزل ابن أبي حذيفة يحرض أهل مصر على عثمان ، حتى سَرَّبَهُم إلى المدينة ، فاجتمعوا مع أهل الأمصار إليه ، فلما حوصر عثمان ، وثب هو على عبد الله بن أبي سرح فطرده عن مصر وصلى بالناس .

فلما قتل عثمان ، وبويع لعلي بن أبي طالب ولي قيس بن سعد بن عبادة مصر ، فقال ابن أبي سرح : أبعد الله ابن أبي حذيفة ، بغى على ابن عمه ، وسعى عليه فجهز الرجال عليه ووثب بعماله ، ثم ولي عليه من هو أبعد رحماً فلم يمتّعه بسلطان بلده حولاً ولا شهراً ، ولم يره لذلك أهلاً . وخرج ابن أبي سرح حتى صار إلى معاوية .

ثم إن علي بن أبي طالب اتهم قيس بن سعد بالميل إلى معاوية لكفه عن قتال مسلمة بن مخلد الأنصاري ثم الخزرجي ، وكان قد جمع وطلب بدم عثمان ، فولى محمد بن أبي بكر مصر ، فلما مضت صفين بلغ علياً التياث الأمر على ابن أبي بكر ، فولى مصر الأشتر فهلك بالقُلزم[1] ، وكان من أمر ابن أبي بكر ومقتله ما قد ذكرناه فيما مضى .

وأصيب محمد بن أبي حذيفة فبعثوا به إلى معاوية وكان ابن خالة

١ ـ السويس حالياً .

معاوية بفلسطين فَوَبَّخه وعنَّفه ثم حبسه في سجن له مُرَفَّهاً مُوَسَّعاً عليه فهرب ، وكان معاوية يهوى خلاصه ويكره إظهار ذلك لأهل الشام ، وكان عثمان حَدَّ محمد بن أبي حذيفة في الشراب ، ضربه ثمانين .

وقال أبو مخنف وغيره : فقال رجل من خثعم يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام ـ وكان عثمانياً ـ : أنا أتبع محمداً ، فخرج في خيل فلحقه بحوران وقد دخل غاراً فكره أن يأتي به معاوية فيعفو عنه فضرب عنقه .

وقال هشام ابن الكلبي عن أبيه : هرب محمد بن أبي حذيفة من سجن معاوية بعد قتل معاوية حجر بن عدي الكندي ، فطلبه مالك بن هبيرة بن خالد الكندي ثم السلولي ، ووضع الأرصاد عليه فقتله غضباً لحجر ، وقد كان التمس خلاص حجر فألفاه وقد قتل .

وقال ابن الكلبي : قد انقرض ولد أبي حذيفة وانقرض ولد عتبة بن ربيعة إلّا ولد المغيرة بن عمار بن عاصم بن الوليد بن عتبة وهم بالشام .

وأسلم سالم مولى أبي حذيفة[1]:

وهو في رواية موسى بن عقبة : سالم بن نبتل ، ونبتل من أهل اصطخر ، وذكر أن سالماً مولى ثبيتة بنت يعار من الأنصار من الأوس ، فسالم يُذكر مع الأنصار لأن ثبيتة أعتقته ، ويذكر في المهاجرين لولاء أبي حذيفة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة عن داود بن الحصين قال : كان سالم لثبيتة بنت يعار الأنصارية ، وكانت تحت أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة فأعتقته سائبة ، فتولى أبا حذيفة وتبناه أبو حذيفة فقالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة : جئت إلى النبي

١ ـ بهامش الأصل : سالم مولى أبي حذيفة .

ﷺ بعد نزول هذه الآية : ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾[1] فقلت : يا رسول الله إنما كان سالم عندنا ولداً . قال : «فأرضعيه خمس رضعات ويدخل عليكم» . قالت : فأرضعته وهو كبير . وزوّجه أبو حذيفة ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، فلما قتل سالم يوم اليمامة أرسل أبو بكر بميراثه إلى مولاته فأبتْ أن تقبله ، وقالت : إني سيبته . فجعله أبو بكر في بيت المال .

قال الواقدي : فحدثتُ ابن أبي ذئب بهذا الحديث فقال : أخبرني يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن المسيّب قال : كان سالم سائبة ، فأوصى بثلث ماله في سبيل الله ، وبثلثه في الرقاب وبثلثه لمواليه .

حدثني محمد بن سعد وروح بن عبد المؤمن قالا : حدثنا عارم بن الفضيل ، ثنا حماد بن زيد ، وحدثني أبو الربيع الزهراني ، ثنا حماد بن زيد ، أنبأ أيوب عن محمد بن سيرين أن سالماً مولى أبي حذيفة أعتقته امرأة انصارية سائبة وقالت : والِ من شئت ، فوالى أبا حذيفة ، فكان يدخل على امرأته فذكرت ذلك للنبي ﷺ وقالت : إني أرى ذلك في وجه أبي حذيفة ، فقال : «أرضعيه» . قالت : إنه ذو لحية . قال : «قد علمتُ أنه ذو لحية» . قال : فقتل يوم اليمامة فدُفع ميراثه إلى المرأة .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا الفضل بن دكين أبو نعيم ، ثنا معقل بن عبيدالله عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد أن سهلة بنت سهيل بن عمرو أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله سالم مولى أبي حذيفة معي وقد أدرك مدرك الرجال . فقال : «أرضعيه فإذا فعلت فقد حرم عليك» .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن معمر عن الزهري قال : قالت

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٥ .

أم سلمة : أبى سائر أزواج النبي ﷺ أن يدخل عليهنّ أحد بعد الرضاع وقلن : إنما هذه رخصة من النبي ﷺ لسالم خاصة .

وقال الزهري : حدثني عروة عن عائشة أنها أخذت بذلك من بين أزواج النبي ﷺ .

حدثني محمد بن سعد والحسن بن الأسود قالا : ثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن منصور عن مالك بن الحارث قال : كان زيد بن حارثة معروف النسب ، وكان سالم مولى أبي حذيفة غير معروف النسب .

حدثني محمد بن سعد ، ثنا أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن سفيان عن مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : «خذوا القرآن عن أربعة : عبدالله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة[1]» .

وحدثني عمرو الناقد ، والحسين بن الأسود عن أبي معاوية بهذا الاسناد مثله .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبيد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن المهاجرين الأولين لما قدموا من مكة إلى المدينة نزلوا إلى جنب قباء ، فأَمَّهُم سالم مولى أبي حذيفة لأنه كان أكثرهم قرآناً ، وفيهم عمر بن الخطاب ، وأبو سلمة بن عبد الأسد .

وقال الواقدي : كان سالم يَؤُمّ المهاجرين من مكة إلى المدينة ويؤمهم بقباء إلى قدوم النبي ﷺ المدينة لأنه كان أقرأهم لكتاب الله .

حدثني محمد بن حاتم المرزوي ، ثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٨٥ ـ ٨٧ .

ابن عمر قال : لما قدم المهاجرون الأولون من مكة مقدم رسول الله ﷺ المدينة نزلوا العُصَبة[١] فكان سالم مولى أبي حذيفة يؤمهم لأنه كان أكثرهم قرآناً فيهم عمر بن الخطاب وأبو سلمة بن عبد الأسد . قال : وآخى رسول الله ﷺ بين سالم وبين أبي حذيفة وبين أبي عبيدة بن الجراح وآخي بينه وبين معاذ بن ماعص من الأنصار وهو أحد من استشهد يوم بئر معونة .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يونس بن محمد الظفري عن يعقوب بن عمر بن قتادة قال : أخبرني محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال : لما انكشف المسلمون يوم اليمامة قال سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة : ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ . فحفر لنفسه حفرة وقام فيها ومعه راية المهاجرين يومئذ ، ثم قاتل حتى قتل شهيداً ، وذلك في سنة اثنتي عشرة .

قال الواقدي : وقال غير يونس : فوجد رأس سالم عند رجلي أبي حذيفة أو رأس أبي حذيفة عند رجلي سالماً .

حدثني أبو موسى إسحاق الفروي ، ثنا أبو معاوية الضرير عن أبي إسحاق الشيباني عن ابن أبي الجعد عن عبد الله بن شداد أن سالماً مولى أبي حذيفة قتل يوم اليمامة فباع عمر ميراثه بعد فبلغ مائتي دينار ، فأعطاها أمه ، وقال : كُليها[٢] .

وقال ابن الكلبي : كان لأبي حذيفة من الولد :

عاصم بن أبي حذيفة ، وأمه آمنة بنت عمر بن حرب بن أمية وقد انقرض ولد أبي حذيفة ، وانقرض ولد عتبة بن ربيعة إلّا ولد المغيرة بن

---

١ ـ العصبة : موضع بقباء . المغانم المطابة .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٨٨ .

عمار بن عاصم بن الوليد بن عتبة وهم بالشام .

وقال أبو اليقظان : أسلم أبو هاشم بن عتبة وغزا بعض الشام .

وقال أبو اليقظان : ولد أبو هاشم عبد الله ، وأمه ابنة شيبة بن ربيعة ، وأم خالد أمها خثعمية . وسالماً لأم ولد ، فكانت أم خالد عند يزيد بن معاوية ، ثم خلف عليها مروان بن الحكم وهي التي قتلته غماً . ولا عقب لأبي هاشم بن عتبة .

وأما الوليد بن عتبة فقتل يوم بدر ، فادعت هند بنت عتبة رجلاً يقال له عاصم أنه ابنه ، فولاّه معاوية المدينة يسيراً فقال الشاعر :

كانت إمارة عاصم كسحابة بَرَقَتْ ولم تُمطر بنَوْءِ العقرب

ولا عقب للوليد .

وأما هاشم بن عتبة فولد :

درّة ، وأمها صفية من بني كنانة .

وأما شيبة بن ربيعة ، ويكنى أبا هاشم ، فكان يؤذي رسول الله ﷺ أذى كثيراً ، ولا يتولاه بنفسه ، وإنما كان يدسّ من يتولاه ، فقتله عبيدة بن الحارث بن المطّلب يوم بدر ، وذفف عليه حمزة وعلي ، ويقال قتله حمزة ، وقد كتبنا خبره فيما تقدم .

فولد شيبة :

عبد الله . وزينباً ، وأمهما الفارعة بنت حرب بن أمية .

ورملة ، أمها من بني عامر بن لؤي ، وكانت رملة عند عثمان بن عفان فقتل عنها .

وأما عبيد الله فولد :

يزيد ، وأمه ثقفية . وعبد الرحمن ، وأمه ابنة المطلب بن الحويرث من بني أسد بن عبد العزى .

وأما عبد الرحمن فولد :

أبا يسار ، وأمه مخزومية ، وكان أبو يسار يتيماً لعثمان بن عفان تبنّاه ، فدخل عليه الزبير بن العوّام يوماً فسبَّه أبو يسار ، فقال له الزبير : سُبَّهُ - يعني عثمان - فقال : هذا أبي . فأوجعه الزبير ضرباً .

ثم إنه تزوج ابنة الزبير ، واسمها خديجة ، فولدت من أبي يسار : عبد الرحمن . وأم عبد الله ، وعقب أبي يسار بالشام .

وأما يزيد بن عبيد الله بن شيبة فولد : فاطمة ، تزوجها علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . ورملة ، تزوجها محمد بن مروان بن الحكم .

وقال ابن الكلبي : منهم أبو يسار ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن شيبة وولده بالبلقاء .

بنو عبد العزى بن عبد شمس

ولد لعبد العزى بن عبد شمس :

ربيع . وربيعة ، أمهما أم المطاع بنت أسد بن عبد العزى بن قصي .

وقال الشاعر :

فأدّى الله خفرتها إليها وأداها كنانة والربيع
هما لا أشعران إذا أكبّا ولا هبران لحمهما يضيع

يعرض بعتبة وشيبة ، يعني خفرةَ زينب بنت النبي ﷺ حين سار معها هذان . فولد الربيع بن عبد العزى :

أبا العاص بن الربيع ، زوج زينب بنت رسول الله ﷺ ، وابن خالتها هالة بنت خويلد ، وكان أبو العاص يُلقب جرو البطحاء أي ابن البطحاء ، واسمه لقيط ، وذلك الثبت ، وبعضهم يقول اسمه القاسم ، وزعم بعض البصريين أنّ جَرْوَي البطحاء ربيعة بن عبد العزى وأبو العاص معاً . وقد كتبنا خبره فيما تقدم من ذكر أزواج رسول الله ﷺ وأولاده .

وكان إسلام أبي العاص قبل الحديبية بخمسة أشهر ، ثم رجع إلى مكة ولم يشهد مع النبي ﷺ شيئاً ، ومات في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة .

فولد أبو العاص :

علياً . قتل يوم اليرموك شهيداً . وأمامة ، تزوجها علي بن أبي طالب ، فقتل عنها ، ويقال إن علياً مات صغيراً . ولا عقب للربيع .

ومن ولد عبد العزى بن عبد شمس : كنانة بن عدي بن عبد العزى وهو الذي بُعث معه زينب بنت رسول الله ﷺ إلى أبيها ، فعرض لها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ونافع بن قيس . وقد ذكرتُ خبرهما فيما تقدم أيضاً .

وكان ولد ربيعة بن عبد العزى : عدياً . وحارثة . ويزيد ، وأمهم سلمى بنت عمرو بن سفيان الثقفي .

فأما عدي بن ربيعة فولد : العلاء . وكنانة الذي ذكرناه ، وسعيداً .

وربيعة بن ربيعة ، أمهم من ولد الغوث بن مرّ .

وعلياً ، أمه كريمة كنانية .

والوفيّ أمه هالة بنت خويلد وهو أخو أبي العاص بن الربيع لأمه .

وأما حارثة فولد : محرزاً وحريزاً وحرازاً ، وأمهم من بني الغوث بن مر وهي أم ولد عدي بن ربيعة الأربعة[1] ، وبقية ولد محرز بن حارثة بالكوفة .

واستخلف عتاب بن أسيد محرزاً على مكة في سفرة سافرها .

وكان من ولد محرز : العلاء بن عبد الرحمن بن محرز ، وكان على الربع أيام ابن الزبير . وموضع داره بالكوفة دار عيسى بن موسى اليوم .

---

١ ـ كذا بالأصول وهذا العرض فيه خلل تعذر تقويمه لأن جمهرة ابن الكلبي وجمهرة ابن حزم وكتب الانساب الأخرى لم تقدم هذه التفاصيل .

ومن ولد يزيد بن ربيعة :

عبد الله بن الوليد بن يزيد بن ربيعة ، قتل يوم الجمل مع عائشة .

وقال أبو اليقظان : كان ولد محرز بن حارثة :

عبد الله،وعبد الرحمن ، وحرازاً ، وأم السائب ، أمهم هند بنت ربيعة بن عبد شمس ، وبقيتهم بالكوفة يقال لهم بنو محرز وسكّتهم سكة محرَز .

واستعمل عثمان بن عفان علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى ، وهو ابن الكنانية على مكة ، وشهد الجمل مع عائشة فقالت امرأة منهم :

يا ربّنا اعقر بعليٍّ جَمَلَهْ ولا تُبارك في بعيرٍ حَمَلَهْ
إلّا عليّ بن عديّ ليس لَهْ

فقُتل يوم الجمل .

وكان عبد الله بن علي بن عدي هذا عاملاً لعبد الملك على سجستان ، وكان كَزًّاً بخيلاً سيءالخلق لم يُغْن ، ولم يأمر بخير ، فقال فيه أبو حزابة الحنظلي[1] :

يا بن عليّ بَرِحَ الخفاءُ قد علم الجيران والأكْفَاءُ
أنك أنت النذل اللقاءُ أنت لقبر طلحة الفداءُ
بنو عليٍّ كلهم سَواءُ كأنهم زونية جِراءُ[2]

١ ـ أبو حزابة الوليد بن حنيفة ، من شعراء الدولة الأموية ، بدوي حضر وسكن البصرة . الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦٠ .

٢ ـ في الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦١ والحيوان ج ١ ص ٢٥٥ «زينية جراء» والزينية كلاب قصيرة القوائم .

وقال أيضاً :

يا طلحُ يا ليتك عنا تُخْـبَرُ حين أتانا الجَعْطَرِيّ الجيدرُ
أقصرُ من شبرين حينَ يُشْبَرُ أنكـرهُ سـريـرنـا والمنبـرُ
ودارنـا والمسـجـد المـطهَّـر مثل أبي القعواء لابل أقصر[1]

وولد العلاء بن عدي :

محمداً . ويعلى . وبناتٍ ، وأمهم أم الحكم بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر .

وولد كنانة بن عدي :

محمداً . وعبد الملك . وعلباء . وعثمان الأكبر . وعقبة . وعَمْرَاً . وعثمان الأصغر . وبنات .

وقال ابن الكلبي : ومن بني علي بن عدي : عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس الشاعر ، الذي يقول لهشام بن عبد الملك ، وحج فقسم في أخواله من بني مخزوم مالاً :

خَسَّ حظي إذ كنت من عبد شمس ليتني كنت من بني مخزوم
فـأفـوز الغـداة منـه بقسم وأبيـع السَّنَـاءَ مني بـلوم

---

١ ـ الأغاني ج ٢٢ ص ٢٦٢ .

بنو أمية الأصغر بن عبد شمس

وولد أمية الأصغر بن عبد شمس :

الحارث ، وأمه عاتكة بنت عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة ، وكان الحارث شاعراً وهو الذي يقال له : ابن عَبْلَة ، وقال في عبد الله بن جُدْعان :

عطاؤك زين لامرىءٍ إن حبوتَه　　　بِنَيْل وما كل العطاء يزينُ
وليس بشينٍ لامرىءٍ بذل وجهه　　　إليك كما بعض العطاء يشينُ

فولد الحارث : عبد الله ، أمه زينب بنت نوفل بن عبد شمس ، وأدرك عبد الله معاوية وهو شيخ كبير ، وكان ورث دار عبد شمس بمكة لأنه كان أقعدهم . فلما حج معاوية دخل الدار لينظر إليها فوثب عبد الله بن الحارث إليه بمحجن ليضربه فقال : لا أشبع الله بطنك أما تكفيك الخلافة حتى تطلب هذه الدار؟ فخرج وهو يضحك .

قالوا : ودخل على معاوية ـ وكان بديناً ـ فقال : والله لقد شججت أخاك حنظلة فما أعطيتُ عقلاً ولا أرشا ، فقال معاوية : إنك هربتَ إلى أخوالك بالطائف . قال : إنه إذا مال بي أحد شَقيٌّ عدلْتُه بالآخر .

وولد أيضاً : عبد الرحمن بن الحارث ، وأمه بنت أسيد من ثقيف .

وعتبة . وعبد الله الأصغر . وحكيماً ، أمهم من بني مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة .

وعقبة ، أمه ثقفية .

فمن بني أمية الأصغر :

أبو جراب وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، قتله داود بن علي بمكة .

وقال بعضهم : كان أبو جراب ينزل الفتق على ثلاث ليال من مكة ، فبلغ العَرْجِيّ أن أبا جراب بمكة فأقبل إلى قصره ، فخرجت إليه جارية لأبي جراب بدوية ودفعته وجعلت ترميه ، واستسقاها ماء فلم تسقه فقال : ستعلمين . فقال أبياتاً ، منها :

أمشي كما حركت ريح يمانية غصناً من البان رطباً طلّه الرِّهَمُ[1]
قالت رضيتُ ولكن جئتَ في قمرٍ ألاَّ تَلَبَّثْت حتى يدخل الظُّلَمُ

فاتهمها عند أبي جراب حتى حلفت له بين الركن والمقام على براءتها .

وقال أبو اليقظان : كان أبو جراب من أفضل قرشي بمكة وقد وليها في أيام بني مروان ، وقتله داود بن علي وهو على مكة وقال الشاعر لابن أبي جراب :

ثلاث طوابح[2] ولهنّ جئنا فَيَسِّرْهُنَّ يابن أبي جراب
فإنك ماجد في بيت مجدٍ بقيّة معشر تحت التراب

---

١ ـ الرهم : المطر الضعيف الدائم . القاموس .
٢ ـ المطبح : السمين . القاموس .

وله يقول الشاعر :

إذا مُتُّ لم يُوصَل بعُرفٍ قرابةً   ولم يبق في الدنيا رجاء لسائل

وكانت أم أبي جراب رملة بنت العلاء بن طارق بن المرفع الكناني وهو الذي كانت بناته يقلن : نحن بنات طارق . ويقال إنهنّ أردن : نحن بنات النجم .

ومنهم : الثريا بنت عبدالله بن الحارث بن أمية التي كان عمر بن أبي ربيعة المخزومي يشبب بها وفيها يقول :

أحسن النجم في السماء الثريا   والثريا في الأرض زين النساء[1]

وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف فقال عمر :

أيها المنكح الثريا سهيلاً   عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلّت   وسهيل إذا استقل يماني[2]

والثريا مولاة الغريض المغني ، وكان يعرف بمولىٰ العبلات ، وكان يسمىٰ عبد الملك ، ويكنى أبا زيد .

وولد عبد أمية بن عبد شمس :

مَعقلاً . وعقيلاً . وكنود ولدت أبا محجن بن حبيب الثقفي الذي يقول :

لا تسألي القوم عن مالي وكثرته   وسائلي القوم عن مجدي وما خُلقي

هل أطعن الطعنة النجلاء عن عَرَضٍ   وأكتم السرّ فيه ضربة العنق

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٢ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٥٠٣ .

والأحوص بن عبد أمية ، كان عاملاً على البحرين في أيام معاوية بن أبي سفيان .

وقال ابن الكلبي : من ولد عبد أمية بن عبد شمس : منصور بن عبدالله بن الأحوص بن عبد أمية وهم بالشام .

وقال بعض العلماء : كان الأحوص بن عبد أمية على البحرين ، وسعى بمروان بن الحكم .

وولد نوفل بن عبد شمس ـ وهو من العبلات ـ : أبا العاص وأمه فطيمة مخزومية ، وقتل أبو العاص بن نوفل يوم بدر كافراً .

فولد أبو العاص بن نوفل :

حاجباً ، وعثماناً ، وهَبَّاراً ، وحْزَناً ، وحزاماً ، وعبيداً ، وعبداً ، وأمهم فاطمة بنت وهب مخزومية .

ومن ولد هبار :

خالد بن يزيد بن عثمان بن هبار بن أبي العاص بن نوفل ، قتله عبدالله بن علي بالشام وكانت أم أمية الأصغر . وعبد أمية . ونوفل بني عبد شمس عبلة بنت عبيد بن جادل من البراجم من بني تميم ، فلذلك سمي هؤلاء العبلات .

بنو المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب

قالوا: كان بنو المطلب بن عبد مناف مع بني هاشم يدا على جميع الناس، قسم رسول الله ﷺ قسماً بين بني هاشم وبني المطلب،وجعل سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب، فأتاه عثمان، وجبير بن مطعم، فقالا: قَرابتنا برسول الله، وقرابة بني عبد المطلب واحدة، فكيف أعطيتهم دوننا؟ فقال: «إنّا وبني المطلب كذا وشبك أصابع يديه وكنا في الشعب معاً».

ويقال أنه قال: «كنا وهم في الشعب كذا وشبك أصابع يديه».

حدثني عمرو بن محمد الناقد ووهب بن بقيّة الواسطي وغيرهما قالوا: ثنا يزيد بن هرون عن ابن اسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم أنه وعثمان بن عفان كلما رسول الله ﷺ في سهم ذي القربى، وقالا: قسمته بين بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف، ونحن وبنو المطلب إليكم في النسب سواء، فقال: «إنا وهم لم نزل في الجاهليّة كبيرنا وصغيرنا شيئاً واحداً، وكانوا معنا في الشعب، وشبكَ أصابعه».

وحدّثني بشر بن الوَليد عن أبي يوسف عن ابن اسحق عن الزهري عن سعيد بن جبير بن مطعم بمثله.

فولد المطلب بن عبد مناف: مخرمة، وأبا رهمٍ ، أمهما هند بنت عمرو بن ثعلبة من الأنصار.

وهاشما، وأبا عمرو، وأمهما خديجة بنت سعيد بن سعيد بن سهم.

وأبا رهمٍ الأصغر، وعبّادا، وامهما عَنترة بنت عمرو بن طريف الطائي.

والحارث، وأبَا شمران، ومحصن، وأمهم حنظلية من بني تميم.

وعلقمة وعمر، أمهما من بني ضبّة بن ادٍّ.

فمن بني المطلب: عبيدة، والطفيل، والحصين، بنو الحارث بن المطلب بن عبد مناف.

وكان عبيدة يكنى أبا الحارث، ويقال أبا معاوية، وكان أكبرهم سنا، وشهد بدرا فبارز عتبَة بن ربيعَة يوم بدر فضربه عتبَة على ساقه، وضرب عبيدة عتبة، وأعانه علي بن أبي طالب فقتلاه، فقالَت هند بنت عتبَة:

أعينيّ جودا بدمع سربْ على خير خندف لم ينقلبْ
تداعى له قصرة[1] رهطه بنو هاشم وبنو المطلب

ومات عبيدة بالصّفراء[2] وبها دفن، ووجد من قبره ريح المسك فقيل للنبي ﷺ : إنا وجدنا من قبره ريح المسك، فقال: «وما ينكر ذلك لأبي معاوية»، وكانت عنده زينب بنت خزيمة، من بني هلال، وهي أم المساكين، فخلف عليها النبي ﷺ.

قال أبو اليقظان: ولاعقب لعبيدة.

---

١ ـ القصرة: مايبقى من المنخل، وهو ابن عمي قصرة: أي داني النسب. القاموس.
٢ ـ الصفراء: واد قرب المدينة، بينه وبين بدر مرحلة. المغانم المطابة.

قال الوَاقدي: كانت زَينب عند الطفيل، ولم تكن عند عبيدة.

قال الوَاقدي والكلبي: وأم عبيدة بن الحارث وأخوته سُخيلة بنت خزاعي بن الحارث من ثقيف، وكان لعبيدة من الوَلد: معاوية، وعون، ومنقذ، والحارث، ومحمد، وإبراهيم، وريطة، وخديجة، وسخيلة، وصفية لأمهات أولاد شتى، وكان عبيدة أسن من النبي ﷺ بعشر سنين.

وقال الواقدي: كان يكنى أبا الحارث، والأول قول أبي اليقظان، وكان مربوعاً أسمر حسن الوجه.

حدثني محمد بن سعد، عن محمد بن عمر الواقدي، عن محمد بن صالح، عن يزيد بن رومان قال: أسلم عبيدة بن الحارث قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الارقم، وقبل أن يدعو فيها.

وقال الواقدي في إسناده خرج عبيدة، والطفيل، والحصين بنو الحارث بن المطلب، ومسطح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب من مكة للهجرة، فاتعدوا بطن ناجح، فلدغ مسطح فتخلف بالحصاص فأتوه فحملوه، والحصاص واد في ذي طوى، فلما قدموا المَدينة نزلوا على عبد الله بن سلمة العجلاني، وأقطع رسول الله ﷺ عبيدة وأخوَته موقع خطتهم بالمدينة فيما بين بقيع الزبير و بني مازن، وآخى رسول الله ﷺ بين عبيدة وبلال، وآخى بين عبيدة وعمير بن الحمام الأنصَاري فقتلا ببدر، وكان أوّل لواءٍ عقده رسول الله ﷺ لحمزة، ثم لعبيدة.

حدّثني محمد بن سعد عن الواقدي عن يونس بن محمد الظفري عن أبيه قالَ: قَتل عبيدة بن الحارث شيبة بن ربيعة يوم بدر، وجُرح فدَفنه النبي ﷺ بالصّفراءِ، وكان يوم استشهد ابن ثلاث وستين سَنة.

وأم **الطفيل بن الحارث** أيضاً سُخيلة بنت خزاعي الثقفية، وكان لطفيل من الوَلد: عامر بن الطفيل، وآخى رسول الله ﷺ بين الطفيل والمنذر بن محمّد بن عقبة بن أحيحة بن الحلاج، هذا في رواية الواقدي.

وقال محمد بن اسحق: آخى بينه وبين سفيان بن نسر بن زيد الانصَاري.

وقال الوَاقدي شهد الطفيل بدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وَتوفى سَنة اثنتين وثلاثينَ، وهو ابن سبعين سَنة.

وأم **الحصين بن الحارث** بن المطلب أيضاً سُخيلة، وهي أم عبيدة، والطفيل، وكان للحصين من الوَلد: عبد الله الشاعر، وأمّه أم عبد الله بنت عدي بن خُويلد بن أسد بن عبد العزى، وآخى رسول الله ﷺ بين الحصين ورافع بن عَنْجَدة.

وقالَ محمد بن اسحق: آخى بينه وبين عبد الله بن جبير أخي خوّات ابن جبير.

وقال الوَاقدي: شهد الحصين مع رسول الله ﷺ بدراً، وجميع المشاهد، وتوفي بعد الطفيل بأشهر في سَنة اثنتين وثلاثين[1].

ومنهم:

أبو حذافة بن الحارث بن المطلب، قتل يوم الفجار في الجاهلية.

ومن بني المطلب أيضاً **عبد الله بن قيس بن مخرمَة بن المطلب**، ولي مكة زمَن عمر بن عبد العَزيز، وولاه أيضاً الحجاج حين فارق الحجاز المدينة أو مكة فقال له عبد الملك لقد وليته من أحَمق بيت في قريش، وكان عبد الملك

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٥٠ ـ ٥٣ .

يقول: أحمق بيت في قريش آل قيس بن مخرمة، وكان قيس بن مخرمة يمكو ويصفر فيسمع صوته من حراءٍ، وفيه نزلت:﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية﴾[1] والتصدية التصفيق أن يسمع لذلك صدىً.

ومنهم:

مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، وهو أحد من قال الأفك في عائشة فحد، وأم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ريطة بنت صخر، خالة أبي بكر الصديق، وكان أبو بكر حَلف أن يقطع عن مسطح جراية كان يجريها عليه، ونيلا كان ينيْله إيّاه، فنزل فيه: ﴿ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة أن يولوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾[2] فرد عليه جرايته وما كان ينيله، وكانت أم مسطح من المبايعات. وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين يزيد بن المزين، في رواية محمد بن إسحق.

وقال الوَاقدي: شهد مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب: بدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأطعمه خمسين وسقا بخيبر، وتوفي مسطح سنة أربع وثلاثين، وهو ابن ست وخمسين سنة، وكان قصيراً غائر العينين شثن الأصابع يكنى أبا أُثاثة[3].

قالوا: ولما نزلت الآية قالَ له أبو بكر: مرحباً برجل عاتبني فيه ربي.

ومنهم:

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية: ٣٥ . والمكاء: التصفير بالفم أو تشبيك الأصابع والنفخ فيها، القاموس.

٢ ـ سورة النور ـ الآية: ٢٢ .

٣ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص٥٣ .

رُكانه بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب كان أشد العرب، صارعه رسول الله ﷺ فصرعه فقال: يامعشر قريش ساحروا بمحمد من شئتم.

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن ابن خربوذ وغيره قالوا: قدم ركانه من سفر، فأخبر خبر النبي ﷺ، فلقيه في بعض جبال مكة، فقال: يابن أخي بلغني عنك أمر ولم تكن عندي كذاباً، فإن صرعتني علمت انكَ صادق، فصرعه رسول الله ﷺ.

وقال هشام ابن الكلبي: حدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس قالَ: لقي رسول الله ﷺ ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، وكان أشد العَرب لم يصرعه أحد قط، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الاسلام، فقال: والله لاأسلم حتى تدعو هذه الشجَرة وكانت سمرة أو طلعة، فقال رسول الله ﷺ: «أقبلي باذن الله» فاقبلت تخد الأرض خداً، فقال ركانة: ما رأيت كاليوم سحراً أعظم فمرها فلترجع، قال: «ارجعي باذن الله» فرجعت، فقالَ له: «ويحك أسلم» فقال: إن صرعتني أسلمت وإلا فغنمي لك، وإن صرعتكَ كففت عَن هذا الأمر، فأخذه النبي ﷺ فصرعه ثلاثا، فقال: «أسلم»، قال: لا، قال: «فإني آخذ غنمكَ» قال: فما تقول لقريش؟ قال: «أقول صارعته فصرعته فأخذت غنمه» قالَ: فضحْتني وخزيتني، قال: «فما أقول لهم»؟ قال: قل قمرته قال: «إذاً أكذب» قال: أو لست في كذب من حين تصبح إلى أن تمسي، قال: «خذ غنمكَ»، قالَ: أنت والله خير مني وأكرم، قال النبي ﷺ: «وأحق بذلك منك».

وقال أبو اليقظان: قال ركانة للنبي ﷺ وسَلم حين جاءَ ليسلم في الفتح: والله لقد علمت إذ صَرعتني أنكَ أعنتَ عليّ من السماءِ، وقدم المدينة

وأقام بها، ومات بها في أول أيام معاوية، ومنازلهم في دار عقيل بن أبي طالب.

ومنهم:

العُجَير بن عبد يزيد بن هاشم، أخو ركانة، بعثه عمر بن الخطاب فيمن بعث لإقامة أنصاب الحرم، وجلد عمر بن الخطاب ابنا لعجير ثمانين في شراب.

ومن بني المطلب:

ضعيفة بنت هاشم بن المطلب ولدت الحجاج من قبل النسَاء.

قالوا: وكان **يزيد بن طلحة بن ركانة** ممن يحمل عنه الحديث، ومات أول أيام هشام بن عبد الملك.

وكان أخوه **محمد بن طلحة بن رُكانة** محدّثا، ومات في أول أيام هشام أيضاً.

وكان **علي بن يزيد بن ركانة بن عبد يزيد**، من أشد الناس بطشاً في زمَانه، فدخل على عمر بن عبد العزيز، وهو والي المدينة، فقال له: أرني من شدتِك شيئاً، فدخل تحت سريره فحمله من الأرض، ولهم بقية بالمدينة، وكان لركانة بن يزيد مجذىً يضرب به المثل فيقال: أثقل من مجذى ركانة وهو حجر له مقبض يرتج.

ومنهم:

السَّائب بن عبَيْد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، وقد كان أسر يوم بدر، وهو أحد من كان يشبّه بالنبي ﷺ، ومن ولده: عباس، وعلي، وشافع جد الشافعي الفقيه، وهو محمد بن إدريس بن العباس بن

عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب.

وقال الكلبي : كان يقال لعبد يزيد بن هاشم المحض لاقذى فيه، لأن امه الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف.

وقالَ المدائني: ضرب خالد بن عجير بن عبد يزيد ثمانين في الشراب.

ومن بني المطلب:

جُهَيْم بن الصّلت بن مخرمة بن المطلب بن عبدمناف ، اسلم بعد الفتح وتعلم الخطَ بالعربيّة في الجاهلية فجاء الإسلام وهو يكتب بها ، وقد كتبَ لرسول الله ﷺ بعدما أسلم ، ورأى جهيم وهو بين النائم واليقظان أن رجلاً أقبَل على فرس ومعه بعير له فقالَ : قُتل عتبة بن ربيعَة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف وعدد رجالا ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ، ثم ضرب في لبة بعيره وأرسله فلم يبق خَباء من أخبية عسكر المشركين إلاّ أصابه نضح من دمه ، فبلغت الرؤيا أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبيّ من بني المطلب ، سيعلم غداً من المقتول إذا التقينا .

ومن بني المطلب بن عبدمناف :

عمرو بن علقمة بن المطلب ، وكان خداش بن عبدالله بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب خرج إلى الشام في تجارة ، وهو في ركب من قريش ، فاستأجر عمرو بن عَلقمة بن المطلب ، فلما كان ببعض الطريق إذا هم بركب يستمتعون بفضل حبل ، أي يستعيرونه ، وشردت أباعرهم ، فطرح إليهم عمرو بن عَلقمة حبلاً ، وكان خداش قد مَضى لبعض شأنه ، فلما جاء قال : ما حملك على ما صنعت وقد ترانا بأرض لا يوجد بها شيء يطلب فيشترى أو يستعار وضربه

بعصاً معه ، فضمن [١] من ضربته ، فلما أحس بالموت كتب إلى أبي سفيان بن حرب ، وكان أكبر بني قصي يومئذ ، فأخبره بخبره ، وأنه لما به [٢] حين كتبَ إليه ، فلما قدم خداش من وجهه ذلك طلب بنو عَبْدمناف العَقل عنده ، فأباه عليهم ، وقالَ قد مكث أياماً ليس به بأس ، ثم اشتكى بعد ومات فلم يصدقوه ، وأكبوا على العقل ، وكان أبو طالب بن عبدالمطلب أشد القوم في أمره ، فقال أبو طالب لخداش :

أفي فضل حبل لا أبا لك صدته بمنسأة [٣] قد جاء حبل بأحبل
هلمَّ إلى حكم ابن صخرة إنه سيحكم فيما بيننا ثم يعدل
كما كان في أشياءَ كانت تنوبنا فيعمد للأمر الجسيم فيفصل

ابن صخرة الوَليد بن المغيرة ، وكانت قريش تتحاكم إليه وكانوا على أن يتحاربوا ، فاستعدوا للحرب ، ثم إنهم اصطلحوا بعد على أن تبرىء صدورهم بنو عامر بخمسين يميناً عند الحطيم ، فحلف منهم خمسون رجلا وامتنع حويطب بن عبدالعزى بن قيس بن عبد وُد من اليمين ، فافتدى قومه يمينه بأربعين أوقية ، والأوقيَة أربعون درهماً .

قالوا : فمات جميع من حلف وجاء الاسلام ولم يبق منهم أحد ، وبقي حويطب وأسلم يوم الفتح وحسن إسلامه .

وقال قوم من العلماء ، منهم أبو عمرو الشيباني : إنهم كانوا تحاربوا ثم مشت السفراء بَيْنهم فاصطلحوا على خمسين يمينا عند الحَطيم .

---

١ ـ الضمنة : المرض والابتلاء في الجسد . القاموس .
٢ ـ أي في وضع صحي خطر .
٣ ـ المنسأة : العصا . القاموس .

وقال العباس بن عبدالمطلب :

أبا طالب لا تقبل النصف منهم وان انصفوا حتى تعقَ وتظلما
أبي قومنا أن ينصفونا فانصَفت قواطع في أيماننا تقطر الدمـا
إذا خالطت هام الرجال رأيتَها كبيض نعام في الوغى قد تحطما
تـركناهم لا يستحلون بعـدها لذي رحم يوما من الناس محرما
ضربنا أبا عمرو خداشا تخمّطا (١) وملنا على ركنيْـه حتى تهدمَـا

١ ـ تخمط : تكبر وغضب ، والمتخمط : القهار الغلاب ، والشديد الغضب له جلبة من شدة غضبه . القاموس .

بَنو نَوْفَل بن عَبْد مناف بن قصيّ

ولد نوفل بن عبدمناف :

عدي بن نوفل ، وأمه هند بنت نُسيب بن زيد من بني مازن بن منصور .

وعمرو بن نوفل . وعبد عمرو ، وأمهما قلابة بنت جابر بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي .

وعامر بن نوفل . وأمه كهيفة بنت جندل بن ابين بن نهشل بن دارم . وزعموا أن بني نوفل كانوا يداً مع عبدشمس على سائر بني عبدمناف فقال أبو طالب :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا   جزاء مسيء عاجلا غير آجل

فمن بني نوفل بن عبد مناف :

مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف ، ويكنى أبا وهب ، زعموا ان النبي ﷺ أتاه فقال : «يا عماه أجرني حتى أطوف حول البيت» ، فأجاره حتى طاف ، وأعان مطعم بني هاشم وبني المطلب على نقض الصحيفة التي كتبتها قريش عليهم ، وعلى اخراجهم من الشعب ، وقال النبي ﷺ يوم بدر لابنه

جبير بن مطعم : «لو كان أبوك حيًا فاستوهبَ مني هؤلاء الأسرى لوهبتهم له» . وفيه يقول أبو طالب :

أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبيدك ما حل الحجيج وأحرما

وقال أبو طالب أيضاً :

أمطعم إن القوم سَاموك خطة وإني متى أوكل فلست بآيـل
أمطعم لم اخذلك في يوم نجدة ولا مشهدٍ عند الأمور الجلائل

ومات مطعم بن عدي في سنة اثنتين من الهجرة ، قبل بدر ، ودفن بالحجون ، وله بضع وتسعون سَنة ، وأقيم النوح عليه سَنة .

فولد مطعم ، **جبيراً** ، وكان سيداً عالماً نسابَة للعرب ، وكان اسلامه قبل الفتح ، وشهد دفن عثمان بن عفان ، وصلى عليه ، وسأل عمر بن الخطاب جبيراً ، وأتي بسيف النعمان بن المنذر : ممن كان النعمان ؟ فقال : من بني قنص بن معد ، وذلك أن ولد قنص انتموا إلى لخم بن عدي ، ومات جبير بن مطعم ـ ويكنى أبا محمد ـ بالمدينة في داره في أيام معاوية ، وكان أول من لبس طيلسَانا بالمدينة .

وكان **نافع بن جبير بن مطعم بن عدي** تائهاً ، عظيم النخوة والكبر ، وكان فصيحاً جهير الكلام يفخِم كلامه ، وكان المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام يلحن ويفخم كلامه ، فقال سليمان بن عبدالملك بن مروان : إن المغيرة بن عبدالرحمَن ليفخم اللحن كما يفخم نافع بن جبير الاعراب ، وكان جبير يتخذ سقاية من أدم يسقي فيها الناس ، وكان لنافع بن جبير ابن من امرأته ابنة عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب ، يقال له علي ، فقال له : يا بني أنت ابن السقايتين ، يعني سقاية الحاج التي كان

يقوم بها العباس ، وسقاية جبير بن مطعم ، فدخل عليّ على أمّه فقال لها : إن أبي قال لي : يا بن السقايتين ، فقالت يا بني ارجع إليه فأعلمه أن إحداهما ركوة .

المدائني قال : تكلم عَبْدالله بن السائب بن أبي حبيش فقال له نافع بن جبير: صه فقال له عبدالله : ألطه [1] قالَ نافع : أنا ابن عبدمناف، قالَ: أنا ابن بعثطها [2] ، قال عبدالله : عبد مناف بيتان : هَاشم وعبد شمس فانت بين دارها والجية [3] .

ومن بني جبير بن مطعم :

محمد بن جبير ، ويكنى أبا سعيد ، كان فقيهاً ، وكان **أبو سليمان بن جبير بن محمد** بن جبير أيضاً فقيهاً .

قال الكلبي : وقد كان نافع بن جبير أيضاً فقيهاً .

وقال المدائني : **جلد ابن لابراهيم بن محمد بن جبير بن مطعم في الخمر** .

وقال الواقدي : مات **محمد** بن جبير ، وهو أبو سعيد بالمدينة في أيام عمر بن عبد العزيز .

---

١ ـ لطى : لزق بالأرض . القاموس .

٢ ـ أنا ابن بعثطها : كابن بجدتها . وابن بجدتها : العالم بالشيء والدليل الهادي والذي لا يبرح عن قوله . القاموس .

٣ ـ الجية : مستنقع الماء . وورد هذا الخبر في كتاب نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٢١ : «فقال له نافع : صه ، صه ، أنا ابن عبد مناف ، فالطه ، فقال أبو الحارث : أنف في السماء ، وسرم في الماء ، ذهبت عليك بنو هاشم بالنبوة ، وبنو عبد شمس بالخلافة ، وبقيت بين فرثها والجية» .

قال : ومات نافع أخوه ويكنى أبا محمد بالمدينة في أيام سليمان بن عبد الملك ، وكانا ينزلان داراً واحدة بالمدينة بينهما .

ومنهم :

طعيمة بن عدي ، أخو مطعم بن عدي ، ويكنى طعيمة أبا الريان ، وكان مؤذيا لرسول الله ﷺ ، فأسر يوم بدر ، فأمر به رسول الله ﷺ ، فقتل بين يديه صبراً ، وتولى قتله حمزة بن عبد المطلب ، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم .

ومن بني نوفل بن عبد مناف : الخيار بن عدي بن نوفل

وكان عبيدالله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل من رجال قريش وصلحائهم ، وهو الذي عقد مجلس القلادة ، وكان يجلس فيه أشراف قريش والأنصار وعلماؤهم المتخيرون ، لا يجلس فيه غيرهم ، فلم يزل كذلك حتى وقع فيه شر ومشاتمة ، فافترق أهل ذلك المجلس وانتقض إلى اليوم .

ومنهم :

عمارة بن الوليد بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف الذي يقول :

تلكَ هند تصد للبين صدا أَدَلالاً أم صَرْمُ هند أجَدّا
يعلم الله أن قد أورثت مني غير مَنّ بذاك نصحاً ووِدّا
ما تقربت بالصّفا لأدنو منـــ ـــك إلاّ نأيت وازددت بعدا

ومن بني نوفل بن عبد مناف :

نافع بن ظُريف بن عمرو بن نوفل ، الذي كتب المصاحف لعثمان بن

عفان ، ويقال لعمر بن الخطاب .

ومنهم :

الحارث بن عامر بن نوفل ، كان شريفا عظيم القدر في الجاهلية ، وهو أحد المطعمين يوم بدر ، وله يقول ابن الزبعرى .

والحارث الوَهاب أشرق وجهه كالبدر أشرق ليلة الاظلام[1]

وقتل يوم بدر كافراً ، وهو أحد سرقة غزال الكعبة ، وكان النبي ﷺ قال : «من لقي الحارث بن عامر بن نوفل فليدعه لأيتام بني نوفل» ، وفيهم نزلت : ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معكَ نتخطف من أرضنا﴾[2] .

وأبو سروعة بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان صاحب شراب، حده عمرو بن العاص ، وحدّ معه ابنا لعمر بن الخطاب .

حدثنا عفان بن مسلم ثنا يزيد بن زُريع ثنا عبد الرحمن بن اسحاق أنّ ابن شهاب الزهري حدثه عن أبيه قال : خرجت أنا وأخي عبد الرحمن بن عمر غازيين إلىٰ مصر ، فشربَ أخي وأبو سروعة شراباً فأتي بهما عمرو بن العاص ، فجلد أبا سروعة ظاهرا وجلد أخي في الدار ، فأرسل إليه عمر أن اجمع يديه إلى عنقه وجب عليه مدرعة ، واحمله إليّ على قتب ، فلما قدم على عمر جلده علانية على رؤوس الناس ، وحلق رأسه وحبسه ستة أشهر فبرأ من جلده ثم أغزاه ، فرجع فمات ، ومات أبو سروعة بمكة .

ومن بني نوفل :

مُسْلم بن قرظة بن عبد عمرو بن نوفل قتل يوم الجمل ، وأخته فاختة

---

١ ـ شعر عبدالله بن الزبعرى ص ٤٧ .

٢ ـ سورة القصص ـ الآية : ٥٧ .

بنت قرظة امرأة معاوية بن أبي سفيان ، وفي قرظة يقول أبو طالب ، وكان قرظة يكنى أبا عمرو :

وإن أبا عمرو أبي غير بغضنا ليطعننا في أهل شاءٍ وحائل[1]

وكان قرظة أعمى ، وتزوج ابنة عتبة بن ربيعَة ، فولدت له فاختة بنت قرظة .

---

١ ـ الحائل : الإبل . القاموس .

بنو عبد الدار بن قصي

ولد عبد الدار بن قصي : عثمان بن عبد الدار ، ووهب بن عبد الدار درج ، وكلدة درج ، وعبد مناف ، وامهم هند بنت لُؤَيّ بن ملكان من خزاعة ، والسباق ، وكان ولده أوّل من بغى بمكة على قريش فأهلكوا ، وأمه من هوازن .

فمن بني عبد الدار : طلحة ، وعثمان الأوقص ، وأبو سعد بنو طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتلوا يوم أحد ومعهم لواء المشركين ، ومسافع . والجلاس . وكلاب . والحارث بنو طلحة بن أبي طلحة قتلوا يوم أحد كفارا ، ومعهم اللواء ، وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخذ رسول الله ﷺ منه المفتاح يوم فتح مكة ، فنزلت فيه : ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[1] وقد كان دفع المفتاح إلى العباس فارتجعه منه ورده عليه .

وقال الواقدي قدم عثمان بن طلحة على النبي ﷺ قبل الفتح بأشهر هو وخالد بن الوَليد ، وعمرو بن العاص ، فأسلموا .

وقال رسول الله ﷺ حين دفع المفتاح إلى عثمان: «دونكموها يابني أبي

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٥٨ .

طلحة تالدة خالدة لايظلمكموها إلا ظالم»، وكانت الحجابة فيهم.

وقال الواقدي: أقام عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بالمدينة حين توفي النبي ﷺ، ثم رجع إلى مكة ونزلها، ومات في أيام معاوية، ولعثمان عقب، فمن ولده: إبراهيم بن عبيد الله بن عثمان بن عبد الله بن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، الذي يقال له الحجبي، ولاه أمير المؤمنين هرون الرشيد بن أمير المؤمنين المَهْدي اليَمن.

ومنهم:

يزيد بن مسافع بن أبي طلحة، قتل يوم الحرة.

وعبد الله بن مسافع قتل يوم الجمل مع عائشة.

ومنهم:

شيبة بن عثمان الأوقص بن أبي طلحة، وشيبة الحاجب بعد عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وكان شيبة هذا شديداً على المسلمين، وكان ممن دخلَ في الأمان يوم فتح مكة، فلما كان يوم حنين صار مع هوازن طمعاً في أن يصيب من النبي ﷺ غرة.

قال شيبة: فدنوت منه فإذا أهله محيطون به، ورآني فقالَ لي: «ياشيب إليّ» فدنوت منه فمسح صدري ودعا لي فأذهب الله كل ما كان فيه وملأه إيمانا، وصار أحبَّ الناس إليّ، وكان شيبة يكنى أبا صفية، واصطلح الناس على شيبة بن عثمان بمكة، فأقامَ لهم الحج في أيام يزيد بن شجرة حين وجهه معاوية لإقامَة الحج، وعلى الموسم من قبل علي يومئذ: قثم بن العَباس. ومن وَلده: أم حجر بنت شيبة، كانت عند عبد الله بن خالد بن أسيد، ومسافع بن شيبة، ومات شيبة بمكة في أيام يزيد بن معاوية.

ومنهم:

عبيد الله بن الأعجم بن شيبة الذي ضربه خالد بن عبد الله القسري وهو عَلى مكة، فضُرب له خالد، فقالَ الفرزدَق:

لعمري لقد صبت على ظهر خالد شآبيب لَيست من سحاب ولاقطر[1]

هذا قول ابن الكلبي، وقال غيره ضرب محمد بن طلحة بن عبيْد الله، أو عبد الله بن شيبة، لأنه جرى بينهما كلام، وقد كتبنا خبره في خبر خالد القسري فيما تقدم من كتابنا هذا، والحجابة في بني شيبَة والمفتاح عندهم إلى اليوم.

وقاسط بن شريح بن عثمان بن عبد الدار، قتل يوم أحد ومعه اللواء.

وعامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، الذي عقد الحلف بين الأحْلاف على المطيبين، وقد ذكرنا قصة المطيبين والأحلاف في أوّل كتابنا هذا.

والاسود بن الحارث بن عامر، أسر يوم بدر.

ومنهم:

مصعب الخير بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

حدثني الوَليد بن صالح ومحمد بن سعد عن الوَاقدي عن إبراهيم بن محمد العبدري عن أبيه قالَ: كان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وسيباً، وكان أبواه يحبّانه، وكانت أمه تكسوه أحسن الثياب وأرقها، وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال، وكان رسول الله ﷺ يذكره فيقول: «مارأيت بمكة أحداً أحسن لمة، ولا أرق حلة، ولا أنعم نعمة من

١ ـ ديوان الفرزدق ج١ ص٣٠١ مع فوارق.

مصعب بن عمير» فبلغه أن رسول الله ﷺ يدعو في دار الأرقم بن أبي الأرقم إلى الإسلام، فدخل عليه فأسلم وصدقه وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه، فكان يختلف إلى النبي ﷺ سراً، فبصر به عثمان بن طلحة يصلي، فأخبر أمه وقومَه بذلك، فخرجت أمه ناشرة شعرها وقالت: لا ألبس خماراً، ولا أستظل، ولا أدهن ولا آكل طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى تدع ماأنت عليه، وجاء أخوه فأخذه فحبسه فلم يزل محبوساً حتى تخلص، وخرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى والثانية، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا، وهو متغير الحال متقشف، فكفت امه عنه من العذل.

قال الواقدي: وهو مصعب الخير بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وأمه خناس بنت مالك بن المضرب بن وهب بن عمرو بن حُجير بن عبد بن مُعيص بن عامر بن لؤي، ويكنى أبا محمد.

وحدّثني محمد بن سعد ومظفر بن مرجا قالا: ثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن أبي عبد العَزيز الربذي عن أخيه عن عروة قال: أقبل مصعب بن عمير ذات يوم بالمدينة، وعليه قطعة نمرة قد وصلها بإهاب قد ردنه، ثم وصله إليها، فلما رآه أصحاب النبي ﷺ نكسوا رؤوسهم رحمة له، وليس عندهم مايغيرون عنه، فسلم فرد عليه النبي ﷺ وأحسن عليه الثناء وقالَ: «الحمد لله لقد رأيت هَذا وما بمَكة فَتىً من قريش أنعم عند أبويه نعيما منه، ثم أخرجته عن ذلك الرغبة في الخير، وحبّ الله ورسوله».

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عَن عاصم بن عبيْد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة العَنزي ـ من بني عنز بن وائل ـ

قالَ: كان مصعب لي خِدنا وصاحباً مذ يوم أسْلم إلى أن اسْتشهد بأحد، خرج معنا إلى الهجرتين جميعاً بأرض الحبشة، وكان رفيقي من بين القوم، فلم أر رجلًا قط كان أحسن خلقاً، ولا أقل خلافا منه[1].

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا هشام بن عبد الملك أبو الوَليد ثنا شعبَة أنبانا أبو اسحق قال: سمعت البراءَ بن عازب يقول: أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، يعنى في الهجْرة إلى المدينة.

وروى الوَاقدي في إسناده عن مَشيخته: أن أهل العَقبَة الأولى الاثني عشر لما انصرفوا إلى المدينة، ففشا الاسلام في دور الأنصار، أرسل الأنصار إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يبعث إليهم رجلا يفقههم في الدين ويقرئهم القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير، فقدم على أسعد بن زرارة، وكان يأتي الانصَار في قبائلهم ودورهم فيدعوهم إلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن، فيسلم الرجل والرجلان حتّى ظهر الإسلام ، وكتبَ إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في التجميع بهم، فأذن له، وكتبَ إليه رسول الله ﷺ يأمره أن ينظر إذا زالت الشمس يوم الجمعَةْ فيصلي بهم ركعتين، ويخطب قبلهما، فجمع بهم في دار سعد بن خيْثمة، وهم اثنا عشر رجلاً، فهو أول من جمع في الإسلام يوم جمعَة.

قالَ: وقد روى قوم من الأنصار أن أول من جمع بهم أبو أُمامة أسعد بن زرارة. ثم خرج مصعب بن عمير من المدينة إلى مَكة مع السّبعين الذين وافوا العقبة من الأوس والخزرج، فقدم مكة فجاءَ مَنزل رسول الله ﷺ

٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١١٦ ـ ١١٧ .

ولم يأت مَنزله فجعَل يخبر رسول الله ﷺ عن الأنصار وسرعتهم إلى الإسلام واستبطائهم قدوم رسول الله ﷺ بما سره، وبلغ أم مصعب قدومه، فأرسَلت إليه: ياعاق تقدم بلداً أنا فيه فلا تبدأ بي؟! فقالَ: ماكنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله ﷺ، ثم ذهبَ إلى أمّه فقالَت: انك على صبأتك بعد، قال: أنا على دين رسول الله ﷺ، وهو الدين الذي ارتضَاه الله لنفسه ورسله، فقالَت: ماشكرت تربيتي، مرة بأرض الحبشة ومرة بأرض يثرب فقالَ: أفر والله بديني، فبكت فدعاها إلى الإسلام، فقالت: والثواقب لادخلت في دينكَ، ولكني أدعك وما أنت عليه، فأقام مصعب مع النبي ﷺ بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وقدم المدينة مهاجراً قبل النبي ﷺ باثنتي عشرة ليلة.

حدثني أبو بكر الأعين ثنا روح بن عبَادة عن ابن جريج عن عطاء قالَ: أول من جمع بالمَديْنة رجل من بني عبد الدار، قلت: بأمر النبي ﷺ؟ قالَ: فبأمر مَنْ؟ وقالَ الوَاقدي: آخى رسول الله ﷺ بين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وآخى بينه وبين أبي أيوب الأنصَاري، ويقال آخى بينه وبين ذكوان بن عبد قيس.

وكان لواء رسول الله ﷺ الأعظم، وهو لواء المهَاجرين، مع مصعب ابن عمير، وكان لواء قريش في الجاهليّة في قومه من بني عبد الدار، فلذلك خصه رسول الله ﷺ من بينهم.

وقال الكلبي والواقدي: شهد مصعب بن عمير بدراً، وحمل اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت مصعب، فأقبل ابن قميئة، وهو فارس، فضرب يده اليمنى فقطعها، فأخذ اللواءَ بيده اليسرى وحنا عليه، فضرب يده اليسرى فقطعها فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره، ثم حمل عليه

الثالثة بالرمح فأنفذه فاندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء، فأخذه أبو الروم أخوه، وكان اسمه عبد مناف، فلم يزل في يده حتى دخل المدينة حين انصَرف المسلمون.

ويقال إنه لما قتل مصعب وسقط اللواء أخذ اللواءَ ملك في صورة مصعب، فجعل رسول الله ﷺ يقول لَه في آخر النهار: تقدم يامصعب، فالتفت إليه الملك فقال: لست بمصعب، فعرف رسول الله ﷺ انه مَلَك أيّدَ به.

حدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ثنا عبيْد الله بن موسى ثنا عمر بن صهبان عن معاذ بن عبد الله عن وهب بن فطن عن عبيد بن عمير أن النبي ﷺ وَقف على مصعب بن عمير، وهو منجعف[١] على وجهه، فقرأ هَذه الآية: ﴿من المؤمنين رجال صَدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾[٢] ثم قال: «أنتم الشهداء عند الله يوم القيَامة»، ثم أقبل على الناس فقال: «زوروهم وسلموا عليهم فو الذي نفسي بيده لايسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامَة إلا ردوا علَيْه».

وحدّثني عمرو بن محمد الناقد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن شقيق عَن خبّاب بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ، وجاهدَنا في سبيل الله نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله فمنا من مَضى لم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نَمرة[٣]، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه، وإذا وضعناها في رجليه

١ ـ جعفه: صرعه. القاموس.

٢ ـ سورة الأحزاب ـ الآية: ٢٣ .

٣ ـ النمرة: الحبرة، وشملة فيها خطوط بيض وسود، أو بردة من صوف تلبسها الأعراب،

خرج رأسه فقال لها رسول الله ﷺ: «اجعلوها مما يلي رأسَه، واجعلوا على رجليه من الإذخر»[١].

حدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن ابراهيم بن شرحبيل العبدري عن أبيه قالَ: كان مصعب بن عَمير رقيق البشرة، حسن اللّمة ليس بالقصير ولا بالطويل، قتل يوم أحد وهو ابن أربعين سَنة أو يزيد شيئاً، فوقف علَيْه رسول الله ﷺ وهو في بردته مقتول فقال: «لقد رأيتك ومَا بها أرق حلة، ولا أحسن لمة منكَ، ثم أنت اليوم شعث الرأس في بردة»، ثم أمر أن يقبر، فنزل في قبره أبو الروم بن عمير أخوه، وكان أسلم بعد اسلامه حين أسلم وعامر بن ربيعَة العنزي من بني عَنز بن وائل وسويبط بن سعد بن حرملة العبدري[٢].

وكان لمصعب بن عمير ابنة يقال لها زينب تزوجها عبد الله بن عبد الله بن أميّة بن المغيرة، وأمهَا حمنة بنت جحش، فولدت له ابنة.

وقال أبو اليقظان: كان لمصعب بن عمير من حمنة بنت جحش ابنة تزوجها ابن أبي عزيز بن عمير.

ومنهم: **أبو الروم بن عمير**، كان اسمه عبد مَناف، فدعي بكنيته، وكان من مهاجرة الحبشة في رواية الكلبي، وقد اختلفَ في هجرته فقيل: إنه لم يهاجر إلى أرض الحبشة، ولكنه هاجر إلى المدينة، وقد ذكرناه في أول كتابنا هذا، وأبو عزيز بن عمير قتل يوم أحد كافراً، وكان اسم أبي عزيز زرارة.

---

١ ـ الاذخر: الحشيش الأخضر، وحشيش طيب الريح. القاموس.
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١١٩ ـ ١٢٢.

ومن ولده:

مصعب بن عمير بن أبي عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتل يوم الحرّة[1].

ومن بَني عَبْد الدار:

سويبط بن حرمَلة ـ وبعضهم يقول حريملة ـ بن مالك الشاعر بن عُميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصي، وأمّه هنيدة بنت خباب خزاعية، وكان سويبط من مهاجرة الحَبشة، شهد بدراً وأحداً، ومات ورسول الله ﷺ متوجه إلى تبوك، وكان يكنى أبا حرملة.

حدثني أبو بكر الأعين ثنا روح بن عبادة عن زمعة بن صالح عن الزهري عن عبدالله بن وهب عن أم سلمة أن أبا بكر خرج في سفر له ومعه نُعيمان الأنصاري وسويبط بن حرملة وكلاهما بدري ، وكان سويبط على الزاد فجاءه نعيمان فقال : أطعمني قال : لا حَتى يأتي أبو بكر ، وكان نعيمان رجلاً مزاحاً مضحاكاً ، فقال : لأغيظنك ، فذهب إلى قوم جلبوا ظهرا ، فقال : ابتاعوا مني غلاما عربيّا فارهاً ذا بيان ولسان ، ولعله يقول بالمراغمة لي : أنا حُرّ فان كنتم تاركيه لذلك فأعلموني ولا تفسدوا عليّ غلامي وتكسروه ، قالوا : بل نبتاعه منكَ بعشر قلائص نسوقها ، وأقبل القوم معه ، وهو يسوق القلائص العَشر حتى عقلَها ، ثم قال : دونكم المَولد فقالوا لسويبط : قم فقد اشتريناك ، فقال سويبط : أنا رجل حر وقد كذبكم ، فقالوا عندنا خبركَ وألقوا الحبل في عنقه ومضوا به ، فلما جاءَ أبو بكر أخبر الخبر فذهبَ في اصحاب له فرد القلائص وأخذ سويبطاً .

١ ـ تاريخ خليفة ج١ ص٢٩٦ .

ومن بني عَبْد الدار :

عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وهو الذي بَاع دار الندوة من معاوية بن ابي سفيان .

ومنهم :

بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار الذي كتب الصحيفة بين قريش وبني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف فشلت يده .

وقال غير الكلبي : كتبَ الصحيفة عكرمة بن عامر .

وقال بعضهم : كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والأول أثبت .

ومنهم :

جهم بن قيس بن شرحبيل بن هاشم ، ويقال : ابن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان في مهاجرة الحبشة .

ومنهم :

الحارث بن علقَمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار رهينة قريش عند أبي يكسوم الحبشي حين دخل مكة قوم من تجارهم في حطمة[1] كانت ، فوثب أحداث قريش على بعض ما كان معهم فانتهبوه ، فوقعت بينهم منافرة ثم اصطلحوا بعد أن مضت عدة من وجوه قريش إلىٰ أبي يكسوم ، فأرضوه واعتذروا إليه وسألوه أن لا يقطع تجار أهل مملكته عنهم فدُفع الحارث وغيره رهينة عنده فكان يكرمهم ويصلهم ، وكانوا يبضعون البضائع إلى مكة لأنفسهم .

---

١ ـ الحطمة : السنة الشديدة . القاموس .

وابنه **النضر بن الحارث** بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار ويكنى أبا فايد ، وقد ذكرنا خبره في أول كتابنا وقتل يوم بدر كافراً ، أسره المقداد فقتله علي بن أبي طالب صبراً بين يدي رسول الله ﷺ .

وأخوه **النضير بن الحارث بن علقمة** بن كلدة ، وكان ـ فيما قال الواقدي ـ من مسلمة الفتح ، ومات بمكة ، وكان ممن أقام بمكة فلم يهاجر إلى المدينة ، ولم يذكره محمد بن اسحاق في الهجرة إلى الحَبشة .

وقال الهيثم بن عدي: أسلم النضير ، وهاجر إلى الحبشة ، وقدم إلى مكة فارتد ، ثم صحح الاسلام يوم الفتح أو بعيده ، واستشهد يوم اليرموك بالشام .

ومنهم :

فراس بن النضر بن الحارث بن عَلقمة بن كلدة بن عبد مناف ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وكان قدومه من أرض الحبشة بعد الهجرة إلى المدينة ، وقتل يوم اليرموك شهيداً ويكنى أبا الحارث ، ولم يذكر الكلبي فراساً .

ومن بني عَبْد الدّار :

محمد بن المرتفع بن النضِير بن الحارث بن علقمة صاحب البئر بمكة ، وهي تعرف ببئر ابن المرتفع ، ومات محمد بن المرتفع بمكة ، وزعم أبو اليقظان أنه من ولد عثمان بن عبد الدار ، والأول أثبت .

ومنهم :

عبدالله بن أبي مسرة بن عوف بن السباق بن عبد الدار ، قتل يوم دار عثمان .

ومنهم :

أبو السّنابل بن بعكك بن الحارث بن السّباق ، وكان بعكك شريرا شديد البغي ، وقد بقي أبو السّنابل حينا بعد وفاة النبي ﷺ ، وهو الذي قال لسبيعة بنت الحارث ، من ولد مالك بن أفصى أخى أسلم ، وهي تنسب إلى أسلم فيقال سبيعة الأسلمية ، وقد ولدت بعد وفاة زوجها سعد بن خولة حليف بني عامر بن لؤي ، ويقال مولاهم : لا يحل لكَ النكاح حَتى يمضي عليكَ أربعَة أشهر وعشر .

حدثني علي بن عبدالله وعباس بن يزيد البحراني قالا : ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبَة بن مسعود عن أبيه قال : وضَعْت سبيعة بعد وفاة زوجها بعشرين يوماً أو شهر أو نحو ذلك ، فمر بها أبو السنابل بن بعكك فقالَ قد تصنعت للأزواج لا أو يأتي عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبيعة : فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له : فقال : «كذب أبو السنابل قد حللت للأزواج فانكحي» .

وروي قوم أن أبا السّنابل كان خطبها وقال الشاعر :

إن كنت تسأل عن عز ومكرمَة فتلك دار أبي السّباق بالبلد

قال أبو اليقظان : ومن بني عبد الدار بنو جبير ، ولهم بقية قليلة بالبصرة .

وقال : هو بعكك بن أصرم بن الحارث بن السباق .

وقال محمد بن سعد كان : نُبيْه بن وهب أحد بني عبد الدار فقيهاً ، مات في فتنة الوليد بن يزيد ، روى عنه نافع وليس نُبيْه بأسَنَّ منه .

بَنو عَبْد بن قصيٍّ

ولد عبد بن قصي : **وهب بن عَبْد** ، كان أول من ولي الرفادة ، **والمنهب بن عبد** ، وهو أبو كبير **وبُجير بن عبد** .

منهم :

طليب بن عمير بن وهب بن عبد بن قصي ، وأمّه أروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، هاجر إلى الحبشة في المرة الثانية ، وهاجر إلى المدينة مع أصحاب رسول الله ﷺ ، واستشهد يوم أجنادين بالشام وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، وكان يكنى أبا عَدي .

وقال الواقدي هو طليب بن عمير بن وهب بن كبير بن عبد ، والأول قول ابن الكلبي عندنا ، وهو أثبت .

وقال الواقدي : كان إسلام طُليب بن عمير في دار الأرقم ، فلما أسلم دخل على أمه أروى فقال : قد تبعت محمداً وأسلمت لله ، فقالت : إن أحق من آزرْتَ وعضدت ابن خالك ، والله لو كنا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه ، فقال : يا أمه ما يمنعك من أن تسلمى وتتبعيه فقد أسلم

أخوك حمزة ؟ فقالت : أنظر ما يصنعه أخواى[1] ثم أكون كأحدهم ، ثم إنها شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدّاً رسول الله ، وكانت بعد تعضد النبي ﷺ بلسانها ، وتحض ابنها على نصرته ، والقيام بأمره .

وقال الكلبي والواقدي : شهد طليب بدراً ولم يكن يذكر ذلك موسى بن عقبة ومحمد بن اسحاق ، وأبو معشر ، وليس لطليب عقب وقالوا : لقي طليب بن عمير أبا اهاب بن عَزيز التميمي ، أحد بني عبدالله بن دارم ، وكان أبوه هرب فحالف بني نوفل بن عبد مناف ، وقد دُس للفتّك برسول الله ﷺ ، فضربه بلحي جمل فشجه ، فضرب وحمل إلى أمه فقالت : محمد ابن خاله ، وهو أولى من دافع عنه وغضب له ، وقالت أروى :

إن طليبا نصر ابن خاله آساه في دمه ومَاله

وكان المسلمون يصلون في شعب فهجم عليهم أبو جهل ، وعقبة بن أبي معيط ، وجماعة من سفهاءِ أهل مكة ، فعمد طليب إلى أبي جهل فشجه ، فأوثقوه فقام أبو لهب دونه فتخلصه ، وشُكي إلى أروى فقالت : خير أيامه أن ينصر محمداً ، وكانت قد أسْلَمت .

ومن بني عبد بن قصي :

الحويرث بن نقيد ـ بدال غير معجمة ـ ابن بجير بن عبد ، أمر رسول الله ﷺ أن يقتله من وجده يوم فتح مكة ، فقتل كافراً ، وكان الذي قتله عليّ عليه السلام .

ومن ولده :

١ ـ بهامش الأصل : تعني أبا طالب وأبا لهب .

جبير بن الحويرث بن نقيد بن عبد ، أدرك النبي ﷺ ورآه ولم يرو عنه شيئا ، وروى عن أبي بكر .

قال أبو اليقظان : لم يبق من بني عبد بن قصيّ أحد ، بادوا كلهم حتى ورث آخرهم عبد الصمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ورجل آخر من بني المطلب بن عبد مناف .

بَنو عَبد العُزَّي بن قصَيٍّ

وولد عبد العزى بن قصّي :

أسد بن عبد العزى ، وأمه ريطه ، وهي الحظياء[1] بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وهي التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا[2] ، وكانت وَرْهَاء[3] تنقض ما تغزل .

فولد أسد بن عبد العزى :

خويلداً : وامّه زهرة بنت عمرو بن حنثر من بني كاهل بن أسد بن خزيمه ، وإياها عنى فضالة بن شريك الأسدي في قوله :

أقـول لغلمتي أدنـو ركـابي   أفارق بطن مكة في سواد
ومالي حين أقطع ذات عرق   إلى ابن الكاهلية من معاد

ونوفل بن أسد . **وحبيب بن أسد** ، قتلا يوم الفجار الآخر ، **وصيفي بن أسد** ، درج ، وأمهم خالدة بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي ، **والحويرث** وأمه ريطة بنت الحويرث الثقفي . **وعمرو بن أسد** ، **وهاشم بن**

١ ـ بهامش الأصل : الحظياء . بظأ معجمه .
٢ ـ انظر سورة النحل الآية ٩٢ .
٣ ـ الورهاء : الحمقاء التي ليس في عملها حذق . القاموس .

أسد ، ومهاشم بن أسد درجوا وأمهم ناهيَة بنت سعيد بن سهم ، وطالب بن أسد ، وطويلب بن أسد ، قتلا يوم الفجار ، ولا عقب لهما ، وأمهما من الأوس ، وخالد بن أسد لأم ولد ، والمطلب بن أسد ، والحارث بن أسد لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن الحارث بن كعب .

فولد خويلد : العوّام ، وامه من بني مازن بن منصور وحزاماً ، وخديجة بنت خويلد ، زوج النبي ﷺ ، ونوفل بن خويلد ، قتل يوم بدر كافرا ، وقتل حِزام يوم الفجار الآخر .

فمن بني خويلد بن أسد بن عبد العّزى بن قصي :

أبو عبدالله الزبير بن العَوّام بن أسد بن عبد العزى ، حواريّ رسول الله ﷺ ، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ .

والسائب بن العوام ، وأمه صفية ، وبجير بن العوام ، قتله سعد بن الدوسي بأبي أزيهر[1] ، لقيه باليمامَة . وعبد الرحمن .وأسود . وأصرم . وبعكك ، وأمه من بني السّباق .

فأمّا الزبير فحدثني محمد بن سعد والوليد بن صالح قالا : ثنا الواقدي عن مصعب بن ثابت عن أبي الأسود قال : كان إسلام الزبير بعد أبي بكر ، فكان رابعاً أو خامساً ، دخل على رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت إلى ماذا تدعو؟ فقال : «أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلّا الله ، وأن محمداً رسول الله» ، قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله يا رسولَ الله ، إن شئت لنبَادينهم بالاسلام ولا نستتسر به ، فإنا على حق وهم على

١ ـ حول قضية أبي أزيهر ، انظر نسب قريش للمصعب ص٣٢٣ .

باطل ، فقال رسول الله ﷺ : «إنا لم نؤمر بالقتال» ، فخرج الزبير ولقيه أبو البختري ، وهو العاص بن هاشم بن الحارث بن اسد بن عبد العزى قال : أفعلتها يا بن العوام ؟ قال : نعم ، قال : إنا لانقرك وما تريد من مفارقة دين آبائنا وعيب آلهتنا ، قال الزبير : اصنع ما بدا لك فإنما تعبدون حجراً لا يسمع ولا يبصر ، ولا ينفع ولا يضر ، قال أبو البختري : إنما نعبدهم ﴿ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾[1] .

حدّثني محمد بن سعد عن الواقدي عن مصعب بن ثابت عن عبدالله بن الزبير قال : شهد الزبير بدراً وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وقتل وهو ابن أربع وستين .

وقال محمد بن سعد أخبرت عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة قال : أسلم الزبير وله ست عشرة سنة ، ولم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ[2] .

حدثني مظفر بن مرجي عن عبدالله بن محمد بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه بنحوه .

وحدثني الوليد بن صالح ومحمد بن سعد عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عروة قال : كنت ربما أخذت بالشعر الذي على منكبي الزبير ، وأنا غلام ، فاتعلق به إلى ظهره .

وقال الواقدي : أخبرني غير واحد من آل الزبير أنه كان رجلاً ليس بالقصير ولا الطويل ، إلى الخفة ما هو في اللحم خفيف اللحيَة أسمر

---

١ ـ سورة الزمر ـ الآية : ٣ .
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص ١٠٠ ـ ١٠٢ .

اللون ، أشعر لا يغير شيبه[١] .

وحدثني الحسين بن علي بن الأسود ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قاتل الزبير ، وهو غلام بمكة ، رجلاً فكسر يده ، وضربه ضرباً شديداً ، فمُرّ بالرجل إلى صفية وهو يحمل ، فقالت : ما شأنه ؟ قالوا : قاتل الزبير فقالت :

كيف رأيتَ زَبْرا أأقطاً أمْ تَمرا[٢]
أم مُشْمَعِلاً صَقرا

وكانت صفية تزفن الزبير ، وهو صغير ، وتقول :

إن ابني الأصغر جب حنكل[٣] أخاف أن يعقني ويبخل
يا رب أمتعني ببكري الأول بالماجد الفياض والمؤمل

حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنبأ هشام بن عروة عن عروة أن صَفية كانت تضرب الزبير ضرباً شديداً ، وهو يتيم ، فقيل لها : قتلته ، خلعتِ فؤاده ، أهلكت هذا الغلام فقالت :

انما أضربه كيْ يلَبْ ويجر الجيش ذا الجلَبْ

قال: فكسر يد غلام ذات يوم فجيء بالغلام إليها فقالَت:

كيف رأيْتَ زبْرَا أأقطا أم تمرا
أم مشمعلا صقرا

حدّثني محمّد بن سعد ثنا عمرو بن عاصم الكلابي عن همام عن

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٧ .
٢ ـ في طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠١ «أأقطا حسبته أم تمرا» والأقط : شيء يتخذ من المخيض الغنمي . القاموس .
٣ ـ الحنكل : اللئيم والقصير ، والجافي الغليظ ، وحنكل في المشي : تثاقل وتباطأ . القاموس .

هشام بن عروة عن أبيه قالَ: كانت على الزبير ريطة قد اعتجر بها يوم بدر وكانت صفراءَ، وكانت على الملائكة يومئذ عمائم صفر فقال رسول الله ﷺ: «نزلت الملائكة اليوم على سيماء الزبير»[1].

حدثنا اسحق بن اسرائيل ثنا يعقوب بن الحضرمي ثنا سُكين بن عبد العَزيز ثنا حفص بن خالد عَن شيخ صحب الزبير بن العَوام في بعض أسفاره، قال: أصابت الزبير جنابة في أرض قفر، فقالَ لي استرني فسَترته، قال: فحانت مني التفاتة فقلْت: والله لقد رأيت بك آثاراً ما رأيتها بأحد قط، فقالَ: والله مَا منها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله.

حدثنا أبو يعقوب اسحق بن أبي اسرائيل ثنا إسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن سوار بن عبد الله عن الحسَن أن الزبير دخل على رسول الله ﷺ وهو يشتكي فقال: ما أكثر ما تعمدك جَعلني الله فداءَك، فقال ﷺ: «أما تركت أعرابيتك بعد» أو كما قال ﷺ، قالَ اسماعيل بن ابراهيم: يعني في قوله «جعلني الله فداءَك».

محمد بن سعد[2] عن الواقدي عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قالَ: أخبرني أبي أن الزبير قال: رأيت طلحة سمّى ولده باسماءِ الأنبياء وأنا أسمّي بَنيَّ بأسماء الشهداء لعَلهم يستشهدون، فسمى عَبْد الله: بعبد الله بن جحش، والمنذر: بالمنذر بن عَمْرو بن خنيس، وعروة: بعروة بن مسعود الثقفي، وحمزة: بحمزة بن عبد المطلب، وجعفرا: بجعفر بن أبي طالب، ومصعب: بمصعب بن عمير، وعبيدة: بعبيدة بن الحارث، وخالداً:

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٣.
٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠١.

بخالد بن سعيد، وعمراً: بعمرو بن سعيد بن العاص قتل يوم اليرموك.

حدثني يحيى بن معين ثنا عبد الرزاق أنبأ معمر عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ رخص للزبير في قميص حرير.

حدثنا وهب بن بقية الواسطي ثنا يزيد بن هرون عن سعيد بن أبي عروبة عن نافع قالَ: سمع ابن عمر رجلاً يقول: أنا ابن حواري رسول الله ﷺ، فقال ابن عمر: إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا"(١).

حدّثنا روح بن عبد المؤمن المقرىء ثنا المعلّ بن أسد ـ أخو بهز بن أسد ـ ثنا محمد بن حمران ثنا عبد الله بن بشر عن أبي كبشة الأنماري قال: كان الزبير على المجنبة اليسرى، والمقداد على المجنبة اليمنى يوم فتح مكة فلما هَدأ الناس جاءَا بفرسيهما، فقام رسول الله ﷺ فمسح الغبار عن وجوههما بثوبه وقال: «إني جعلت للفرس سهمين، وللفارس سهماً فمن نقصهما نقصه الله».

حدثنا محمد بن سعد ثنا أنس بن عياض عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن لكل نبي حوارِيّاً وحواريَّ الزبير ابن عمّتي».

حدثني عمرو بن محمد الناقد ومحمّد بن سعد قالا: ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ يوم الاحزاب: «منَ يأتيني بخبر القوم»؟ فقال الزبير: أنا، فقالَ رسول الله ﷺ: «إن لكل نبيّ حوارِيّاً وحواري الزبير».

حدثنا محمد بن سعد أنبا أنس بن عياض أنبا هشام بن عروة عن أبيه

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٦ .

٢ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٤ .

أن الزبير محا نفسه من الديوان لما قتل عمر بن الخطاب.

حدثني محمد بن سعد ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا حفص أبو غياث عن هشام بن عروة عن أبيه أن الزبير جعل داراً له حبيساً على كل مردودة من بَناته[1].

حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنبا هشام بن عروة أخبرني أبي قالَ: سمعت عبد الله بن الزبير يقول: فدى رسول الله ﷺ الزبير يوم الأحزاب بأبويه.

حدثنا الحسين بن علي بن الأسود ثنا أبو أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قالَ: لما وَقف الزبير يوم الجمل دعاني فقالَ: يابني إنه لايقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لأراني إلا مما قتل مظلوماً، وإن أكبرَ همّي دَيني، أفترى ديننا يبقي من مَالنا شيئاً؟ ثم قالَ: يابنى بع مالي واقض ديني، قالَ: وأوصى بالثلث وقال: إن فضل من مالنا بعد قضاء الدين شيء فثلثه لولدك، وكان بعض ولد عبد الله قد إرى[2] بعض بني الزبير: خبيب، وعباد، وقالَ: إن عجزت عن شيء من دَيني فاستعن بمولاي - يعني الله تبارك وتعالى - قال: فوالله مادريت مَا عنى حتى أخبرني به، فما وقعت من دينه في كربة إلا قلت: يامولى الزبير أقض عنه فيقضيه، قال: وقتل الزبير ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين منها الغابة[3]، وأحد عشر داراً بالمدينة، وداراً بمصر، وداراً بالكوفة، وداراً بالبصرة، قال: وما ولي

١ - طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٥ - ١٠٧ .

٢ - بهامش الأصل: «أرى أي وغر صدره». وفي القاموس: إرى: انضم وألف والتصق.

٣ - الغابة: بجوار أحد خارج المدينة المنورة.

الزبير إمارة قط ولا جباية ولا خراجاً ولا شيئاً إلا أن يكون في غزاة مع النبي ﷺ، أو مع أبي بكر، أو مع عمر، أو مع عثمان.

قالَ عبد الله: فحسبت ماعليه من الدين، وإنما كان الرجل يستودعه المال فيقول له الزبير: هو سلف علينا إني أخشى عليه الضيعة، قالَ: فلقيني حكيم بن حزام فقالَ: يابن أخي كم على أخي من الدين؟ قلت: مائة ألف، فقال: والله ماأرى أموالكم تتسع لهذا، قلت: أفرأيت إن كان ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال: ماأراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم فاستعينوا بي، قال: وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فبيعت بألف ألف وستمائة ألف. قال: من كان له على الزبير دين فليوافنا بالغابة، قال: فأتاه عَبْد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكان له على الزبير أربعمائة ألف، فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم؟ فقال عبد الله: لا، فقال قال: فإن شئتم جعلتموها فيما يؤخر إن أخرتم شيئاً؟ قالَ عبد الله: لا، قال: فاقطعوا لي قطعة، فقال عبد الله: لك من ها هنا إلى ها هنا، قالَ: فباع ذلك بدينه فاستوفاه، وبقي منها أربعة أسهم ونصف فباعها بأربعمائة ألف وخمسين ألفاً، وكان مابيع قبل ذلك بتمام ألف ألف وستمائة ألف، فلما قضى دين أبيه قال ولد الزبير: اقسم بيننا ميراثنا فقال: لا والله أو أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا نقضه، فنادى أربع سنين ثم قسم الميراث بينهم فرفع الثلث، وكان للزبير أربع نسوة فأصاب كل امرأة من ثمن عقاراته ألف ألف ومائة ألف، فكان الثمن: أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف درهم، وكان ثلثا المال الذي اقتسمه الورثة خمسة وثلاثين ألف ألف ومائتي ألف.

وحدّثني عَبْد الله بن صالح المقرىء قالَ: سمعت سفيان بن عُيينة

يقول: اقتسم ميراث الزبير على أربعين ألف ألف درهم.

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قيمَة ماترك الزبير أحد وخمسون أو إثنان وخمسون ألف ألف درهم.

حدّثني محمد بن سعد عن الواقدي حدثني أبو حمزة عبد الواحد بن ميمون عن هشام عن عروة قالَ: كانت للزبير خطط بمصر، والاسكندرية، وبالكوفة، والبصرة دور، وكانت له غلات تأتيه من أعراض المدينة[1].

حدثني الوليد بن صالح عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير في شراج[2] الحرة، فقال رسول الله ﷺ: «اسق يازبير، ثم أرسل إلى جاركَ».

حدثنا خلف البزار عن أبي بكر بن عياش عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أقطع عمر خوّات بن جبير الأنصاري أرضاً مواتا، فاشتريناها منه.

حدثني الحسين بن علي بن الأسود عَن يحيى بن آدم عَن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيْه قال: أقطع أبو بكر الزبير ما بين الجرف إلى قناة[3].

وحدثنا الحسين ثنا يحيى بن آدم أنبا قيس بن الربيع عن هشام عن عروة قالَ: أقطع رسول الله ﷺ الزبير أرضاً من أرض بني النضير ذات نخل وشجر.

وروي ان عمر اقطع الزبير العقيق أجمع.

---

١ ـ طبقات ابن سعد ج٣ ص١٠٩ ـ ١١٠.

٢ ـ الشرجة مسيل الماء من الحرة إلى السهل، والشراج جمعها. النهاية لابن الأثير. الخراج ليحيى بن آدم ص١٠٦ ـ ١٠٧.

٣ ـ الخراج ليحيى بن آدم ص٧٧.

المدائني عن أبي اليقظان عن جويرية قال: أقطع رسول الله ﷺ الزبير حُضْر[١] فرسه فركض حتى أعيى فرسه، ثم رمى بالسوط.

حدّثني أحمد بن إبراهيم الدّورقي ثنا أبو اسامة أنبا هشام بن عروة عن أبيه عن أسماءَ بنت أبي بكر قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، فكنت أعلفه وأكفيه مؤنته وأسوسه، وأدق النوى لناضحه، وأعلفه، واستقي الماء وأخرز غَرْبه[٢]، وأعجن، ولم أكن أحسن الخبز فكن جاراتي من الأنصار يخبزن لي، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي اقطعه إياها رسول الله ﷺ على رأسي وهي على ثلاثة فراسخ، قالت: فجئت يوماً وعلى رأسي نوى فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعاني ثم قالَ: اخْ اخْ ليحملني خلفه، قالت: فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، قالَت: وكان الزبير أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت فمَضى، فأخبرت الزبير بما صنع رسول الله ﷺ وباستحيائي منه، وقلتْ: عرفت غيرتكَ، فقال: أعلى رسول الله ﷺ أغار، والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه، ثم أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني.

حدثني أحمد بن إبراهيم ثنا عبيد بن موسى أنبا الفضيل بن مرزوق حدثني شقيق بن عقبة عن قرة بن الحارث عن جون بن قتادة.

قال قرة بن الحارث: كنت مع الأحنف يوم الجمل وكان جون بن قتادة ابن عمي مع الزبير بن العوام فحدّثني جون قال: كنت مع الزبير فجاءَ

---

١ ـ الحضر: ارتفاع الفرس في عدوه. القاموس.

٢ ـ الغرب: الراوية، والدلو العظيمة. القاموس.

فارس، وكانوا لايسلمون على الزبير إلا بالإمرة فقال: السلام عليك أيها الأمير، فقال: وعليك السلام، قال: إن هؤلاء القوم قد أتوا إلى مكان كذا وكذا، فلم أر قوماً أرَث سلاحاً، ولا أقل عدداً، ولا أرعب قلوباً منهم، ثم انصرف، وجاء فارس آخر فقال: السّلام عليك أيها الأمير، قال: وعليك السلام، قال: جاء القوم حتى أتوا مكان كذا فسمعوا بما جمع الله لكم من العَدد والعُدّة والحَدّ فقذف الله في قلوبهم الرعبَ فولوا مدبرين، فقال الزبير: إيهاً عنكَ الآن، فوالله لو لم يجد ابن أبي طالب إلا العرفج لدبّ إلينا فيه، ثم انصرف وجاء فارس وقد كادت الخيول تَرِخُّ من الرهج[1] فقال: السلام عليكَ أيها الأمير، قالَ: وعليك السّلام، قالَ: هؤلاء القوم قد أتوك، ولقيت عمارا فقلْت له وقالَ لي، قالَ الزبير: إنه ليس فيهم، قالَ: بلى والله إنه لفيهم، قالَ: والله ماجعله الله فيهم، قالَ: بلى والله لقد جعله الله فيهم، قالَ: فلما رأى الرجل يخالفه، قال لبعض أهله: اركب فانظر أحقاً مايقول؟ فركبَ معه وأنا أنظر إليهما حتى وقفا في ناحية الخيل طويلا ثم رجعا إلينا، فقالَ الزبير لصَاحبه: ماعندك؟ قال: صدقك الرجل، فقال الزبير: ياجدع أنفاه، أو يا قطع ظهراه، قال الفضيْل: لا أدري أيهما قالَ، قال: ثم أخذه أفكل[2] حتى جعل السّلاح ينتفض، قالَ جون: فقلت: ثكلتني أميّ، هذا الذي كنت أريد أن أموت معه، أو أعيش، والذي نفسي بيده ما أرى هذا إلا من شيء سمعه، أو رواه، وهو فارس رسول الله ﷺ.

قالَ: فلما تشاغل الناس انصرف فجلس على دابته ثم ذهبَ، قال:

---

١ - الرهج: الغبار. النهاية لابن الأثير، ترخ: تصاب بالإنهاك. العين، القاموس.
٢ - بهامش الأصل: أفكل: الرعدة.

فانصرف جون فجلس على دابته فلحق بالأحنف وجاء فارسان حتى أتيا الأحنف وأصحابه فنزلا فأكبا يناجيانه، فَرفع الأحنف رأسه فقالَ: ياعمرو بن جرموز، يافلان فأتيَاه، فأكبا عليه فناجاهما ساعة، ثم انصرفا ثم جاءَ عمرو بن جرموز إلى الأحنف، فقالَ: أدركته بوادي السباع فقتلته، فكان قره يقول: والذي نفسي بيَده إن صاحب الزبير الأحنف.

حدثنا اسحاق بن اسرائيل ثنا معاوية بن عَمْرو الأزدي أنبا ابن المبارك حدثني ابن لهيعة ثنا محمد بن عبد الرحْمن بن نوفل قال: سمعت عروة يقول: سمعت الزبير يقول: أنا والله أقرعت لمائة من المهاجرين سُهمان بدر، فأسهمت لهم.

حدثنا اسحق بن ابي اسرائيل ثنا رفاعة بن إياس أبو العلاء الضبّي حدثني أبي عن أبيه أن عليّا دعا الزبير فقال : أنت آمن ابرز إليّ أكلمك ، فبرز له بين الصّفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما فقال : يا زبير أنشدك الله الذي لا إله إلاّ هو ، أخرج نبي الله يمشي وخرجنا معه أنا وأنت فقال لك : يا زبير لتقاتلنه ظالماً ، وضرب كتفك ؟ فقال : اللهم نعم ، قال : أفجئت تقاتلني ؟ فرجع عن قتاله وسار من البصرة ليلة فنزل بماءٍ لبني مُجاشع ، فلحقه رجل من بني تميم ثم من بني سعد، يقال له ابن جرموز فقتله، وجاء بسيفه إلى عليّ فقال : بشر قاتل ابن صفية بالنار .

حدثني أبو بكر الأعين ثنا الحسن بن موسى الأشيب حدثني ثابت بن يزيد عن هلال عن عكرمة عن ابن عباس : أنه أتى الزبير فقال : يا بن صفية بنت عبد المطلب جئت تقاتل علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ؟

قال : فرجع الزبير فلقيه ابن جرموز فقتله ، فقال ابن عباس لعلي : إني رأيت قاتل ابن صفية فقال : إلى النار، إلى النار .

حدثني بكر بن الهَيْثم حدثني عبيدالله بن موسى عن الحسَن بن صالح عن رجل عن الشعبي قال : لقي طلحَة والزبير الأحنف بن قيس فدعواه إلى بيعتهما على الطلب بدم عثمان ومخالفة عليّ ، فقال : أنتما أمرتماني ببيعته ؟ فقالا : أف لك إنما أنت فريسَة آكل وتابع غالب ، فتركهما ومضى .

وحدثني محمد بن أبان الواسطي ثنا جرير عن الحسن أنه ذكر الزبير فقال : عجباً للزبير أخذ بحقوي أعرابي من بني مجاشع : أجرني ، أجرني ، حتى قتل ، أمَا والله لقد كنت في ذمّة منيعة .

حدثني بكر بن الهيثم حدّثني أبو حكيم العَدني عن معمر عن قتادة قال : لما اقتتلوا يوم الجمل فكانت الدبرة على أصحاب طلحة والزبير ، أفضى علي إلى الناحية التي فيها أصحاب الزبير ، فلما رآه واجهه قال له علي : يا أبا عبدالله أتقاتلني ، وقد عرفت ما أعطيتني من بيعتك ، وما سمعت من رسول الله ﷺ ؟ فانسلّ على فرسه منصرفاً إلى المدينة ، فلما صار بسفوان[1] لقيه رجل من بني مجاشع يقال له النِّعِر بن زَمّام فقال له : أجرني ، فقال النعر : أنت في جواري يا حواري رسول الله ، فقال الأحنف : واعجباً للزبير لف غارين[2] من المسلمين ، ثم قد نجا بنفسه ، فسمع ذلك ابن جرموز ، فاتبعه وأصحابه فقتله ، وأخذ رأسه فأتى به علياً ، فبعث عليّ من دفنه مع بدنه بوادي السباع .

---

١ ـ سفوان ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة . معجم البلدان .
٢ ـ الغار : الجمع الكثير من الناس . القاموس .

حدثني روح بن عبد المؤمن المقرىء حدثني أبو عامر العَقدي عن الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال : قتل الزبير عمرو بن جرموز ، فقبر بوادي السباع .

حدثني عمرو الناقد ثنا أبو نَعيم الفضل بن دكين ثنا عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوَالبي قال : دعا الأحنف بني تميم فلم يجيبوه ، ثم دعا بني سعد فلم يجيبوه ، فاعتزل في رهط فمر الزبير على فرس له يقال له ذو النعال ، فقال الأحنف : هذا الذي ألبَ بين الناس ، قال : فاتبعه رجلان ممن كان معه ، فحمل عليه أحدهما فطعنه ، وحمل عليه الآخر فقتله ، وجاء برأسه إلى باب عليّ ، فقال : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، فألقاه من يده وذهب .

حدثني عمرو ثنا قبيصَة ثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال علي : إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله : ﴿أخواناً على سرر متقابلين﴾[1] .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا أبو عامر العقدي ثنا الأسود بن شيبان عن خالد بن سمير قال : قال الناس:بايعوا الزبير على الخلافة فلما سمعت ذلك عائشة قالت : لا تبايعوا الزبير على الخلافة ، ولكن بايعوه على القتال ، فإن أظفركم الله فَسترون رأيكم ، قال : فوثَب عبدالله بن الزبير فقال : يا زبير أتدري ما تريد هذه ؟ تريد أن تجعل حار الناس بك وبارده لابن عمها طلحة ، أقعد على نجائبك ثم ارم بها مكة حتى تقلع سيوف

---

١ ـ سورة الحجر ـ الآية : ٤٧ .

العَرب وقد أفنيت سراتها ووجوها فتركب إليكَ سعاتها ، قال : فركب الزبير فأصابه أخو بني تميم بوادي السباع .

وقال أصحاب السيرة : لما كان يوم الجمل وهو يوم الخميس لعشر ليالي خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين بعد القتال ، انصرف الزبير يريد المدينة ، فلقيه النعر بن زمّام المجاشعي فقال : يا حواري رسول الله إليّ فأنت في ذمتّي ، وبلغ الأحنف ذلك فقال : ما أصنع إن كان الزبير لف بين غارين من المسلمين فقتل أحدهما الآخر ، ثم هو يريد اللحاق بأهله ، فاتبعه عمرو بن جرموز بن قيس ، أحد بني جشم بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وفضيْل بن عابس ، ونفيل بن حابس التميميون ، فلحقه ابن جرموز فطعنه ، فحمل عَليه الزبير ، فلما ظن أنه قاتله دعا صاحبيه وقال : الله الله يا زبير فأمسك الزبير ، فحملا عَليه وابن جرموز معهم فقتلوه ، واحتز ابن جرموز رأسه ، وأخذوا سيفه ، فلما أتي به علي قال : سيف طال ما جلّى به عن رسول الله ﷺ الكرب ، ولكنه الحين ومصارع السّوء ، فذلك قول جرير للفرزدَق :

قتـل الزبـير وأنتم جيرانـه   غيّا لمن قتل الزبير طويلا[1]

قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل امرأة الزبير ، وهي التي كان أهل المدينة يقولون : من أراد الشهادة فليتزوجها ، وذلك أنها كانت عند عبدالله بن أبي بكر ، ثم عند عمر بن الخطاب ، ثم عند الزبير .

غدر ابن جرموز بفارس بُهْمَةٍ   يوم اللقاء وكان غير معرّد
يا عمرو لو نبهته لوجدته   لا طائشاً رعش السّنان ولا اليد

١ ـ ديوان جرير ص ٣٦٥ مع فوارق .

شلت يمينك أن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد
ثكلتك امك هل اخرت بمثله فيمن مضى فيما تروح وتغتدي
كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادكَ يا بن فقع الفدفد

وغزا الزبير مصر فصعد سور النوبة وحده ، فقاتل عليه ، فكان فتحها بصعوده .

وأمّا السّائب بن العوام أخو الزبير

فإن أباه مات قبل المبعث ، وقال بَعْضهم : قتل في الجاهلية ، والسائب يرضع وكان السائب حين اسلم الزبير صغيراً ، استشهد يوم اليمامة في أيام أبي بكر .

حدثني عبد الواحد بن غياث ثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه في حديث طويل قال : التقى المسلمون والمشركون باليمامَة فَولى المسلمون مدبرين حتى بلغوا الرحال ، فقال السّائب بن العَوّام : أيها الناس إنكم قد بلغتم الرحال لا مفر لامرىء بعد رحله ، فهزم الله المشركين ، وقتل مسيلمة .

وقال أبو اليقظان البصري : كان للعوام ابن يقال له الأسود ، وكان أكبر ولد العوام ، وامه من بني عبد الدار ، فلما أسلم الزبير قيده واشتد عليه ، ولا عقب لَه . قال وكان له : أصرم وبعكك ، أمهما من بني السباق بن عبد الدار درجا .

قالوا جميعاً : كان الزبير والسّائب لصفية بنت عبد المطلب ، خلف عليها العوام بعد الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس .

وأما بجير بن العوام فقتل بأبي أزيهر باليمامة .

وأمّا عبد الرحمن بن العوام فاستشهد في أيام عمر في بعض المغازي ، وقتل ابنه مع عثمان يوم الدار .

وولد للزبير :

عَبْدالله بن الزبير وهو أول مولود في الإسلام بالمدينة من قريش ، فكبْر المسلمون حين بشروا به ، وكان المشركون يقولون قد انقطع نسلهم .

وعروة والمنذر . وعاصم . والمهاجر . وخديجة الكبرى . وام الحسن . وعائشة . وأمهم أسماء بنت أبي بكر الصديق .

وخالد وعمرو . وحبيبة . وسودة وهند ، أمهم أم خالد ، وهي أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية .

ومصعب . وحمزة . ورملة ، أمهم الرباب بنت أُنيف بن عبيْد من بَني عليم من كلب .

وعُبيدة بن الزبير ، وجعفر ، أمهما زينب ، وهي أم جعفر بنت مرثد بن عمرو من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة .

وزينب بنت الزبير ، أمها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط .

وخديجة الصّغرى أمها الحلال بنت قيس من بني النضير بن قعين بن الحارث بن ثعْلبة بن دودان بن أسد .

حدثني الحرمازي عن العتبي قال : قال بعض حشم زينب بنت الزبير لزينب : أهزل ما تكونين إذا قدم زوجك ؟ فقالت : إن الحرة لا تضاجع زوجها بملء بطنها ، وكانت عند عنبسة بن أبي سفيان .

قال : وخطب عبد الملك رمْلة بنت الزبير ، فقالت : إني لا آمن نفسي سوء ظن من قتل أخي ، وكانت أخت مصعب لأمه .

وحدّثني التوزي عَن أبي عبيدة قال : قدمت ابنة للزبير مكة حاجّة فخطبها رجل من بني أميّة قد كانت أمها وأمه قبل ذلك عند رجل من قريش فأبت وقالت : أأباه لخصال ثلاث : لأني أكره أن أرجع إلى أرض هاجر منها أبي ، ولأني قدمت حاجة على ظهر بعير ثم أتزوج ، وأن أكون كنّةً لمن كانت لأمي ضرّة .

قالوا : وأسلم مع الزبير حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، ثم أحد بني خالفة بن أذب بن جَزْبلة ، وكان رسول الله ﷺ سمىٰ «بني خالفة» حين وفدوا «بني راشدة» وكانت كنية حَاطب أبا محمد ، وهو حليف الزبير ، وقد شهد : يوم بدر ، وأحد ، والخندق والمشاهد كلها ، وكان رسول الله ﷺ أرسله إلى المقوقس بالاسكندرية .

حدثني محمد بن حاتم بن ميمون المروزي ثنا محمد بن فضيل أنبأ حصين عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : بعثني رسول الله ﷺ ، والزبير ، وأبا مرثد الغنوي ، وكلنا فارس ، فقال لنا : «انطلقوا حتى تبلغوا روضة خاخ[1] فان بها امرأة معها صحيفة من حَاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني بها ، قال : فأدركناهَا حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا : أين الكتاب ؟ قالت : ما معي كتاب ، فأَنخنا بعيرها ، وفتحنا رحلَها فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها[2] وعَليها إزار من صوف فأخرجت الكتاب ، فقال النبي ﷺ لحاطب : «ما حملك على ما صنعت» ؟ فقال : يا رسول الله ما بي ألا أكون مؤمنا بالله ورسوله ، ولكني أردت أن يكون لي يد

١ ـ موضع بين الحرمين ، بقرب حمراء الأسد ، من المدينة . المغانم المطابة .
٢ ـ الحجزة : معقد الإزار ، ومن السراويل موضع التكة . القاموس .

عند القوم يدفع الله بها عمن بين ظهريهم من أهلي ومَالي ، فإنه ليس من أصحابك أحد إلاّ وله بمكة من يذب عن ماله وأهله سواي ، فقال : «صدق ولا تقولوا له إلا خيراً» فقال عمر : يا رسول الله إنه قد خان الله ورسوله فاذن لي أضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ : «أو ليس هو من أهل بدر ، وما تدري لَعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة» ، فدمَعتْ عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم ، فنزلَت : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياءَ تلقون إليهم بالمَودّة﴾[1] .

وحدّثني أحمد بن هشام بن بهرام ثنا عمرو بن عون ثنا خالد بن عبدالله الطحان عن حصين عن سعد بن عبيدة عن أبي عَبد الرحمن عن علي أنه سمَعه يقول : كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة : «إن محمداً سائر إليكم» ، ثم ذكر نحوا من حديث محمد بن فضيل .

حدثني بكر بن الهيثم أنبا هشام بن يوسف عن معمر عن الكلبي وقتادَة والزهري قال : كتب حاطب بن أبي بلتعَة إلى أهل مكة مع امرأة يقال لها سارة ـ قال الكلبي : مولاة عمرو بن هاشم ، وقال الزهري مولاة قريش ـ فوجه رسول الله ﷺ في طلبها فوجدت في بعض الطريق وقد جعلت كتاب حاطب في عقصتها ، فأخذ منها فنزلت : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياءُ تلقون إليهم بالمودة﴾ .

وحدثنا محمد بن حاتم بن ميمون ثنا شبابة أنبأ ليث عن أبي الزبير عن جابر أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعَة جاءَ يشكوه فقال : ليدخلن حاطب النار

١ ـ سورة الممتحنة ـ الآية : ١ .

يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : «كذبتَ لا يدخلها لأنه قد شهد بدراً» .

قالوا : وانصَرفت سارة إلى مكة مرتدة فقتلها رسول الله ﷺ يوم فتح مكة .

قال الواقدي : كان حاطب من الرّمَاة المذكورين من أصحاب النبي ﷺ ، ومات بالمدينة سنة ثلاثين ، وهو ابن خمس وستين ، وصلى علَيْه عثمان .

قال الواقدي : وحدثني شيخ من ولد حاطب عن أبيه قالوا : كان حاطب رجلاً حسن الجسم ، خفيف اللحية أجلى[1] ، إلى القصر ما هو ، شثن الأصابع .

حدثنا محمد بن سعد عن الواقدي عن يحيى بن عبدالله بن أبي فروة عن يعقوب بن عتبَة قال : ترك حاطب بن أبي بلتعَة يوم مات أربعة آلاف دينار ودراهم ودارا وغير ذلك ، وكان تاجراً يبيع الطعام وغيره . قالوا واسلم سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة ، وهو سعد بن خولي بن سبرة بن دريم بن القوسار بن الحارث بن مالك بن عميرة بن عامر بن بكر بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن قضاعة ، وكان أصَله سَباء ، فصار إلى حاطب فأنعم عليه وشهد بدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً ، وفرض عمر بن الخطاب لابنه عبدالله بن سعد في الانصار .

قال ابن الكلبي وفي امرأة من ولد القوسار يقول أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي :

---

١ ـ أي كان منحسر مقدم الشعر ، أو نصف الرأس . القاموس .

ان ابنة القوسار يا صاح دلني عليها قضاعي يحث جماليا
فأعطيت خوليّ بن فروة ما اشتهى من المشمخرات الذرا والروابيا[1]

والقضاعي خولي بن فروة.

قالَ: وخولي بن فروة بن القوسار دله عَليها فروة بن القوسار هذا رجل من بني عميرة أيضاً.

وقال قوم: هو سعد بن خولي بن فروة بن القوسار، وذلك وهم.

وقال أبو معشر: هو من مذحج وذلك وهم. قالوا: وليس لسعد عقب.

قال أبو اليقظان: كان الزبير، حواري رسول الله ﷺ، واحداً ممن سمي للجنة، وقتل وهو ابن ستين سنة.

قالَ: وتزوج رملة بنت الزبير عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، ثم خلف عَليها خالد بن يزيد بن معاوية وقد ذكرت قصتها وشعره فيها فيما مضى من كتابنا هَذا.

وكانت خديجة بنت الزبير عند أبي يسار بن شيبة بن ربيعة.

وكانت عائشة عند الوَليد بن عثمان بن عفان.

وكانت أم الحسن بنت الزبير عند عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكانت احدى بناته عند عنبسه بن أبي سفيان، وكانت أخرى من بناته عند عبد الرحمن بن الأسود بن أبي البختري من ولد أسد بن عبد العزى.

وأمّا جَعفر بن الزبير فكان من فتيان قريش وكان يتغزل وهو القائل:

ولمجلس القرشيَ حق واجب فارعى له حق الكريم الأروع

١ ـ طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٤ ـ ١١٥ .

ما تأمرين بجعفر وبحاجَة يستامها في خلوة وتضرع

وبجعفر عقب بالمدينة.

وأمّا: **عبيدة بن الزبير** وله عقب، ومن وَلده أبو بكر بن عبيدة، وكان له ابن معتوه يقال له عبد الرحمن بن أبي بكر، فكان خاله المغيرة بن عبد الرحمن بن هشام يقوم لشأنه، وكان لا يطعم شيئاً إلا رمى به، ولا يكسى ثوباً إلا خرقه، فكان المغيرة قد اتخذ في منزل المعتوه كوى يجعل فيها ألوَان ما يؤكل من خبز ولحم وفاكهة، وتجعل الثياب على معاليق فيأكل المعتوه ويلبس، وهو الذي قالَ لعمرو بن الزبير حيث توجه لقتال عبد الله أخيه امض معي إليه وأنت في جواري فإن آمنك وإلا رّددتك إلى مأمنك، فلم ينفذ عبد الله بن الزبير جواره،وقد كتبنا خبره فيما تقدم، فقال الشاعر في عبيدة بن الزبير:

أعبيد إنَك قد أجرت فجاركم تحت التراب تنوبه الاصداءُ

أعبيد لو كان المجير لَوَلْوَلَتْ بعد الهدو برنة اسماءُ

اضرب بسيفك ضربة مذكورة فيها أداءُ أمَانة ووفَاءُ

وأما **حمزة بن الزبير** فلا عقب له، وقتل مع عبد الله بن الزبير أخيه.

وأما **خالد بن الزبير** فاستعمله عبد الله على اليمن وله عقب، ومنهم: **خالد بن عثمان** بن خالد بن الزبير، وكان خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بالمدينة، فقالَ أبو جعفر أمير المؤمنين المنصور: ما آل الزبير وآل علي ؟! وأخذه أبو جعفر فقتله وصَلبه.

وأمّا **عمرو بن الزبير** فكان ذا تيهٍ وكبر وعجب، انتدب لقتال أخيه فكان من أمره وقتله إياه بالاقتصاص منه ما قد ذكرناه، وكان يقال: من نخوته عمرو لا يكلّم، من يكلمه يندم.

المدائني عن مسلمة بن محارب قال: قالَ مالك بن أسماء المنى - وهي أمه - : أنا أغضب معاوية واستجعل على ذلك جعلاً فأتى معاوية، وقد حضر الموسم، فقالَ: ياأمير المؤمنين ماأشبه عينيك بعيني أمكَ هند فقالَ: تانكَ عينان طالما أعجبتا أبا سفيان فانظر ما أعطيت فخذه ولا تجعَلنا متجراً لكَ، فقال له رجل من قريش: لك مِثلا جُعلِك إن قلت لعمرو بن الزبير كما قلت لمعاوية، وكان عمرو ذا نخوة وكبر فقالَ له: ماأشبهكَ بأمكَ ياعمرو، فأمر به فضرب حتى مات، فبعث معاوية إلى أمه بديته وقال:

ألا قل لأسماءَ المنى أم مالكٍ ... فإني لعمرو الله أقتلت مالكا

يقول: عرضته للقتل بحلمي عنه.

ولعمرو بن الزبير عقب، وفي ابنه عمرو بن [عمرو بن] الزبير يقول الشاعر:

لو ان اللؤم كان مع الثريا ... تناول رأسَها عمرو بن عمرو

وقتل من قتل من ولد الزبير، وقتل العوام، وقتل خويلد، وقال الشاعر في قتل العوام يوم الفجار:

وعَـوّاماً تـركنـاه صريعـاً ... على إثر الفوارس بالغريف(١)

وأمّا عروة بن الزبير ويكنى أبا عبد الله، وكان فقيهاً فاضلا، وقال لعبد الملك حين كتبَ الحجاج إليه في حمله، فأمره عبد الملك بذلك: ليس الذليْل من قتلتموه، ولكنه من ملكتموه فلما قال هذا القول استحيى عبد الملك فلم يهجه، وكتبَ إلى الحجاج: «أمسك عن ذكر عروة، فما لكَ عليه سبيل».

---

١ - من أجل الغريف، انظر صفة جزيرة العرب للهمداني - ط ١٩٧٤ ص٢٩٠ .

وحدثني عبد الله بن صالح المقرىء قال: قالَ الحجاج لعروة وقد أغلظ لعبد الملك في كلام: يابن العمَياء ألا تسكت، فقال له عروة: يابن المتمنية، يعني جدته أم أبيه، وكانت كنانية، وهي القائلة:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

فسمعها عمر فأخذ نصراً فسيره إلى البصرة، وكان نصر جميلا.

وقالَ بعضهم: إن المتمنية أم الحجاج الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي. واستودع عروة طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر مالاً، وأودع غيره، وشخص إلى الشام، فكان يسأل عن طلحة، فيقال هو يبني الدور ويقسم الأموال، فخاف أن يذهب بماله، فلما قدم كابره قوم على ما أودعهم، وأعطاه طلحة ماله موفّرا، فقال متمثلاً:

وما استخبأت في رجل خبيئاً ... كدين الصدق أو حسب عتيق

ذوو الاحساب أكرم من رأينا ... وأصبر عند نائبة الحقوق

وقالَ هشام الكلبي: أصابت عروة الأكلة في رجله، وهو بالشام عند الوليد بن عبد الملك، فقطعت رجله بميشار وهو يقرأ فما تتعتع ولا تحرك، ولم يشعر الوليد بقطع رجله حتى كويت، وكان ذلك بحضرة الوليد وبقي بعد ذلك ثماني سنين ثم هلك في ضيَعة له بقرب المدينة، وكان يقول: لقد أحسن بي ربي أخذ مني واحدة، وترك لي ثلاثاً، وامتعني بسمعي وبصري ولساني، وكان له ابن يحبّه فضربته دابة فسقط ميتاً وذلك قبل وقوع الأكلة في رجله، فقالَ حين قطعت رجله صبراً واحتساباً: ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾[1].

١ ـ سورة الكهف ـ الآية: ٦٢.

وقالَ عروة: أعظم من المصيبة سوء العوض وروى ذلك عن عبد الله بن الزبير أيضاً.

قال المدائني: عزّى عيسى بن طلحة بن عَبيّد الله عروة فقالَ: يا أبا عبد الله ذهب أقلك وبقي أكثركَ، فالحَمْد لله الذي بقي لنا سمعك وبصرك فقالَ: ما عزاني أحد بمثل مَا عَزيتني به.

قالَ: ووقعَت الأكلة في رجله، وضربَ برذون ابنه فقتله، وقطعَت رجله بميشار وحسمت[1] فلم يقبض وجهه، ولم يحرك عضواً منه إلا أنه غشي عليه عند الحسم.

وأتي الوليد بقوم أصيبوا بمصائب عظيمة فقالَ ائتوا عروة بهؤلاء ليعلم ان مصائب الدنيا كثيرة.

وحدثني مصعب الزبيري أن عروة صلى بالناس يوماً، وكانوا مقحطين، فقالَ لهم: أقنطتم؟ قالوا: نعم قالَ فتوقعوا الفرج فان الله يقول: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد﴾[2].

وكان عروة احتفر بئراً بالمدينة فهي تعرف ببئر عروة، فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها، وفيها يقول الشاعر:

كفنوني ان مت في درع أروى ... واستقوا لي من بئر عروة مائي

وقالَ الواقدي: مات عروة في مال له بناحية الفرع[3] في سَنة أربع وتسعين ودفن هناك.

---

١ ـ حسمه: العرق قطعه ثم كواه لئلا يسيل دمه. القاموس.

٢ ـ سورة الشورى ـ الآية: ٢٨ .

٣ ـ الفرع قرية من نواحي الربذة، بينها وبين المدينة ثمانية برد. المغانم المطابة.

وقالَ عروة: إذا رأيتم من الرجل خلّة خير، وكان عندكم رجل سوء فلا تيأسوا منه فإن لها عنده أخَوات، وإذا رأيتم من رجل خلّة شر فاحذروه، وإن كان صالحاً.

فولد عروة بن الزبير: **عبد الله**، أمه ابنة الأسود بن أبي البختري.

ومحمداً، ويحيى بن عروة، ويكنى أبا عروة **وعثمان** أمهم ابنة الحكم بن أبي العاص أخت مروان.

وعَمْراً. ومصعباً، وعبيد الله. وأمهم ابنة سلمة بن عمر بن أبي سلمة المخزومي.

وهشام بن عروة لأم ولد.

فامّا **عبد الله** فكان خطيباً بليغا، وكان خالد بن صفوان يشبه به في بلاغته، وعمي قبل موته، وله عقب بالمدينة.

وقتل **صالح بن عبد الله** بن عروة بقديد[1] قتلته الخوارج.

وكان **عمر بن عبد الله** فقيها، حدث عنه ابن جريج، سمع من القاسم بن محمد وغيره، وحج عبد الملك بن مروان فأتى المدينة، فدخل على عبد الله بن عروة بن الزبير فقال: ياأمير المؤمنين أعدني على إبراهيم خالك فإنكّ وليته مابين المدينة واليمن فلم يمنعه كثير مَا في يده من قليْل ما في أيدينا، فنشدتكَ الله أن تصل رحمك بقطيعَة أخرى، فوالله مايمنعنا من أن نموت مع عَبْدالله إلا مكان هذه الأموال.

وأمّا **محمد** فلم يكن له عقب من الرجال، وكان من أجمل الناس وفيه يقول ابن يسار:

---

١ ـ قديد: قرية بين خليص وعسفان، بقرب مكة، المغانم المطابة.

وغنينا كابني نويرة حينا بعد عيش ونعمة واتفاق
ثم صرنا لفرقة ذات يوم كل قوم مصيرهم للفراق

يعني مالكا ومتمم بن نويرة.

وكانت لمحمد بن عروة ابنة جميلة، تزوجها الحكم بن يحيى بن عروة فطلقها، فتزوجها أميّة بن عبد الله بن عَمْرو بن عثمان، فطلقها فراجعها الحكم على أن كتبت عليه كتابا بأربعين ألفَ درهم وبغلّة أرضه وبعطائه ولايغيرها ولا يخالفها، فإن خالف شيئاً من شرطها فأمرها بيدها، فكان يقالُ: أثقل من شرط ابنة محمد بن عروة.

وأما عثمان بن عروة فكان فائق الجمال،وكان خطيباً جلداً ومات في أيام أبي جعفر المنصور، وله عقب بالمدينة.

وأما يحيى بن عروة، فكان له علم بالنسب والناس، فنازع ابراهيم بن هشام عامل هشام بن عبد الملك على المدينة فضربه بأمر هشام فمات بعد الضرب،وله عقب بالمدينة.

وأما عمرو بن عروة فقتل مع عبد الله بن الزبير،ولاعقب له.

وأما عبيد الله بن عروة فله عقب بالمدينة، وقد روى الزهري عن عبيد الله بن عروة، ويكنى أبا بكر،وعن يحيى بن عروة، ويكنى أبا عروة.

وأما هشام بن عروة، ويكنى أبا المنذر، فكان فقيها نبيلاً له عقب بالمدينة والكوفة والبصرة، وكان هشام في وسط من أيامه على تديّنه يسمع الغناءَ، فواعد قوماً من أهل المدينة أن يأتوا منزل جارية تتغنى فسبقوه ومضى ليلحقهم،وجعل يقول:

قائمتيّ ألحقاني بالقوم لاتعداني كسلاً بعد اليوم

فلما سمع غناءَ الجارية قال: أعيذك بالله إنه لينبغي أن يكتب على صدرك آية الكرسي، وبين كتفيك المعوذتين ثم خرج.

وقالَ هشام: مَا تم دين لأحد حتى يتم عقله.

وقالَ هشام: الغنى يجعل الغربة وطنا، والفقر يجعل الوطن غربَة.

وقالَ هشام، ورأى رجلًا يبْني داراً أسرف في النفقة عليها: عجباً لمن يبتني القصور وهو غداً في القبور.

وقالَ هشام بن عروة: وجدت خير الدنيَا والآخرة في التقى والغنى، وشرهما الفجور والفقر.

ومات هشام بن عروة ببغداد في سنة ست وأربعين ومائة قبل موت أبي حنيفة بأربع سنين.

وأما المنذر بن الزبير بن العوام، ويكنى أبا عثمان فكان سيداً حليماً وقتل مع عبد الله بن الزبير وله يقول ابن مُفرغ.

لابن الزبير غداة يذمر منذراً أولى بغاية كل يوم وقاع
ليس الكريم من يغادر أمه وبناته بالمنزل العجّاع[1]

فمن وَلده: **محمد بن المنذر**، أمّه ابنة سعيد بن عمرو بن نفيل العدوي، **وعاصم بن المنذر** لأم ولد، وكان ينزل البصرة، **وعبيد الله بن المنذر** أمّه ابنة نهشل بن حري التميمي، **وابراهيم بن المنذر** وغيره.

المدائني قالَ: سابّ محمد بن المنذر بن الزبير عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو المطرف، فقالَ له محمد: لقد عشت زماناً وأنا أظنكَ جارية أهمّ أن أخطبك إلى أبيك. قالَ: أنا عبد الله بن عمرو بن عثمان، قالَ: عهدتك

١ ـ بهامش الأصل: الجعجاع، وهو ماجاء في ديوان ابن مفرغ ص١٦٢ ـ ١٦٣.

ولك اسم أحب إليك من هَذا، وكان يدعى لجَمَاله المطرف.

وأمَّا: مُصْعَبْ بن الزّبيرْ فَكَانَ يكنى أبا عبد الله، ويقال أبا عيسى، وولد له **عيسى وعكاشة**، أمهما ابنة السائب بن أبي حُبيش، **وعمر** لأم ولد. **وجعفر** لأم ولد. **وحمزه** لأم وَلد، **ومحمد وخُضَير** واسمه إبراهيم لأمهات أولاد شتى. وقال بعضهم اسم خضير مصعب بن مصعب، والأول قول ابن الكلبي، وكان مصعب جواداً عظيم المروءة وقد كتبنَا خبره ومقتله، وكان يقول: أفضل النساء الفخمة الاسيلة، وشرّهن القفرة، وقتل ابنه عيسى معه، فقال الشاعر:

لبيك أبا عيسى وعيسى كلاهما   موالي قريش كلها وصميمها

وقال الأصمعي : قدم مصعب البصرة علىٰ راحلته مضطبعاً[1] بردائه ، فقال بعض من رآه من أشياخ العرب : لقد انتشط الملك انتشاطا .

وقال مصعب علىٰ منبر البصرة لبعض بني أبي بكرة : إنما كانت أمكم مثل الكلبة ينزو عليها الأعفر ، والأسود ، والأبقع ، فتودى إلىٰ كلّ كلب شبهه .

ولا عقب لعيسىٰ ، ولعكاشة بن مصعب عقب بالمدينة ، وتزوج عكاشة ابنة عامر بن عبدالله بن الزبير ، فولدت له ، فمن ولده مصعب بن عكاشة بن مصعب ، قتل يوم قديد في أيام مروان بن محمد ، قتلته الخوارج ، فقال الشاعر :

قــل لأنــواح قصيّ كلهــا   ونسَاء موجعات من أسَد

---

١ ـ اضطباع المحرم: أن يدخل الرداء من تحت إبطه الأيمن، ويرد طرفه على يساره، ويبدي منكبه الأيمن ويغطي الأيسر. القاموس.

قمن فـاندبن رجـالا قتلوا بقــديـد ولنقصَــان العــدد
ثم لا تعدلن منهم مصعبا حين يبكى بقتيل من احد
إنـه قد كـان فينا بـاسـلا صادقاً يقـدم إقدام الأسـد

وأما **عمرو بن مصعب** فولده بالبصرة .

وأما **جعفر بن مصعب** ، وكان سرياً فتزوج مُليكة بنت الحسين بن علي ، فولدت له حمزة ، فقتل وابن له يقال له عُمارة يوم قُديد ، وله بالمدينة عقب ، وكان بعض عمال أهل المدينة أخذ حمزة بن جعفر شارباً فحده وأقامه للناس .

وأما **إبراهيم بن مصعب** وهو خضير فكان على شرط محمد بن عبدالله بن حسن حين خرج ، ويقال : اسم خضير مصعب بن مصعب ، وله عقب ، وقتل خضير مع محمد بن عبدالله .

وقال الأصمعي : قال مصعب لعبد الرحمن بن عيّاش بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكانت عنده جويرية بنت زياد : أتثَّأر الناس بسيوفهم واثَّأرتَ بأيرك ؟!

وقال حين قدم البصرة : بلغني إنكم أهل البصرة تلقبون أمراءكم وإني أنا الجزار .

قالوا : وكتب كاتب مصعب : «من المصعب» فقال : ما هاتان الزائدتان ؟!

وأمَّا عبْدالله بن الزبَيْر ، فكان يكنىٰ أبا بكر ، وأبا خبيب ، وكان من أشد الناس قلباً ولساناً ، وهو أول مولود ولد بالمدينة في الاسلام من أبناء المهاجرين ، فكبر المسلمون لمولده ، وكان بخيلاً قال الشاعر :

رأيت أبا بكر وربكَ غالبٌ　　علىٰ أمرهِ يرجو الخلافة بالتمر

وقتل وهو ابن ثلاث وسبعين سَنة ، وقد كتبنا أخباره فيما تقدم من كتابنا هَذا . **فولد عَبْدالله بن الزبير** : **حمْزة** وكان مضعوفا ، **وخُبيباً** ، **وثابتاً** ، **وعبّاداً** ، أمهم تماضر بنت منظور بن زبان الفزاري ، **وعامر** أمّه ابنة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، **وعبدالله بن عبدالله** ، أمّه أم ولد ، **وقيسا** درج صغيراً ، **وموسى** .

فامّا حمزة فكان جوادا يعطي يوماً فيباري الريح ، ويمنع يوماً شسعا ، وكان ابن سريج المغني صديقاً له ، وكان حمْزة يكرمه ويعظمه ، وهو الذي غنى في هذا الشعر :

حمـزة المبتاع حمـداً بالنـدى　　ويرى في بيعه أن قد غُبِنْ[1]

فكلم ابن سريج رجل من قريش في مسألة حمزة إسلافه ألف دينار ، فوهب له ألف دينار ، ووهب لابن سريج ألفا آخر ، وقد كتبنا خبر حمزة في ولايته العراق ، وتزوج حمزة بالبصرة أم عبدالله بنت عبدالله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وأمها ضُباعَة بنت الحارث بن نوفل أخت ببة ، وكانت عند حمزة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب ، فقال لها في مرضه ، كأني بك قد تزوجت طلحة بن عمر بن عبيدالله بن معمر ، فحلفت بصدقة مالها ، وعتق رقيقها لا تفعَل ، فلما مات حمزة خطبها طلحة وقال : أنا أخلف عليك مكان كل شيء شيئين ، فتزوجته فغرم عنها عشرين ألف دينار ، وولدت له : إبراهيم ، ورملة ، فزوج طلحة بن عمر ابنته رملة اسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس على مائة ألف دينار ، وكانت أجمل

١ ـ الشعر لموسى شهوات . مولى بني سهم . انظر نسب قريش للمصعب الزبيري ص ٢٤٠ .

الناس فقال اسماعيل بن يسار لطلحة : أنت أتجر الناس ، تزوجت فاطمة على أربعين ألف دينار ، وزوجت ابنتها على مائة ألف ، فربحت إبراهيم وستين ألف دينار .

وأمّا خبيب فكان عقيماً ، وكان الوليد بن عبد الملك غضبَ عَليْه لأمر بلغه عَنه ، فكتب إلىٰ عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، فضربَه عمر فمات من ضربه إيّاه ، فكان ذلك مما عيب علىٰ عمر بن عبد العزيز .

وأما ثابت بن عبدالله فكان يكنىٰ أبا حكمة ، وكان بذيئاً ذا لسن ، وله عقب ، وقيل لثابت : اشتم عَليًّا ، فقال : ماذا أقول ؟ قالوا : قل : سم أبا بكر ، ودس لعمر من قتله ، وقتل عثمان ، فقال : والله ما علمت ذاك فأقوله .

قالوا : وأقامه هشام بن اسماعيل فقال : اشتم عليّاً ، فقال لعن الله الفاسق الأشقىٰ قاتل أمير المؤمنين عثمان ، قال : هيه اذكر عليّاً فقال : لعَن الله الأشدق لطيم الشيطان خالع أمير المؤمنين عبد الملك ، قال : هيْه اشتم علياً الآن قال : لم يبلغه الشتم حتى أشتم غيره ، ولم يزل يشاغله .

وقال له عبدالله بن عمرو بن عثمان يوماً ، وهو المطرف : يا ثابت لقد صرت خطيباً ، فقال : أما والله لولا أني أكره ذكر خويلك خويل السوء فأغّم بذلك رجالاً من ثقيف وقوماً من بني هاشم لذكرته ، يعْني المختار ، لأن ام المطرف ابنة عبدالله بن عمر ، وأمها صفيّة بنت أبي عبيّد ، أخت المحتار .

ومن ولده : **عبدالله بن مصعب** بن ثابت الذي كان عامل هرون الرشيد أمير المؤمنين على المدينة ، ثم علىٰ اليمن ، وكان ابنه أبو بكر بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت وَليَ بعد أبيه ، وكان سيّء الولاية ، فلما مات

جعل الناس يقولون : من يكتب إلى مالك ؟ يعنون مالكاً خازن جهنم .

وكان **مصعب بن ثابت** بن عبدالله فقيهاً ، ويكنى أبا عبدالله مات بالمدينة سنة سبع وخمسين ومائة ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

وأمّا **عامر بن عبدالله** فكان من أعبد أهل المدينة في زمانه ، وكان لا يزوج بناته ، وخطَب إليه يزيد بن عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام المخزومي فلم يزوجهما، وقتل ابنه عتيق بن عامر بقديد، وهدم ابراهيم بن هشام دار عامر بن عبدالله ، فقال ابراهيم لعامر : اصبر قال : أما إني أعرضكَ علىٰ الله في كل يوم خمس مرات ، يقول أدعو عليك في أعقاب الصّلوات الخمس .

وكان عامر يكنىٰ أبا الحارث ، ومات قبل موت هشام بن عبد الملك بيسير ، ومات هشام في سنة أربع وعشرين ومائة .

المدائني عن ابن أبي الزناد عَن أبيه قال: نزل عامر بن عبدالله بمَرّ[1]، فمر به عبدالله بن حسن بن حسن بن علي ، فقال : يا عامر نزلت بِمَرّ فمرر عليك عيشك ، قال : بل نزلت مراً فطابَ لي به مأكلي إذ بالَسَت بالس[2] بني مروان ، فقال عبدالله : أما والله لولا عمتي لكنت كبعض الحُميدات التُويتيات في شعاب مكة ، يعني صفية . قال عامر : ولولا عمتي كنت كبعض ولد عَقيل بن أبي طالب ملقىً بالأبطح ، يعني خديجة بنت خويلد أم فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

---

١ ـ يرجح أنه قصد مرّ الظهران ، وبينه وبين مكة خمسة أميال . معجم البلدان .

٢ ـ بالس هي مسكنة حاليا على الفرات في سورية ، وهي قريبة من رصافة هشام ، والبلس : من لا خير عنده ، أو عنده ابلاس وشره القاموس .

وأمّا **عبّاد بن عبدالله** ، فله ولد بالمدينة ، وكان يحيى بن عبّاد بن عبدالله فقيهاً روى عن عبدالله بن ابي بكر الحزمي ، ومحمد بن اسحاق ، ومات بالمدينة وهو ابن ست وثلاثين سنة .

وقال أبو الزنّاد رأيته معتماً ، فما رأيت شابّاً أحسن في العمّة منه وكانت له مروءة .

وأما **موسىٰ بن عبدالله** فله عقب بالمدينة ، ومن ولده صدّيق بن موسى بن عبدالله بن الزبير ، كان سرّياً .

وأما **عبدالله بن عبدالله** ، فكان فيما يقال أشبه القوم بأبيه ، وله عقب .

قالوا : وزوج عَبْدالله بن الزبير بناته من بني أخوته ، وتمثل قول الشاعر :

جعلت بناتي في مواليّ قُصْرةً وماراعني[1] ذو هيئةٍ وجمال
ولا رِزمَتا شكد[2] وبرد معضّدٍ[3] ولا درع نوبي أسك[4] طوال

وقال هشام ابن الكلبي : كان مصعب بن الزبير قتل أبا أشعبْ الطمع ، فكان أشعب يقول : أخذت من مال آل الزبير أضعاف دية أبي[5] .

فَولد **خوَيْلد بن أَسَد بن عَبْد العزّى** أيضاً ، سوى خديجة زوج النبي ﷺ ، **العَوّام بن خويلد** ، **وحزام بن خويلد** ، **ونوفل بن خويلد** ، وأمّه من

١ ـ بهامش الأصل : وروي : ما غرني .
٢ ـ الشكد : العطاء والشكر ، وأشكد ، أعطى ، واقتني رذال المال . القاموس .
٣ ـ ثوب له علم في موضع العضد . القاموس .
٤ ـ الأسك : الأصم . القاموس .
٥ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

عدي قريش ، قتله عليّ بن أبي طالب يوم بدر كافراً ، وكان يقال لنوفل بن خويلد أسد قريش .

وكان الأسود بن نوفل بن خويلد من مهاجرة المسلمين إلىٰ الحبشة ، في المرة الثانية ، وقدم المدينة بعد قدوم النبي ﷺ إياها .

وأمّا حزام فولد :

حكيم بن حزام ، وأمّه ابنة زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزىٰ ، واسمها فاختة ، وولدته في جوف الكعبة . وخالد بن حزام وله عقب بالمدينة ، وكان قد أسلم وهاجر إلىٰ الحبشة في المرة الثانية ، فمات في طريقهِ قبل أن يصل ، وكان حكيم بن حزام يكنىٰ أبا خالد وشهد بدراً مع المشركين يوم بدر فنجا ولم يقتل ولم يؤسر ، فقال حسان بن ثابت الأنصاري :

نجى حكيما يوم بدر بشده ونجا بمهر من بنات الأعوج[1]

ثم أسلم فحسن إسلامه ، وكان يقال هو وجبير بن مطعم من سادة مسلمة الفتح ، وكان حكيم بن حزام إذا بالغ في يمينه قال : والذي نجاني يوم بدر .

وذكر أبو اليقظان أن رسول الله ﷺ قال لحكيم : «إن الدنيا خضرة حلوة فمن سألها بإسراف لم يبارك له فيها» . فكان لا يقبل من أحد شيئاً ، وكان لا يأخذ عطاءه فقال عمر بن الخطاب : يا معشر المسلمين إني أشهدكم علىٰ حكيم بن حزام أدعوه إلىٰ عطائه فيأباه ، وباع حكيم داراً له بمكة بعشرة آلاف درهم ، فقيل له غبنتَ ، فقال اشتريتها في الجاهلية براوية من خمر ، وامّا والله لتعلمن أني لم أغبن ، اشهدوا أن ثمنها في سبيل الله فهل غبنت ؟

١ ـ ديوان حسان بن ثابت ج ١ ص ١٨٧ مع فوارق .

ويقال بل جعلها في سبيل الله ، وقال بعضهم : هي دار الندوَة ، وذلك أعظم الخطأ لأن دار الندوة كانت لبني عبد الدار فباعهَا عكرمة بن عامر بن هاشم العبدري من معاوية ، فقيْل له : بعتَ شرفكَ فقال : إنما الشرف اليوم الاسلام والكفاف .

وقال حكيم بن حزام : الجواد المبرز من لم يختر مواضع المعروف ولم يبال من أصابَ به ، وعمّر مائة وعشرين سَنة ، فكان يقول : طول العمر يذكر لك الناس .

وحضر حكيم أمر عثمان ودفنه والصلاة عليه ، فقال : إنكم سخطتم من أمر عثمان ما سترضون من غيره بأعظم منه .

وقال حكيم : من بخل بمعروفه على صاحبه فإنما بخل بالأجر علىٰ نفسه .

وحدثني عبد الواحد بن غياث ثنا حماد بن سَلمة أنبأ هشام بن عروة عن عروة عن حكيم بن حزام أن رسول الله ﷺ قال : «خير الصّدقة ما كان عن ظهر غنىً، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ، وليبدأ أحدكم بمن يعول، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله» . قال عبد الواحد : ثم قال أبو أُسامة حماد : قال هشام : وكان حكيم يحتاج إلىٰ الشيء فلا يسأله أحداً ، ويقول : لو انقطع شسع نعلي ما طلبت من أحدٍ شسعا .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن المنذر بن عبدالله عن موسىٰ بن عقبة عن أبي حبيبَة قال : سمعت حكيم بن حزام يقول : تزوج رسول الله ﷺ عمّتي خديجة وهي ابنة أربعين سنة ، وكانت أسن مني بسنتين ، وولدت أنا قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، وشهدت الفجار وأنا

ابن ثلاث وثلاثين سنة ، قال : ومات حكيم سنة أربع أو خمس وخمسين .

وقال حكيم : كانت عمّتي أسن من النبي ﷺ بخمس عشرة سنة .

قال الواقدي : مات حكيم بن حزام بالمدينة في داره عند بلاط الفاكهة عند زقاق الصوافين .

المدائني عن ابن جعدبة قال : اشترى حكيم بن حزام حلّة من حلل ذي يزن بثلاثمائة دينار فقال : ما أرى أحداً لها أهلاً إلاّ محمداً ، فأهداها لرسول الله ﷺ في الهدنة التي كانت بينه وبين قريش قبل الفتح ، فقال ﷺ : «لو كنت قابلاً هدية مشرك قبلت هديتك» ، فأدخلها حكيم السوق ليبيعها ، فأمر رسول الله ﷺ فاشتريت له ورآها حكيم عليه وقد خرج للصّلاة فتمثل حكيم قول الحطيئة في علقمة بن عُلاثة :

فما ينظر الحكام بالفصل بعدما   بدا واضح ذو غرة وحجول[1]

فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم إنه كساها أسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، فقال حكيم بخ ، بخ يا أسامة عليك حلة ذي يزن ، فقال رسول الله ﷺ : «قل له : وما يمنعني وأنا خير منه ، وأبي خير من أبيه» .

وولد حكيم بن حزام :

عبدالله بن حكيم ، وأمه زينب بنت العوام بن خويلد .

وهشام بن حكيم . وأما عبدالله بن حكيم فقتل يوم الجمل مع عائشة ، وكانت عنده ابنة الضحاك بن سفيان الكلابي فولدت له عثمان بن عَبْدالله بن حكيم ، فولد عثمان بن عَبْدالله بن حكيم :

عبدالله بن عثمان بن حكيم ، أمه رملة بنت الزبير ، وكان عثمان بن

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

عَبْدالله بن حكيم ممن ضربه عمرو بن الزبير، فاقتص منه، فتزوج عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، فولدت له قُرين واسمه عثمان، وله عقب، وفي عبدالله بن عثمان يقول الشاعر :

تزوجتها من عترة خير عترة أبوها ابن بنت المصطفىٰ خاتم الرسل
بـه أنقـذ الله الـبريـة كلهـا وقد غمرتها الجاهليـة بالجهـل
فأكرم بها إلفا لديك وزوَجـة حويت بها غُنما وفضلا إلىٰ فضل

ويروى :

.... حويت بها فضلاً من الله ذي الفضل

وأمَّا : هشام بن حكيم بن حزام فكانت له صحبة، وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس».

حدثني شيبان بن فروخ الآجري الأُبلي ثنا عبد العزيز بن مسلم القسملي ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن هشام بن حكيم بن حزام أنه رأىٰ ناساً محبوسين في الشمس، فدخل على عمير بن سعد فقال له : ما هؤلاء؟ قال : قوم حبسوا في الجزية، فقال هشام أشهد علىٰ رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله يعذب يوم القيامة الذين يعذبون الناس في دار الدنيا».

وقالوا : كان عمير بن سعد الأنصاري يلي بعض الجزيرة.

وقالوا: كان هشام بن حكيم عظيم القدر قوياً علىٰ أمر الاسلام، وكان عمر بن الخطاب يقول ـ إذا ذكر أمر فيه وهن علىٰ الاسلام ومخالفة الحق أو سبله ـ : أما ما عشت وهشام بن حكيم فلا.

ولا عقب لهشام بن حكيم.

وأمّا خالد بن حزام بن خويلد فنهشته أفعىٰ وهو يريد الهجرة إلىٰ الحبشة ، ومن ولده :

الضحاك بن عثمان بن عبدالله بن خالد بن حزام ، ويكنىٰ أبا عثمان ، مَات سنة ثلاث وخمسين ومائة .

وَولد نَوْفَل بن أسد بن عَبْد العزى :

ورقة بن نوفل ، وعدي بن نوفل ، وعبيدالله بن نوفل درج صغيرا .

فأمّا : ورقة فترك عبادة الأوثان ومال إلى النصرانية ، ويقال طلب دين إبراهيم ، فمر يوماً ببلال بن رباح والمشركون يعذبونه ، وبلال يقول : أحد ، أحد فقال ورقة : أحد ، أحد ، نعم ما قلت فاسْتغث به ، وقد ذكرنا له فيما تقدم من كتابنا هذا أخبارا ، وكان ورقة شاعراً وهو الذي يقول :

أجزيك أو أثني عليكَ وإن من　　　أثنىٰ عليك بما فعلت كمن جزى

وقال في زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان زيد قد ترك عبادة الأوثان :

رشدت فأنعمت ابن عمرو وإنما　　　تجنبت تنوراً من النار حاميا

وأمّا عدي بن نوفل فمن ولده : الزبير بن عدي ، وله عقب بالحجاز ، وعبيدالله بن نوفل بن عدي بن نوفل بن أسد ، قتل يوم الحرة .

وَوَلَد حَبيب بن أسَد بن عبد العزى : تُويت بن حبيب ، فمن ولد تويت عثمان بن عطاء ، وكان سرياً ضربَه عمرو بن الزبير فيمَن ضربَ ، ولهم عقب بمكة ، وكانت أمّ تويت أمة للعباس اسمها مجد .

وولد المطلب بن أسد بن عبد العزى : الأسود بن المطلب بن أسد ، وأبا حبيش بن المطلب بن أسد .

فأمّا الأسود فكان يكنىٰ أبا زمعة ، وهو أحد المستهزئين ، وكان

منيعاً ، وقد كتبنا خبره في أول كتابنا هذا .

وعمي الأسود فلم يحضر يوم بدر ، وله شعر فيها وقد كتبناه ، أوّله :

تبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم الشهود

فولد الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى: **زمعَة بن الأسود، وهبار بن الأسود، والحارث بن الأسود،** فأمّا زمَعة بن الأسود فكان يكنى أبا حكيمة، وفيه يقول أبو طالب بن عبد المطلب:

عظيم الرماد سيّد وابن سيد

وقتل يوم بدر كافراً.

وقالَ معاوية بن أبي سفيان: كان زمعة فينا كهرقل في الروم، وكان يقال له زاد الراكب، فولد زمعة: **عبد الله، وعقيلاً، ووهباً ويزيد،** قتل عقيل يوم بدر كافراً، ولاعقب له.

وكان **يزيد بن زمعة** من مهاجرة الحبشة، واستشهد يوم حنين، ويقال يوم الطائف.

وكان **عبد الله بن زمعة** ممن حضر دار عثمان بن عفان، وقاتل عنه، وقبض النبيّ ﷺ ولعبد الله خمس عشرة سَنة، وهو الذي خرج برسالة عمر إلى الناس يأمرهم بالصلاة حين قال النبي ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل».

فمن ولد عبد الله بن زمعة: **يزيد بن عبد الله بن زمعة** بن الأسود، وأمه زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وجدته أم سلمة زوج رسول الله ﷺ، شهد يوم الحرة فأخذ وأتي به مسلم بن عقبة، فدعاهَ إلى أن يبايع ليزيد على أنه عبد قن فأبى وقالَ: أبايعه على كتاب الله وسنة نبيّه، وعلى أني ابن عمه، فقدمه فضرب عنقه، فلما توجه أهل الشام نحو مكة فمات

مسلم ودفن بالمشلل[١]، أقبلت أمّ ولد ليزيد بجاريّة[٢] في غلمة لها فنبشت قبْر مسلم واستخرجته فصَلبته.

ومن ولد عبد الله بن زمعة: **أبو عبيدة بن عبد الله** بن زمعة بن الأسود، وله عقب وكانت هند بنت أبي عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن فيها ذكر أبو اليقظان، فولدت له: **محمداً، وابراهيم**، وكان أبو عبيدة سرياً سخياً مطعاماً للطعام يعده للأضياف، ومن أتاه من إخوانه، وقد روي عنه الحديث، فلقي ابراهيم بن هشام المخزومي أبا عبيدة وإبراهيم وال على المدينة من قبل هشام، فسأله عن الطريق إلى موضع اعتمده، فقال: خذ على موضع كذا، ثم خذ على أنف مخزوم، فقال: بل على أنف زمعة، وضحك.

قالوا: ومرَّ إبراهيم بمنزل أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة مع طلوع الشمس، ويقال في وقت طلوع الفجر، فدخل إليه وقال له: أنا والله جائع فهل من شيء حاضر، فأمر برؤوس كانت في مطبخه فأتي بها من التنور، وقدمت إليه، فأكل، ثم قدمت إليه حلواء كانت معدة في منزله، فقال: تالله مارأيت أكرم من هذا الرجل، فقيل: إن الرؤوس اتخذت بالأمس وهي رؤوس غنم ذبحت لضيفان له فأما الحلواء فشيء لايفارق منزله، فقال: هذا والله أعجب.

ومنهم **كبير بن عبد الله**، وله عقب فمن ولده أبو البختري وهب بن وهب بن ركانه من بني عبد المطلب بن عبد مناف، وكان أبو البختري قاضياً لأمير المؤمنين هارون الرشيد، ثم ولاه المدينة وكان الحديث يحمل عنه حتى

---

١ ـ المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. معجم البلدان.
٢ ـ أي أناس بالأجرة.

دخل إلى بعض الكبار، وعنده حمام يسابق بها، فقال: قال رسول الله ﷺ: «لاسبق إلا في حافر أو خف أو جناح»، فاسقط حديثه وشُنئت كتبه.

وقال الكلبي: قتل عبد الله بن وهب بن زمعة يوم الحرة، وكان ابنه يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة أبو محمد محدثاً، مات في آخر أيام أبي جعفر المنصور.

وأما هبار بن الأسود بن المطلب فهو الذي أهوى إلى زينب بنت النبي ﷺ بالرمح حين أخرجت من مكة إلى المدينة فألقت ما في بطنها، وقد ذكرنا خبره حين ذكرنا أولاد رسول الله ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ سرية وقال: «إن لقيتم هبار فاجعلوه بين حزمتين من حطب وأحرقوه، ثم قال: سبحان الله، أبعذاب الله، إن لقيتموه فاقطعوا يده ثم رجله»، فلم تلقه السرية وقدم هبار مسلماً وكان يُسابّ رجلاً، فقال له النبي ﷺ: «سُبّ من سبّك».

فمن ولد هبار: اسماعيل بن هبار وأمه أم ولد.

قالوا: فاتفق اسماعيل بن هبار ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري بالمدينة في حمام، وكان ابن هبار يرمى بالذكور، وكان مصعب ذا عجيزة ضخمة وخلق حسن فمسح يده على رانفتيه[1] وظهره متعجباً من عظم عجيزته وقال: مايحمل النساء إلا دون ماحملت، فحقد مصعب ذلك عليه ولم يظهر له شيئاً مما في نفسه، ولاطفه حتى أمنه، ثم إنه اتاه ومعه معاذ بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعقبه بن جَعونة الليثي، ويقال خالد بن جعونة فدعاه إلى حش طلحة، وهو موضع نخل، فأجابه إلى الانطلاق معه في غد يومه ثم

---

١ ـ الرانفة: أسفل الألية إذا كنت واقفا. القاموس.

إنه بعث إليه عند طلوع الفجر غلاماً له يكنى أبا زيتونة ليسأله المصير إلى الحش للاجتماع به، فلما اجتمعوا حيث أراد، قام مصعب إلى نخلة قد دس فيها سيفاً قاطعاً فأخذه وعلاه به، وأعانه التيمي، والليثي وأبو زيتونة عليه فقتله وأخفى أمره، ويقال إن مصعباً دعاه إلى موضع يعرف بحش بني زهرة فقتله به، وجعل انصرافه إلى حميد بن عبد الرحمن أخيه فأخبره بما صنع به اسماعيل وبقتله إيّاه، فأخذ حميد ثياب أخيه فألقاها في تنور قد سجر وألبسه ثياباً غيرها، وغدا به معه لصلاة الصبح وقال: إنك ستسمع قائلاً يقول: كان من الأمر كيت وذيت حتى كأنه معكم فلا يروعنك ذلك ولايتغيرنّ له وجهك، وأصبح الناس يتحدثون بقتل ابن هبار ويرون مصعباً مع أخيه حميد فيكذبون عنه، وكان أخو اسماعيل بن هبار يقوم في دبر كل صلاة فيقول: نشدت الله رجلاً عنده من أخي علم إلا أخبرنيه، فقام عبد الله بن مطيع العدوي من قريش فقال: اللهم إنك تعلم أمره ونعلمه، فقال له: من هو؟ قال: مصعب بن عبد الرحمن، فأدخله إلى مروان فتوقف عنه، وأخذ أبو زيتونة فأدخل إلى مروان فأنكر فضربه فأقر ثم أنكر، فقيل هذا إقرار منه حين ضُرب ولايقطع الحكم به، وأرسلت أخت اسماعيل إلى عبد الله بن الزبير فأخبرته خبرهم، فركب عبد الله، والمنذر ابنا الزبير وغيرهما من وجوه بني أسد بن عبد العزى إلى معاوية بالشام، وزعم قوم أن معاوية قدم المدينة حاجاً فلقيه عبد الله والمنذر ومن معهما فحكم بأن يحلف عشرة من بني أسد بن عبد العزى خمسين يميناً بالله أن مصعباً قتله، فإن حلفوا ملكوا دمه، وإن نكلوا عن اليمين حلف من بني زهرة عشرة بالله ماقتل مصعب اسماعيل وما يدرون من قتله فقال بعض آل عبد الرحمن بن عوف: يختار للحلف على

دمه المسور بن مخرمة، وبني سعد بن أبي وقاص، والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعمرو بن عثمان بن عفان، فقال من حضر من هؤلاء: ما بالنا نحلف دون بني زهرة، فرد معاوية اليمين على بني زهرة. فقال مصعب: والله ما كنت لأحلف كاذباً، وحلف خمسين يميناً عند المقام، وحلف العشرة من بني زهرة أنهم لا يعرفون قاتله.

وقال ابن الكلبي: قالت أخت اسماعيل بن هبار: ماقتل أبا فايد أخي - تعني ابن هبار - إلا مصعب والثلاثة الذين كانوا معه، ولقد جاء أبو زيتونة غلام مصعب في الليل فدعاه فما رجع، فأخذ مروان أبا زيتونة فضربه فكان يقر تحت الضرب فإذا رفع عنه قال: والله ماقلت، ماقلت إلا للضرب، وبعثتْ إلى عبد الله بن الزبير والمنذر بن المنذر واعلمتهما الخبر وقالت:

قل لأبي بكر الساعي بذمته ومنذر فهو ليث الغابة الضاري
جدّا فدى لكما أمي وما ولدت ولاتميلا إلى المخزاة والعار

فصارا إلى معاوية بالشام، ويقال تلقياه بين المسجدين، وكان حاجاً فكلماه في هذا الأمر فحكم بأن يحلف مصعباً وعشرة معه من بني زهرة أنه لم يقتل اسماعيل بن هبار فحلف مصعب وحلفوا خمسين يميناً، وكان ممن حلف محمد، وأبو سلمة، وحميد بنو عبد الرحمن بن عوف، والمسور بن مخرمة، وبنو سعد بن أبي وقاص، وكانت يمين مصعب أنه لم يقتل ابن هبار، وحلف الباقون أنهم لايعلمون من قتله، وتشاجروا فتدافع الحكم، فقال ابن قيس الرقيات:

فلن أجيب بليل داعياً أبداً　　أخشى الغرور كما غُرّ ابن هبار
باتوا يجرونه في الحش منعفراً　　بئس الهدية لابن العم والجار[1]

ويقال ان ابن الزبير قال: ليحلف مصعب والتيمي والكناني فحلفوا جميعاً، وقال الهيثم بن عدي: قيل للأسديين احلفوا أن مصعباً قتل صاحبكم فقالوا: اليمين على المنكرين، فحلف الزهريون.

وقال بعض أهل المدينة: لما اختلط الأمر وأشْكَل ضُرِبَ المتهمون مائة مائة وسجنوا سنة ثم أخرجوا والله أعلم.

ومن ولد هبار بن الأسود: سعد بن هبار وكان مع عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي، وهو ابن أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان، وكان يشاربه ويجامعه على هواه، فقال فيه حارثة بن بدر الغُداني:

نهاره في قضايا غير عادلة　　وليله في هوى سعد بن هبار
يعاب أصحابه فيما يسر به　　أخذاً بأخذ وتكراراً بتكرار
لا يسمع الناس أصواتاً لهم خفيت　　لها دوياً دوي النحل في الغار
فيصبح القوم أطلاحاً[2] أَضَرَّ بهم　　حث المطيّ وما كانوا بسفّار
لا يرقدون ولايغفي عيونهم　　ليل التمام وليل المدلج الساري

واما **الحارث بن الأسود** بن المطلب فقتل يوم بدر كافراً.

وأما **أبو حبيش بن المطلب** بن أسد بن عبد العزي فمن ولده:

السائب بن أبي حبيش، وكان ندياً ذا نخوة وقدر في نفسه وكان أبو حبيش ملازما الحجر، فكان يقال له خيمة أبي حبيش،وقال عمر بن

١ ـ ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص١٨٣ .
٢ ـ طلح : أعيا. القاموس.

الخطاب: ماأحد إلا وفي نسبه وصمة غير السائب بن أبي حبيش. وتزوج مصعب بن الزبير ابنة له على مئة ألف درهم. وكان عالي السن روى عن عمر.

ومن ولد حويرث بن أسد بن عبد العزى:

عثمان بن الحويرث الشاعر، وكان مخالفاً لقريش، وأسر ابنه الحارث بن عثمان بن الحويرث يوم بدر كافراً.

وقال الواقدي وغيره: كان عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى قد رفض الأوثان ومات على النصرانية، فقدم على قيصر فكان ترجمانه يحرّف ما يقول له فلا يرى عند قيصر مايحب، فبينا هو ذات يوم يمر في بعض الطريق إذ سمع رجلاً في زي الروم يتكلم العربية وينشد بيت شعر فقال له: ياهذا إنك تتكلم بلساني فمن أنت؟ قال: رجل من بني أسد بن خزيمة فاكتم ماسمعت، فشكا إليه أمره وما يلقى من جفوة قيصر له، فقال: قد بلغني خبرك وإنما تؤتى من الترجمان، ثم إن عثمان دخل على قيصر ودعا له الترجمان فقال عثمان: قل للملك: إن الكذوب الفاجر الغادر، قال: هيه؟ فالتزم عثمان الترجمان يريد أنه الموصوف بهذه الصفة. فقال قيصر: ان لهذا العربي قصة فدعا له بترجمان آخر يكلم، وأدى عنه إلى قيصر فقال: إني ضارب للملك على قريش جزية يؤدونها كل عام إذا وردوا الشام بتجاراتهم، قال: فافعل، ثم أتى مكة فقال لقريش وغيرها: إن قيصر يأمركم أن تجعلوا له عليكم ضريبة وخرجاً وإلا منعكم التجارة إلى الشام فزبروا عثمان وقرصوه وعابوا دينه وأمره وقالوا: قبحك الله وماجئت به وكان أشدهم عليه أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية والوليد بن المغيرة، ثم إن سعيد بن العاص

قدم الشام ومعه أبو ذؤيب[1] هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عامر بن لؤي وكان أبو ذؤيب ابن أخته فسعى بهما عثمان إلى قيصر وقال: ان هذين اعترضا عليّ وحملا قريشاً على إباء ماكانوا سمحوا به من الجزية والضريبة فحبسهما قيصر وقدم الوليد بن المغيرة في آخرين فسعى بهم عثمان أيضاً فحبسهم مع سعيد بن العاص وأبي ذؤيب، فمات أبو ذؤيب في حبس قيصر ثم ان عثمان كلم قيصر في الباقين واطلقهم، وفي ذلك تقول أروى بنت الحارث بن عبد المطلب:

أبلغ لديك بني عمي مغلغلة — حربا وعفان أهل الصيت والحسب
وانبي ربيعة والأعياص كلهم — واعمم بني عبد شمس سادة العرب
مالِي أراكم قعوداً في بيوتكم — وخيركم منكم للجار والجنب
أبو أحيحة محبوس لدى ملك — بالشام في غير ما ذنب ولا ريب
لو كان بعضكم في مثل محبسه — ألفيتموه شديد الهم والنصب
إن الذي صدكم عنه وثبطكم — عبد لعبدٍ لئيم حق مجتلب
لو كان فيكم صميماً في أرومتكم — لشفَّه ما عناكم غير ما كذب

أما **عمرو بن أسد** فهو زَوَّجَ خديجة بنت خويلد رسول الله ﷺ وكان ابن عمها.

وأما **الحارث بن أسد** فمن ولده عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد قتل يوم أحد كافراً، وبعضهم يقول قتل يوم بدر كافراً.

وعبد الله بن معبد بن حميد قتل يوم الجمل، ويقال لبني تويتة بن

١ ـ هو في نسب قريش ص٤٢٢ ـ ٤٢٣ ، والمنمق لابن حبيب ص١٥٦ «أبو ذئب» وهذا ما أورده الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش ص٤٢٨ .

حبيب بن اسد بن عبد العزّى ولبني حميد بن زهير التويتات والحميدات، وقال ذاك عبد الله بن عباس في كلام تكلم به.

وقال ابن الكلبي: كان عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد بن عبد العزى من مهاجرة الحبشة، وبها مات.

ومن بني **الحارث بن أسد بن عبد العزى: أبو البختري، وهو العاص ابن هاشم** بن الحارث بن أسد، قتل يوم بدر كافراً، وكان الذي قتله المجذر بن زياد، وقد كتبنا خبره فيما تقدم من كتابنا هذا، وأمه من بني عبد الدار بن قصي، وولد أبي البختري يقولون نحن بنو قتيل الملائكة، فقال بعضهم لابن لمصعب بن الزبير: أنا ابن عقير الملائكة فقال ابن مصعب، عمر بن مصعب: أنا ابن من نصرته الملائكة، يعني الزبير يعني حين قتله، وشر مقتول، فقال ابن أبي البختري: انا ابن من سد البطحاء، فقال ابن مصعب: سدها أبوك بِسَلْحِهِ، وفتحها أبي برمحه.

ومن ولد ابي البختري:

الأسود بن أبي البختري وكان من أشد قريش وشهد الجمل مع عائشة، وكان ابنه عبد الرحمن بن الأسود مع ابن الزبير، وكانت تحته ابنة الزبير، وهو ممن كان أعان على عمرو بن الزبير حتى قتل يوم اقامه أخوه للناس، ولولد أبي البختري عقب بالمدينة.

قال الكلبي: ومن ولد الأسود بن أبي البختري: **طلحة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود** الذي يقول:

جدي عليّ وأبي البختري وطلحة التيمي والأسود

أم طلحة ابنة سعيد بن الأسود بن أبي البختري، وأمها فاطمة بنت

علي بن أبي طالب، **وسعيد بن أبي البختري** وكان جميلاً وله تقول المرأة:

ألا ليتني أشري سواري ودملجي   بنظرة يوم من سعيد بن الاسود

قالوا: وكان من المحدثين **أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل** من بني أسد بن عبد العزى بن قصي، يتيم عروة، مات في آخر سلطان بني أمية.

انقضى نسب بني قصي بن كلاب

المحتوى